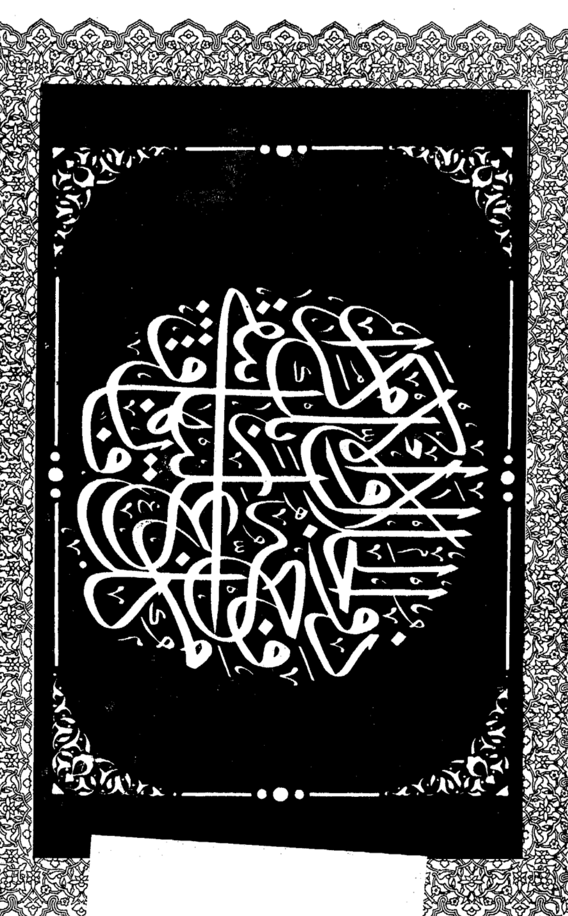
الوعي الإسلامي

إسلاميَّة ثقافيَّة شهريَّة



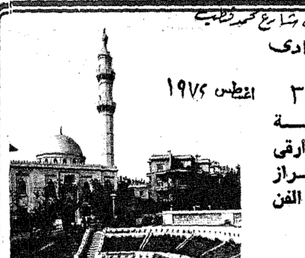
السنة العاشرة ـ العدد ١١٤ ـ جمادى الآخر ١٣٩٤ هـ ـ يونيو ١٩٧٤ م



ثيلا محمد قطب شارع محمد قطب
المعادى

مسجد الروضـــة

٣ اغسطس ١٩٧٦



أحد المساجد الفخمة بمدينـــة دمشق .. ويقـــع فى حى من أرقى أحيائها وهو مشيد على الطـــراز العربى الجميل وجمع بين روعة الفن وجمال الموقع .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العـــاشرة
العدد ١١٤
جمادى الآخر ١٣٩٤ هـ
يونيو (حزيران) ١٩٧٤ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والســـياسية

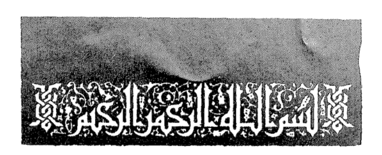
تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالـــكويت فى غـرة كل شـــهر عـربى
الاشتراك السنوى للهيآت فقط
اما الأفراد فيشـــتركون راسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

الثمـــن :

الـــكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريـــال
العـــراق	٧٥ ملسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيـــا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجـــزائر	دينار وربع
المغـــرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ ملسا
اليمن وعـــدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنـــوان المراســـلات :

مجـــلة الوعى الاسلامى ــ وزارة الأوقاف والشـــئون الاســـلامية
صـــندوق بريد : ١٣ ــ كـــويت ــ هـــاتف : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨



آية الكرسي

لعـــــالم كبير

« الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم ، له ما فى السموات وما فى الارض ، من ذا الذى يشـــفع عنده الا باذنه ؟ يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والأرض ، ولا يئوده حفظهما ، وهو العلى العظيم » .

هذه الآية تعرف بين المسلمين بآية الكرسى ، وقد نوهت الســـنة النبوية بفضلها ومكانتها ، وتتكون من عشر جمل متصلة المعنى فى الحـــديث عن ذات الله وصفاته .

(١) « **الله لا اله الا هو ..** » ليس فى الوجود أحد يتجاوز مرتبة العبودية ، فكل ما عدا الله عبد له ، وهو وحده المتفرد بالألوهية فى الســـموات والأرض .

من قال عن نفسه أنه اله فهو كاذب ، ومن قال عنه الناس ذلك فهم عليه كذبة ، وقد تمر بالناس أعصار يتخذون فيها بعض الجمادات والدواب آلهة ، وهذه أعصار الانحطاط الذهنى والنفسى التي نرجو أن يتم خلاص البشر جميعا منها .

ولكن الضلال الشائع الى اليوم اتخاذ بعض البشر الطيبين آلهة مع الله بحجة أنهم انبثقوا منه أو أنه حال فيهم .

وقد حارب الاسلام هذه الضلة حربا شديدة ، وأكد أن البشر مستحيل أن يرتفعوا الى مصاف الآلهة ، وان الله العلى الكبير لا يمكن أن يهبط الى منازل البشر .

انه الاله الذى خلق غيره ، ومنحه الحياة ، وقام على أمره من المهد الى اللحد : ((**واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون . ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا**)) .

ورسول الاسلام ـ وهو قمة البشرية ـ عندما يدعو الله يؤكد هذه الحقيقة : ((اللهم أنا عبدك وابن عبدك وابن أمتك وفى قبضتك . ناصيتى بيدك ماض فى حكمك ، عدل فى قضاؤك)) .

(٢) ((**الحى القيوم ..**)) والأحياء من الخلق ليس لهم من أنفسهم ما يوجب الحياة ، ان الحياة عرض مفاض عليهم من خارج أنفسهم .

وهو عرض يفارقهم يوما ولا يعود اليهم الا وفق مشيئة مفيضه جل شأنه ، الحى الذى لا بداية لحياته ولا نهاية ، فحياته وصف ملازم له أزلا وأبدا ، وذلكم الفارق بين حياة الخالق والمخلوق .

ومن ثم يقول الله لنبيه : ((**انك ميت وانهم ميتون**)) أما المتفرد بالحياة العظمى فهو الله .

ولما كانت هذه الحياة وضاحة نفاحة ناسب أن يجىء عقبها وصف القيوم اى الذى يمد الأكوان والخلائق كافة بحركاتها وسكناتها ، ويشرف اشراف احاطة وهيمنة على شئونها وأحوالها فهى أحوج ما تكون اليه وهو أغنى ما يكون عنها ..

وقد ورد فى الآيات والآثار أن الله قائم على كل نفس بما كسبت وأنه القيم على السموات والأرض ومن فيهن .

والقائم على الشىء ، والقيم عليه أو القوام عليه ، ألفاظ تتفاوت فى الكشف عن هذه الاحاطة الشاملة لفنون التصريف وألوان السيطرة على العالم .

ولكن لفظ القيوم جاء على هذه الصيغة فى المبالغة ، اشارة الى ، من المستحيل أن يفلت زمام الامور من الخالق ، أو أن تسير فى وجهة غير ما قضى ، اذ كل شىء يستند فى وجوده وبقائه وتقلبه الى هذا الوجود الأعلى : ((**ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ، ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده**)) .

وهذه الجملة ـ الحى القيوم ـ أولى الجمل التسع التى ترادفت أشبه بالاستدلال على الوحدانية المتقررة فى الجملة الاولى من آية الكرسى .

اذ هذه الأوصاف تنفى الشركة نفيا حاسما ، وتشهد للبارى أنه لا اله غيره .

(٣) ((**لا تأخذه سنة ولا نوم**)) السنة ما يخالط الاجفان من أوائل النعاس ، والنوم هو الاستغراق التام .

والمراد أننا نحن البشر تدركنا ساعات غفلة نفقد فيها الشعور بأنفسنا وما حولنا .

بل نحن في ابان اليقظة يختلف انتباهنا ونشاطنا الذهني نحو ما نفكر فيه وما يحيط بنا .

وعند الكلال يضعف هذا الانتباه ، وتهن العزيمة ، وتكثر الأخطاء .

لكن رب العالمين لا يشغله شأن عن شأن ، ولا يغفل عن أمر في السماء لاهتمامه بأمر في الأرض ، ولا تلحقه عوارض الوهن والاعياء ، ولا تنفك قبضته الواعية عن ذرة في العرش اوالفرش لسهو او اغفاء ..

(٤) « **له ما في السموات وما في الأرض** » الله واسـع الملك . وما تقول في غنى يشمل آفاق السموات وفجاج الأرض .. ؟

ان العالم كله ، علوه وسفله ، ملك لله وحده .

والذين يظنهم الجاهلون شركاء لله ، ليس لهم في هذا العالم ذرة ، ان كانوا أصناما فما هي الأصنام .. ؟ تماثيل نحتها المصـــورون فهم في الحقيقة يملكونها ولا تملكهم .

ان كانوا بشرا ، فهؤلاء البشر ملك لمن صـــورهم في الأرحام ، وجعل صدورهم تهبط وتعلو بالشهيق والزفير ، ولو شاء أن يقف دقات قلوبهم في أية لحظة من ليل أو نهار ما رده راد ..

ان هناك ملاكا على المجاز يضـــعون أيديهم على بعض التراب ليرتفقوه حينا ، وربما طغوا بما يملكون ظاهرا ، ثم .. يجيئهم الموت فيدعون الحيـــاة صفر الأيدي ، يدعونها لمالكها الحق الذي له ميراث السـموات والأرض « **ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ، وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم** » .

(٥) « **من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ..** » القاعدة العامة في الاسـلام انه لا شفاعة لمشرك ، أو ملحد .

وانه لا حق لأحد من الملائكة أو المرسلين يذهب به الى الله ليقول له أعف عن فلان أو اترك فلانا .

وان الاساس الأول للنجاة هو الايمان والعمل الصالح .

ولذلك قال الله تعالى قبل هذه الآية مباشرة : « **يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والـكافرون هم الظالمون** » .

ويقول مخبرا عن مصاير المشركين والمجرمين « **انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من انصار** » .

ويقول أيضـــا « **وان تدع مثقلة الى حملهـــا لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى** » .

وقد يقع ـــ لمن ينجون بأعمالهم ـــ شيء من الفضل ترتفع به درجاتهم فوق ما يستحقون .

أو يقع ـــ لمن قاربوا ولم يصلوا ـــ شيء من العفو ينجحون به ولا يرسبون ويجعل الله السبب الظاهر في ذلك شفاعة المرسلين أو الصالحين .

وهي شفاعة لا ترجع الى أن هؤلاء المرسلين او الصالحين يجيرون على الله أو ينقذون منه من يريد عقوبته ، كلا ، فما يجرؤ ملك ولا نبي على أن يقف من الله هذا الموقف .

انهم لا يشفعون الا باذنه ، ولا يشفعون الا لمن ارتضى .

قال تعالى : ((**لا يســـبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون**)) .

((**يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضى له قولا**)) .

وربما قال قائل : ولم هذه الشفاعة وما قيمتها ؟ والجواب انهـــا لا تعدو لونا من اكرام الله فى الدار الآخرة لمن اهينوا بسببه فى الدنيا ، فيريد الله أن يصلح بالهم وأن يعلى قدرهم ، وأن يشعر عباده بما لهم عنده من مثوبة ومنزلة ، وأن يطوى قلوب المقصرين والمتأخرين على محبتهم واعزازهم لما سبق اليهم من فضل على أيديهم .

بيد أن الشفاعة المذكورة لا تهدم قواعد العدل ، ولا تعطل موازين الحساب ولا يحتاج اليها سابق بالخير ، ولا ينتفع بها مارق من الحق .

(٦) ((**يعلم ما بين أيديهم وما خلفهـــم**)) ليس يخفى على الله شيء فى الأرض ولا فى السماء ، وعلم الأمس واليوم والغد عنده سواء . كأن العالم منذ خلق ، والى أن تبدل معالمه صفحة واحدة يستوى فيها القريب والبعيد والأول والآخر .

وذاك ــ بداهة ــ لأن الخالق يعلم ما خلق ، ولا يتصور أن أحدا صنع من ورائه شيئا فيكون هو ــ سبحانه ــ جاهلا به .

ان الابداع ــ وهو ابراز شيء من العدم ــ لا يقدر عليه الا الله .

والتغيرات التى تحدث فى المادة ــ وهو محور الأعمال البشرية ــ لا تتم الا باقدار الله ، ومن هنا كانت احاطة العلم .

ومن هنا كان معنى قولنا : ان الله لا يعلم هذا الشيء . ان هذا الشيء لا وجود له . اذ لو كان موجودا لعلمه حتما ، وهذا معنى الآيات الكريمة .

((**ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون**)) .

ولقد تجول الفكرة فى خاطرى ــ وكم يحمل تيار الشعور الســـارى فى كيان المرء من خطرات ، وسوانح ــ فأقول : ان الله يعلم هذه الخطرة المارة ، كما تمر السحب بالآفاق .

ثم أقول : وعلمه بها منذ أجيال !

واستتلى القول : وهو يعلم من غيرى مثل ما يعلم منى !

ومن غيرى ؟ الوف مؤلفة تزحم أرجاء العالم .

وعلمه يسع هؤلاء فى عصرنا . وما قبل عصرنا وما بعد عصرنا !!

وما يملك المرء وهو يتابع هذا التصور الا أن يهتف بالآية .

((**ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم**)) .

(٧) ((**ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء**)) ينابيع المعرفة تنبجس ابتـــداء من مشيئة الخالق ، حتى العلم بما يقع فى مجال السمع والبصر ، انه لولا ما ركب فى الانسان من عقل مدرك لماح ، ما استطاع أن يفقه مما حوله شيئا .

والاطلاع على ما هو أعمق من ذلك موكول الى مراتب الذكاء الانسانى ، وانصبتنا من هذا الذكاء مقسومة علينا ونحن اجنة فى بطون الأمهات .

ومن هنا كان فتح نوافذ قليلة يطل منها العقل البشرى على آفاق من العلم محدودا بما تهيىء المشيئة العليا من اسباب عادية أو غير عادية .

ومصادر المعرفة المعتادة مبثوثة فى كتاب الكون المفتوح ، وفى تجارب الناس مع الحياة العامة ، ويمكن بالوعى والتأمل والتجربة أن نبلغ آمادا بعيدة فى هذا المضمار دون حرج ودون قيد .

أما المعارف الغيبية التى مصدرها الوحى الاعلى ، فان الله قد اصطفى لها رسله الأولين وقد انتهى هذا المصدر بالرسالة الخاتمة .

ولن يحيط أحد بشىء من هذا العلم عن الاتصال بالله أو بملائكته ، ومن زعم ذلك فهو كاذب .

وقريب من ذلك الانباء بالغيوب ، فان هذا ليس من العلوم الميسرة ، للخلق حتى تتاح فرصها للبشر على سواء ، ولا مكان لوحى ينزل به بعد انقضـــاء النبوات .

ومن ثم فلا يقبل من أحد القول بأنه داخل ضمن الامكان العام فى قوله تعالى : ((**ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء**)) .

(٨) ((**وسع كرسيه السموات والأرض**)) .

المتبادر الى الأذهان أن السموات والأرض هما حدود الملك الالهى ، وهذا خطأ ، فانهما بعض آثار القدرة العليا فحسب ، وكذلك قال فى آية أخرى :

((**ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة**)) .

وقال : ((**ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ..**)) .

هما من آيات الله ، وآيات الله الشاهدة بجلاله لا يحاط بها ، وكرسيه من الرحابة بحيث يسع السموات والارض وسائر ما لا نحصى من آيات .

ونحن لا ندرى ما الكرسى ؟ ولا نكلف باكتناه ذلك .

وكل ما ندركه من هذه الجملة هو ما توحى به من الاشراف الالهى العالى على سائر الخلق ، ما نرى منه وما لا نرى منه ، وأن الســموات والأرض ما يستغرقان الا جزءا من الملكوت الواسع الذى اشتمل عليه هذا الكرسى ((**والله من ورائهم محيط**)) .

(٩) ((**ولا يئوده حفظهما**)) لا يتجشم أية مشقة فى ضبط الســموات والأرض وتدبير الأمر بينهما ، كما أنه لم يتجشم اية مشقة فى الخلق الأول ، وهذا ما ذكره فى قوله ((**والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون**)) .

اى أن ذلك البناء شىء هين الى جانب ما فى وسعنا ، كما ينفق صــاحب القناطير المقنطرة من الذهب والفضة فلوسا قليلة ، فلا يرى أنه أعطى شيئا طائلا ، كذلك ــ ولله المثل الاعلى ــ بناء العالم وحفظه ، وما يتعب الخـــالق المدبر ، ولا يثقله ولا يرهقه ، لفرط عظمته .

والجملة السابقة فى وصف الكرسى تشير الى علو الذات . ولذلك جاءت الجملة الأخيرة .

(١٠) ((**وهو العلى العظيم**)) .

تذييلا يختم المعانى السابقة بذكر اسمين من اسماء الله الحسنى مناسبين للمقام ، مقام العلو والعظمة الواجبين لذى الجلال والاكرام .



للأستاذ محمد عزة دروزة

- ٦ -

يجنح بعض العلماء والمفسرين الى القول او الظن بأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلم شيئا من القصص القرآنية التى كان يوحى اليه بها قبل نزولها . بل والى القول أن جميع معارف النبى صلى الله عليه وسلم ومكتسباته هى من الوحى وحسب .

ولسنا نرى هذا وجيها لا من وجهة نظر الوحى القرآنى ولا من وجهة نظر النبوة . ولا من وجهة نظر الوقائع والحقائق . فالنبى صلى الله عليه وسلم كان يعيش قبل نزول الوحى عليه فى بيئة فيها كتابيون يروون ما فى كتبهم من قصص ويتداولونها . وهناك روايات تذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يجلس اليهم ويسمع منهم . وفى القرآن اشارة ما الى ذلك حيث كان المشركون يعرفون اتصاله بهم فنسبوا ما يبلغه وحى الله له ويتلوه على الناس إلى تعليمهم . وقد تضمن ذلك آية سورة النحل هذه (**ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين**) (١٠٣) وآية سورة الفرقان هذه (**وقال الذين كفروا أن هذا إلا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون**

فقد جاؤوا ظلما وزورا) والآيات تنفى التعليم والاعانة دون الاتصال . ولم يكن المشركون يقولون ذلك لو لم يروا اتصاله بهم . وهو ما ايدته روايات عديدة فى كتب السيرة والتفسير مع ذكر اسماء لأفراد من اهل الكتاب كانوا في مكة .
وكان اهل بيئة النبى صلى الله عليه وسلم يرحلون الى البلاد المجاورة للجـزيرة العربيـة التى كانت بيئات متحضرة وكتابية على الاغلب مثل العراق والشـام ومصر والحبشة وجنوب الجزيرة ويرون فيها مختلف المشاهد الحاضرة والغابرة .
وقد أشير الى ذلك فى بعض آيات قرآنيـة اوردناها قبل . وكان النبى صلى الله عليه وسلم نفسه قد قام ببعض الرحلات فى شبابه الى هذه البلاد وسمع ورأى وشاهد . ورواة العرب يروون ما يتناقله الأجيـال من اخبار وأحداث وقصص عربيـة . فليس من المعقول ولا من الطبيعى أن يقال أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يجهل هذه القصص كليا أو جزئيا . وفى ما ذكرناه قبل فى صـدد قصة يونس دليل بالنسبة للنبى صلى الله عليه وسلم خاصة . وبالنسبة لمـا كان يتداوله اهل الكتاب من أحداث أسفارهم وما فيها من اسماء وشخصيات .
ومعرفة النبى لهذه القصص قبل نزول القرآن الكريم لا يمكن أن تتعارض مع وحى الله القرآنى بها ولا مع نبوة النبى صلى الله عليه وسلم . لأن الوحى القرآنى بالقصص قد استـهدف كما قلنا التمثيل والتـذكير والانذار والموعظة والتسلية والتثبيت ولم يستهدف التاريخ والأخبار والسرد والتعريف . ويتبادر لنا أن ذلك القول اتى من عدم النفوذ الى مرمى وهدف الوحى بهذه القصص عن حسن نيـة ، وليس من تعارض قط بين وحى ما اقتضت حكمة التنزيل ايحـاءه منها بالأسلوب الذى أوحيت به وبين ما يمكن ويصح أن يكون النبى صلى الله عليـه وسلم قد عرفه منها قبل نزول الوحى بما نزل منها . ولقد كان فى بيئة النبى صلى الله عليه وسلم تقاليد دينية واجتماعيـة متنوعة . وكان يجرى فيها احداث متنوعة شاهد النبى بعضها وسمع بعضها . وعاش بعضها . ولقد ذكر القرآن كثيرا من ذلك . وليس من احد يدعى او يصح أن يدعى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف ذلك قبل بعثته .
وهذا وذاك من باب واحد .
وواضح ان هذا ليس مخلا بقدر النبى صلى الله عليه وسلم وعظمته التى انما كانت تقوم فى الحقيقة على ما امتاز به من عظمة الخلق وقوة العقـل وصفاء النفس وكبر القلب وعمق الايمـان والاستغراق بالله . ولقد قرر القرآن طبيعـة النبى البشرية فى آيات عديدة وأمره الله أن يعلنها للناس كما جاء فى آية سورة الكهف هذه (**قل إنما انا بشر مثلكم يوحى الىّ انما إلهكم إله واحد)** .
وآية سورة الأعراف هذه (**قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن انا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون)** وهذا متصل بهذه الطبيعة التى من البديهى جدا أن لا تتناقض مع معرفة النبى صلى الله عليه وسلم ما كان متداولا فى بيئته أو فى اى بيئة ونحلة تيسر له الاتصال بأهلها من اقوال وأفكار وأخبار وعقائد وتقليد وظروف وأحداث حاضرة وغابرة . بل ان من البديهى جدا أن يكون عارفا ملما بكل ذلك غير غافل عنه . وان هذا هو المعقول الذى لا يصـح فى العقل غيره . واننا لنشـعر بالدهشة مما ابداه ويبديه بعض العلمـاء المسلمين من حرص على توكيد كون النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن له معارف مكتسبة . مما لا يتسق مع المنطق

والعقل والبداهة توهما بأن فى هذا مأخذا ما على كون ما بلغه النبى من القرآن الذى فيه الاخبار والقصص السابقة أتى من هذه المعارف . ونرى فى هـــذا التوهم خطأ أصليا فى فهم معنى ومدى الرسالة النبوية التى هى هداية وارشاد ودعوة التى لا يعهد بمهمتها العظمى الا لمن يكون أهـــلا لها فى عقله وخلقـــه وروحه وإيمانه ووعيه ومعرفته بمـــا يدور فى المجتمع الذى بعث اليه كما ذكرت آية الأنعام (**الله أعلم حيث يجعل رسالته**) كما أنه آت فيما يتبادر لنا من عدم ملاحظـــة كون القرآن نوعين متميزين أسسا ووسائل أو محكمات ومتشابهات وكون الوحى القرآنى هو الأسلوب الذى يوحى به فى ما يجب على النبى وعلى الناس عمله والسير عليه والتذكير والتبشير والانذار به .

ومما يورده بعضهم آيات سورة العنكبوت هذه (**وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون . بل هو آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون**) (٤٨ و ٤٩) التى فيها دلالة على أمية النبى صلى الله عليه وسلم حيث يظنون على ما يبـــدو أن اكتساب المعـــارف والاطلاع على ما عند الناس من أخبار وأفكار وكتب انما هو حصر على القـــارىء الكاتب . وليس هذا صحيحا دائما كما هو المتبادر . وهـــو ناشىء من قياس الغائب بالحاضر . وهو قياس مع الفارق أيضا . والآيات والله أعلم بسبيل تقرير كون الدعوة التى يدعو اليها النبى صلى الله عليه وسلم وما يبلغه فى صـــددها انما هو وحى ربانى غير مقتبس من كتاب . وبسبيل تنبيه المشركين الى أنه لا يصح أن يكون عندهم شك فى ذلك لأنهم يعرفون أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يقرأ ويكتب . وانهم اذا جحدوا آيات الله التى يبلغهم اياها النبى الذى اختصه الله بمهمته وبيناته فيكونون ظالمين مكابرين . وأمية المرء لم تكن فى وقت من الأوقات مانعـــة من أن يختزن كثيرا من المعارف والصور والروايات والنصوص الطويلة سماعا ومشاهدة . وهناك من يفوق فى ذلك على غير الأميين . وهذا بالاضافة الى أن الأمية فى الزمن القديم وفى بيئة النبى كانت هى السائدة ولم يكن هذا ليمنع نبهاء هذه البيئة من اختزان المعارف والصور والروايات والنصوص المحليـــة والعالمية التى كانوا يشاهدونها ويسمعونها فى بيئتهم وخارج بيئتهم .

ومما يورد أيضا للتدليل على أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن ذا نشاط وحركة وتطلع ما قبل نزول الوحى عليه هذه الآيات :

١ ــ **قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون ..** (يونس ١٦) .

٢ ــ **وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك .** (القصص٨٦)

٣ ــ **قل ما اسالكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين .** (ص ٨٦) .

٤ ــ **وكذلك أوحينا اليـــك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتـــاب ولا الإيمـــان ..** (الشورى ٥٢) .

والآيات قد تفيد شيئا من ذلك . ولكنها لا يمكن أن تفيد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان غافلا عما يجرى ويروى ويتداول فى بيئته من أخبار وأحـــداث وصور ومشاهد حاضرة وغابرة .

ـ ٧ ـ

ويغمز الملحدون والمبشرون الحاقدون النبى صلى الله عليه وسلم بسبب

ما بين القصص القرآنيـــه والأسفار والكتب التى وصلت الينا والتى كانت على الاغلب متداولة فى زمن النبى بين ايدى اهل العلم والكتاب من تطـــابق ما . ويقولون انها مقتبسة منها . ولقد قال كفار العرب ذلك فى مواجهة النبى صلى الله عليه وسلم وحكاه القرآن عنهم بدون اى حرج مؤكدا أن الله الحكيم الذى يعلم السر هو الذى اوحى به وانزله كمـــا جاء فى آيات سورة الفرقان هــذه **(وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا . قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما)** (٥ و ٦) .

ونقول ردا على الغامزين المحدثين أن ما بين القصص القرآنية والأسفار والكتب القديمة من تطابق ليس من شأنه أن يطعن بصحة وحيها الإلهى . لانها لم تجيء للسرد التاريخى وانما للعظة والعبرة والتذكير . وليس من تعارض بين هذا وذاك بل ان ذلك من الحكمة المتبادرة من ايرادها فى القرآن كذلك على ما شرحناه قبل من حيث أن السامعين يتأثرون بما يعرفون . فليس من محل ولا معنى للغمز والنقد كما هو واضح . بل ان فى الغمز والنقد دليـــلا على غفلة الغامزين والناقدين عن مدى وهـــدف الوحى القرآنى بالقصص . اى العظــة والعبرة والتذكير والانذار والتبشير وضرب المثل .

ولقد غمزوا النبى صلى الله عليه وسلم والقرآن من ناحية اخرى اى من ناحية ورود بعض القصص القرآنية متباينة أو زائدة أو ناقصة بالنسبة لما ورد فى الأسفار . ومن ذلك مثلا تسخـــير الجن والريح والطير لسليمان والجبـــال والطير والحديد لداود وقصص ابراهيم مع قومه ومع الملك . وجزئيات كثيرة فى قصص آدم ونوح ويوسف وموسى وفرعون وبنى اسرائيل ويونس وأيوب الخ . وقالوا ان النبى صلى الله عليه وسلم خلط أو أخطأ فيها أو اخترع ما ليس واردا منها فى الأسفار والكتب . وهذا القول متهافت . والمتمعن فى ما جاء فى الصيغ القرآنيـــة لا يجد له ضرورة فنية ولا اسلوبية ـــ ونقول ذلك من قبيـــل المساجلة ـــ حتى يخترعه النبى صلى الله عليه وسلم أو يزيد عليه أو ينقص منه ، ولا يستطيع أحد أن يدعى بصدق أن الأسفار والكتب المتداولة اليوم هى كل ما كان فى أيدى أهل العلم والكتاب والأمم الأخرى فى زمن النبى وقبله كما أن أحدا لا يستطيع أن يدعى بصدق انه لم يكن نسخ أخرى مما وصل الينا فيها ما ورد فى القرآن مما لم يرد فى النسخ التى وصلت الينا . فالكتب كانت تنسخ وكان النساخون وهذا ديدنهم فى كل وقت ينسون ويخطئون ويزيدون وينقصون فتكون النسخ للكتاب الواحد متباينة وفى بعضها زيادة وفى بعضها نقص . وفى أسفار العهد القديم التى وصلت الينا أسماء أسفار كثيرة من جملتها ســـفر التوراة شريعة موسى لم تصل الينا . وفى الأناجيل المتداولة اليوم والأســـفار الملحقة بالعهد الجديد ذكر لانجيل عيسى ولم يصـــل الينا . وهناك روايات عن اناجيل عديدة أخرى لم تصل إلينا وبين نصوص الأسفار التى وصلت إلينا من مجموعتى العهد القديم والعهد الجديد تضارب وتناقض وزيادة ونقص واختلاف مشاهد حيث يفيد هذا أن الذين كتبوها قد استقوها من مصادر مختلفة ضـــاعت أو بادت . ولقد اكتشف فى مغارة فى جهة البحر الميت أوراق من ســـفر اشعيا قال الدارسون : إن بينها وبين ما هو متداول معروف من هذا السفر تباينا . وفى القرآن آيات تذكر أن أهل الكتاب كانوا يخفون كثيرا مما فى أيديهم منها هــذه الآيـــات :

١ ــ يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنت تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . (المائدة ١٥)
٢ ــ وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتـــاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعـــلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا .. (الأنعام ١٦٠) .

وفى سورة النمل هذه الآيات : (**ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون وانه لهدى ورحمة للمؤمنين**) (٧٦ و ٧٧) حيث تفيد أن القرآن قد جاء بما هو الحق والصدق والصحيح .

وفى سورة المائدة هذه الآية (**وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ..**) (٤٨) حيث تفيـــد أن القرآن متطـــابق فى الأسس والأهداف مع كتب الله السابقة وانه ضابط لما هو الصحيح من وحى الله . ومصحح لما يمكن أن يكون وقع فى هذه الكتب من تحريف ورقيب عليها .

ولقد كانت هذه الآيات والقصص القرآنية تتلى علنا . ويسمعها اهل الكتاب ولا يمكن ان يكون ما جاء فيها جزافا ، وغير وارد فى أسفار وقراطيس فى أيدى اناس أو غير مروى على السنة اناس ثم ضاع أو نسى . ولقد آمن كثيرون منهم تدروا على التغلب على انانيتهم وأهوائهم . وأعلنوا صدق القرآن كما حكى ذلك عنهم فى آيات عديدة منها هذه الآيات :

١ ــ وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم . (آل عمران ١٩٩) .
٢ ــ لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك . (النساء ١٦٢) .

٣ ــ ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون . واذا سمعوا ما انزل الى الرســـول ترى أعينهـــم تفيض من الدمع مما عرفـــوا من الحـــق .. (المائدة ٨٢ و ٨٣) .
٤ ــ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخـــرون للأذقان ســـجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعـــد ربنا لمفعـــولا . (الاسراء ١٠٨) .

وليس هناك اية رواية فيها انكار اهل الكتاب لشيء ممـــا ورد فى قصص القرآن . ولقد حكى القرآن بدون حرج نسبة الكفار الى النبى صلى الله عليه وسلم بافتراء القرآن وكذبه ورد عليهم .

وقد حكى القرآن الكريم كثيرا من مواقف اليهـــود من النبى والاســـلام ومحاولاتهم الدس والتفرقة والتشكيك . فلو كان صدر شيء من ذلك لحكاه ورده عليهـــم .

وفى كل هذا حجة لاقناع من يبغى الحق ، ولا يكون موقفه موقف المكابر العنيـــد الذى جعل إلهه هواه .

ــ ٨ ــ

ونحن نعرف أن هناك ما يمكن ايراده بالنسبة للنقطـــة الاولى . اى كون

القصص مما كان معروفا من النبى صلى الله عليه وسلم والسامعين من قومه . حيث ورد فى القرآن آيات قد تبدو أنها تناقض ذلك وهى :

١ ــ ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون .. (آل عمران)

٢ ــ تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين . . (هود ٤٩) .

٣ ــ ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون .. (يوسف ١٠٢) .

ونقول فى صدد ذلك : ان قصتى نوح ويوسف عليهما السلام قد وردتا فى سفر التكوين أول أسفار العهد القديم المتداول اليوم والذى نعتقد أنه كان متداولا فى بيئة النبى صلى الله عليه وسلم . وأهل بيئته وهو نفسه كانوا متصلين بالكتابيين ويعرفون أخبارهم وما عندهم وما فى كتبهم على ما تفيده آيات عديدة أوردناها قبل وعلى ما جاء فى شرحنا السابق . فليس مما يصح فرضه أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم والعرب السامعون أو بعضهم جاهلين هاتين القصتين .

ولقد اشير الى نوح وموقف قومه منه اشارات خاطفة فى سور مبكرة فى التنزيل بأسلوب يلهم أن قصتهم مما كان معروفا متداولا مثل سورة النجم (الآية ٥٢) وسورة ق (الآية ١٢) وسورة القمر (الآيات ٩ ــ ١٥) وسورة ص (الآية ١٢) .

ولقد ذكر فى سورة نوح أسماء أصنام قوم نوح (ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر) وذكرت الروايات أن بعض قبائل عربية فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وقبله كانوا يعبدون هذه الأصنام ويعرفون ويقولون انها أصنام قوم نوح . ولقد وردت قصة نوح مفصلة فى سور ترتيبها سابق لسورة هود فى النزول مثل سور الأعراف ويونس والقمر . وليس فيها تنبيه مثل التنبيه الذى احتوته آية سورة هود . ووردت مفصلة أيضا فى سور الشعراء والصافات ونوح والأنبياء والمؤمنون والعنكبوت خالية من مثل هذا التنبيه .

ولقد جاء فى مطلع قصة يوسف فى سورة يوسف هذه الآية **(لقد كان فى يوسف واخوته آيات للسائلين)** (الآية ٧) وهذا النص يفيد أن من السامعين من كان يسمع قصة يوسف وانهم قد يكونون طلبوا من النبى صلى الله عليه وسلم تفصيلا ذلك فأوحى الله بالقصة كما جاءت فى سورة يوسف . ومتطابقة كثيرا مع ما جاء فى سفر التكوين مع تباين فى بعض الجزئيات . ولا نرى هذا يتناقض أو يتعارض مع احتمال أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم يعرف تفصيل هذه القصة فى سفر التكوين أن نسخه المختلفة التى يمكن أن يكون بينهما تباين ولم يصل الينا منها الا النص المتداول .

وقصة بشارة الملائكة لمريم بعيسى عليهما السلام واردة فى الاصحاح الأول من انجيل لوقا المتداول اليوم بما يقرب لما ورد من ذلك فى سورتى مريم وآل عمران . وفى الاصحاح خبر حبل امرأة زكريا بيحيى عليهما السلام وهى فى شيخوختها بأمر الله وقدرته . ووصفت بأنها نسيبة مريم . وهذا يعنى أن حياة مريم قبل ولادتها لعيسى ونذر أمها بما فى بطنها وكفالة زكريا لها والاختلاف على كفالتها والاقتراع على ذلك بما عبر عنه القرآن بجملة **(يلقون اقلامهم أيهم يكفل**

مريم) كل كذلك مما يمكن أن يكون متداولا فى أوساط النصارى فى البيئة ،النبوية ومما يمكن أن يكون قد سمعه وعرفه كليا أو جزئيا النبى صلى الله عليه وسلم وقومه . وفى كتب تفسير الطبرى وابن كثير بيانات فى صدد ذلك معزوة الى علمـــاء الاخبار من اصحاب رسول الله وتابعيهم مما يؤيد ذلك .

ولقد قال المفسر الخازن تعليقا على آية سورة هود : ان قصة نوح مشهورة وانه ليس ممـــا يحتمل أن لا تكون معروفة وانه يجب صرف الآية الى قصـــد عدم معرفة النبي وقومه جميع تفصيلاتها . وهذا قول وجيه مع اضافة شيء عليه وهو عدم معرفة النبى وقومه جميع التفصيلات التى جاءت فى سورة هـــود بخاصة . لأن مثل هذا التنبيه لم يرد فى سياق القصة فى السور الأخرى ثم عدم نفى أن تكون التفصيلات التى لم يكن النبى وقومه يعرفونها قد وردت فى أســـفار وقراطيس كان الكتابيون يتداولونها . والله تعالى أعلم .

ويصح أن يشمل هذا القول ما جاء فى سورة يوسف من تفصيلات فى قصة يوسف واخوته . وما جاء فى سورة آل عمران فى قصة مريم ايضا حيث تكون حكمة التنزيل اقتضت الايحاء بما كان النبى صلى الله عليه وسلم وقومه لا يعرفونه من تفصيل القصص الثلاث مع عدم تعارض ذلك مع احتمال أن يكون ذلك واردا فى اسفار وقراطيس أخرى .

وهناك آية أخرى تساق أيضا . وهى آية سورة يوسف هذه **(نحن نقص عليك أحسن القصص بمـــا أوحينا اليـــك هذا القـــرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين ..** (الآية ٣) . وازاء ما ذكرناه وشرحناه من حقائق ووقائع لا مناص من تأويل الآية بتأويل لا يتناقض مع ذلك ايضا فيقال والله أعلم أن القصد هو التنبيه على أن النبى صلى الله عليه وسلم كان غافلا عن حقيقة تلقى وحى الله القرآنى أو عن أمور كثيرة من هذه القصص .

— ٩ —

ويتظارف بعض الأدباء ومنهم مسلمون فيطلقـــون على اسلوب القصص القرآنيـــة نعت (الفن القصصى) فى القرآن . ولا ندرى ماذا يقصدون من ذلك . فاذا كانوا يعبرون بهذا الوصف عن توهم كون القصص القرآنية حبكت بالخيال والتزويق والافتعال كما هو شأن القصص ففى ذلك تجـــوز وسوء أدب . لأن القصص القرآنية منزهة عن كل ذلك . فقد كانت كما قلنا معروفة مروية متداولة. فأوحى الله بها بالأسلوب والفحوى اللذين اوحيت بهما لتحقيق هدف الموعظـــة والتذكير والمثل والعبرة والالزام والافحام والانذار والتبشير . وقد يكون من مقاصدهم بذلك النعت التنويه بروعة الاسلوب الفني الأدائى الذى جاءت عليه هذه القصص وما فيها من صور كلامية رائعة . وهذا خطأ بدوره . لأن روعـــة الاسلوب والصور الكلامية فى القصص القرآنية ليست أمرا متميزا عن روعـــة الأسلوب والصور الكلامية فى سائر مواضيع القرآن وآياته وفصوله . فكل هذا بارز فى كل مواضيع القرآن الأخرى . سواء اكانت امثالا ام آيات فى مشـــاهد الكون والخلق ام فى المشـــاهد الأخروية . ام فى الجهاد . ام فى الأخـــلاق والاجتماع . أم فى الجدل والحجاج أم فى الانذار والتبشير . ففى كل ذلك كما

فى فصول القصص من الصور الكلامية الرائعة والأسلوب الأخاذ ما هو نافذ الى أعماق القلوب والعقول . وكل ما جاء فى القرآن من ذلك قد هدف الى هدف وحقق الهدف الذى جاء من أجله .

— ١٠ —

هذا . وقد يسأل سائل عما اذا كانت القصص القرآنيـــة حقائق ووقائع تاريخيـــة فى جزئياتها وكلياتها . ومع أن بعض علماء المسلمين قالوا انه ليس فى قصص القرآن ما هو مستحيل عقلا أو ما يثبت قطعيا عدم وقوعه أو ممـــا ليس محتملا أن يكون وقائع تاريخية حقيقية . ومع ما فى هذا القول من ســـداد فاننا نرى الأولى والأفضل أن نكتفى بالقول وان يكتفى المسلم معنا بالقول ان كل ما فى القرآن وحى ربانى وانا (**آمنا به كل من عند ربنا**) مع القول أيضـــا أن هذه القصص لم يوح بها لتقرر وقائع تاريخية . وان الوقائع المذكورة فيها كانت معروفة عند سامعى القرآن أو واردة فى كتب وقراطيس او متداولة فى روايات شفوية فى بيئة النبى صلى الله عليه وسلم فاقتضت حكمة التنزيل بأن توحى قرآنا بالأسلوب والفحوى اللذين أوحيت بهما وبتكرارها فى صور متعددة وبصيغ متنوعة لتحقيق الأهداف المستهدفة منها التى ذكرناها قبل . وانها من الوسائل والمتشابهات التى لا ضرورة الى استقصاء حقائق جزئياتها ووقائع ما فيها من أحداث أو استنباط ذلك منها أو المجادلة او النقاش والأخذ والرد فيها . وان من الواجب الدينى بل مقتضى الحق والعقل الوقوف عند ما ذكره القرآن منها دون تزيد وتكلف وتخمين .

ومن الجدير بالذكر والتذكير أن القرآن لا يحتوى استقصاء لحوادث القصص الواردة فيه . ولم يكن ما احتواه منها سردا تقريريا لوقائعها حيث اكتفى بذكر ما اقتضت الحكمة ذكره بالأسلوب والفحوى اللذين اقتضت هذه الحكمة ومناسبات السياق لتحقيق الهدف الذى جاءت من أجله من عظة وتذكير وتمثيل وانذار وتبشير وتوضيح وتلقين . وهذا واضح ملموح لكل من يمعن النظر فيها . ولو كان متوسط الثقافة . وهو ضابط مهم يجب على الناظر فى القرآن أن يلتزم به . وفى القرآن ظاهرة مهمة فيها توكيد لذلك واتساق معه . وهى أن أسلوب القرآن فى القصص وهدفه قد اتسقا مع ما ورد فيه من ذكر الوقائع الجهادية والمواقف القضائيـــة والحجاجية وغيرها من أحداث السيرة النبوية بحيث أن الناظر فى القرآن يجد أن ما ورد فيه من ذلك انمـــا ورد للعظة والتذكير والتنبيه والحث والتحـــذير والارشاد والتعليم والتسلية والتثبيت والتشريع . وهذا ظاهر من كون المذكور فى القرآن من ذلك لا يحتـــوى كل الصور والمشاهد والتفصـــيلات للمـــواقف والأحداث . وانما احتوى ما اقتضت الحكمة ذكره منها لتحقيق المقاصد المذكورة . وفى هذا دليل على الانسجام فى الأساليب القرآنية ومراميها . والخروج من هذا النطاق هو خروج عما يلهمه القرآن من نطاق مرسوم لقصصه وتعريف له كمـــا قلنا للنقاش والجدل . واخراج له عن هدفه وهو الهدى والموعظة والذكرى . وهو بعد ليس كتاب تاريخ . ولا يجوز النظر اليه على هذا الاعتبار . والله أعلم . والحمد لله رب العالمين .



للأستاذ عبد القادر طاش التركستانى

مـــا إن بزغت شمس الدعـــوة الاسلامية وعمت انوارها حتى التف الأعداء حولها يكيدون لها ،ويحاولون القضاء عليها بكل ضراوة واستماتة . وكان المنـــــافقون ـــ الذين أظهروا الاسلام بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم ـــ اشد أولئك الأعداء وأخطرهم اثرا فى حياة الدعـــوة . وذلك لأنهم كانوا يختلطون بالمجتمع المسلم ويندسون فى الصف الاسلامى ويفعلون أفاعيلهم ـــ النابعة من حقدهم على الاسلام ، وحسدهم للمؤمنين ـــ وهم آمنون من ان يلومهم أحد .

وقد بدات حركة المنافقين بدخول الاسلام الى المدينة المنورة واستمرت الى قرب انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى .

ويصـــور ابن القيم خطـــورة تلك الحركة واثرها السيء على الاســـلام وأهله فيقول : (فلله كم من معقل للأسلام قد هدموه وكم من حصن له قد قلعوا أساسه وخربوه. وكم من علم له قد طمسوه ، وكم من لواء له مرفوع قد وضعوه وكم ضربوا بمعاول الشبه فى أصول غراسه ليقلعوهـــا وكم عموا عيون موارده بآرائهـــم

ليدفنوهـا ويقطعوهـا ، فلا يزال الاسلام واهله منهم فى محنة وبليه ، ولايزال يطرقه من شبههم سرية بعد سرية ويزعمون انهم بذلك مصلحون **(الا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون)** (١) **(يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون)** (٢) .

وهذه صفحات عن صفات أولئك المنافقين وأسلحتهم فى محاربة الدعوة وعن دورهم فى المعارك التى خاضها الرسول أردت منها أن القى بعض اضواء على تلك الحركة الخطيرة عسى أن ننتفع بها فى معرفة المنافقين الذين يعيشون بيننا اليوم وكشف حقيقتهم وفضح نواياهم لنعمل بعد ذلك على تصفية المجتمع المسلم والصف المسلم منهم حتى نستطيع مواصلة المسيرة الاسلامية بعزم وإيمان دون أن يخذلنا مخذل أو يعوقنا معوق .

● تعريف النفاق :

المعنى اللغوى : يقول علماء اللغة : ــ إن النفاق مشتق من نافقاء اليربوع ، ولليربوع جحران أحدهما النافقاء والثانى القاصعاء ، والنافقاء موضع يرققه بحيث اذا ضرب راسه عليه ينشق وهو يكتمه ويظهر غيره فان ارتاب أو رأى الصائد آتيا اليه من قبل القاصعاء (وهو الجحر الظاهر) ضرب النافقاء برأسه فخرج .

وقيل : ان المنافق مأخوذ من النفق وهو السرب تحت الأرض ويراد بذلك أنه يستتر بالاسلام كما يستتر صاحب النفق فيه (٣) .

وقال الزرقانى فى شرحه على المواهب : ــ ان النفاق اسم اسلامى لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به وهو فعل المنافق الذى يستر كفره ويقيه بالاسلام كما يستتر الرجل النفق وهو السرب فى الأرض له مخرج غير الذى يدخل إليه منه (٤) .

المعنى العام : ــ والمعنى العام للنفاق هو: اظهار الانسان خلاف ما يبطن فى شتى نواحى الحياة فيتضمن الدخول فى الاسلام ظاهرا فقط ويتضمن غير ذلك مما يكون فيه الظاهر مخالفا للباطن(٥) ، مثل التظاهر بالفضيلة فى الوقت الذى لا يؤمن بها الانسان أو لا يمارسها فى الواقع . والنفاق بذلك يكون ضربا من ضروب الكذب ولكنه (يمتاز عن باقى انواع الكذب بأنه ينحط الى دركات الكذب السفلى ويلف فى طياته كلما تلوى أشتاتا من الجبن والصلف والخسة والصفاقة ويدعو الى الحقد والحسد والضغينة ويفتن فى اخراج المآسى المروعة من الخبث والدهاء والمكر السيء وأكل الحقوق) (٦) .

المعنى الخاص :ــ اما المعنى الخاص له فهو : اظهار الاسلام واضمار غيره أو هو التضارب بين العقيدة الباطنة والعقيدة الظاهرة ، يقول ابن القيم : هو أن يظهر للمسلمين إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وهو فى الباطن منسلخ من ذلك كله ، مكذب به . (٧) وقد أورد الفخر الرازى فى تفسيره جدولا مؤسسا على التقسيمات المنطقية ، وتابعه على ذلك البدر العينى فى شرحه للبخارى ، وقد عرفا النفاق بأنه (الانكار القلبى والاقرار باللسان اضطراريا) (٨) .
ولقد حكم القرآن الكريم بكفر المنافقين فقال تعالى : **(ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم)** (٩)

وقال تعالى : (**إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار**) (١٠) . وقال تعالى : (**إن الله جامع المنافقين والمشركين في جهنم جميعا**) (١١) .

● اسباب النفاق :

للنفاق اسباب كثيرة تدعو اليه نذكر منها : —

١ — الخوف : فقد يؤمن الشخص بشيء ثم يرى وجوب ستر ذلك خوفا من المجتمع كالايمان بنظرية فاسدة أو الرغبة في سيطرة او ملك ونحوه.

٢ — الحسد : وقد ينافق الشخص حسدا لغيره على ما وهبه الله له كحسد عبد الله بن ابى بن سلول لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن أعطاه الله القيادة والمكانةالسامية في المدينة .

٣ — وقد ينافق حبا في مال أو طمعا في شهوة وهوى .

٤ — وقد ينافق حبا في جاه عريض ومركز كبير وجلبا لدعاية يطرق في سبيل بلوغها كل الوسائل خيرها وشرها .

٥ — وقد ينافق عداوة لشخص أو مذهب ليحيك بنفاقه وتظاهره بالاخلاص مؤامراته ويختلق دسائسه

● مناحى النفاق :

وللنفاق مناح متعددة وخطيرة ولكن اخطرها وأكثرها اثرا ما يتعلق بالنفاق في الدين والنفاق في الحرب والسياسة .

١ — النفاق في الحرب : ان الناظر في صحائف التاريخ والواعي لوقائعه في جميع عصوره يرى جليا ان كثيرا من الحروب والمآسي التي وقعت كانت تستند — في أغلبها — على قواعد من النفاق والخديعة والمكر وكلنا يعلم أن الجاسوسية والمخابرات ترتكز على النفاق والكذب في نطاقات واسعة ، وما الحرب النفسية أيضا الا نوع من انواع الخداع والنفاق(١٢) .

٢ — النفاق في السياسة والحكم: ومجال النفاق في هذه ممتد الأطراف فما أكثر المؤتمرات والهيئات التي تنعقد لتخرج الى الناس : (منتهى ما وصل اليه العقل البشري من أفانين النفاق والكذب وأساليب الخداع والدهاء والخبث مخلوطا بالالفاظ المعسولة الجميلة ومصبوغا بالوان مستعارة من الحق والمنطق) (١٣) . (ومن أكبر ميادين النفاق دعاوى الاصلاح عندما يكون موضوعها من المسائل التي يمرن فيها الجدل وليس لها روابط محدودة كوسائل التعليم وبرامجه واختلاط الجنس والرقص واساليب السلوك واغلبها يدور حول محور واحد كامن هو ارضاء الشهوات والغرائز وستر ذلك بالصور الفلسفية) (١٤) .

وللاعلام والدعاية والبلاغة البارعة دور بارز في تنميق الأقوال وإلباس الباطل ثوب الحق فكم من الأنظمة تتشدق بأناشيد الحرية والمساواة وهي التي تخنق الحريات وتكتم الأنفاس ، وكم من المسؤولين وذوى الأمر والنهي في الامة يدعون الفضيلة وهم ابعد الناس عنها .

٣ — النفاق الديني : — فقد اتخذ ذوو النفوس المريضة المنحرفة الدين ستارا لأعمالهم الخبيثة وجرائمهم البشعة فتجدهم يدعون التقوى

والصلاح والاستقامة ويغرون الناس بمظاهرهم ثم ياتون خباثتهم فى الخفاء مطمئنين من ان يلومهم أحد لانهم فى نظر الناس ابعد الناس عن الرذيلة ، وهذا المنحى من مناحى النفاق جد خطير واثره فى نفوس الناشئة عظيم .

٤ ـ النفاق فى الأفكار : ـ وبما ان النفاق يقضى على الانسان أن يعتبر ظواهر الامور من كل شىء دون نظر الى حقائقها فلا ضير لدى المنافق إن جرى وراء التيارات المتناقضة والمعانى المضطربة والنظريات الفارغة . بل انه ليتعمد خلق النقاش والجدال فى المسائل التافهة الحقيرة أو التى لا اصل لها البتة .

٥ ـ النفاق فى المجتمع : ـ وهو صورة متكررة فى حياة الناس تجدها فى كل مكان . فالمرؤوس ينافق رئيسه والصديق ينافق صديقه والزوج ينافق زوجته التى تنافق هى أيضا ، وأكثر الناس ينافقون ذوى السلطان عليهم وذوى الجاه والمال فيهم ـ ونحو ذلك .

● الاسلام والنفاق :

اتى الاسلام بتعليمات خاصة ومبادىء معينة تتنافى كليا مع النفاق وقد رسم الاسلام للانسان الطريق الأسمى نحو بلوغه كماله ، وتحليقه فى سماء الفضيلة والمثل العليا ، وقد كان ذلك الطريق متمشيا مع الطبيعة البشرية لا يصادمها أبدا ، ولا يكبت طاقاتها ومن ثم فاننا نقول بكل اطمئنان : ان الاسلام لا يلجىء الانسان الى النفاق لانه لا يتطلب من الناس ما يحوجهم الى النفاق فهو مثلا (لا يقول لهم ان الشعور الجنسى قذر فى ذاته فتطهروا منه وتعالوا عليه نادا عجزوا عن اطاعة هذا النداء ـ تلبية لدوافعهم الفطرية ـ نافقوا ليحافظوا على تعاليم الدين . . كلا انه يقول لهم انه أمر طبيعى ونظيف فى ذاته الى ابعد الحدود (حبب إلىّ من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة) بل يدعوهم دعوة صريحة الى أخذ نصيبهم من المتاع الجنسى اذ يدعوهم الى الزواج والتبكير فيه كل ما فى الأمر انه يمنعهم من اخذ هذا النصيب فوضى على طريقة الحيوان ويتيحه لهم نظيفا طاهرا كما يليق بالانسان . فاذا أطاع الناس تعاليم دينهم فى هذا الموضوع فلا نفاق إذن ولا حاجة الى النفاق وانما الصراحة الكاملة والسعى الواضح المكشوف ، وكذلك الأمر فى بقية تعاليم الاسلام لا تجد فيها النفس السوية حرجا يدعو الى النفاق) (١٥)

● بدء حركة النفاق وأسبابها :

بدأت حركة النفاق بعد الهجرة النبوية الى المدينة ولم يكن لها وجود بمكة ، أما الاسباب التى أدت الى نشوء هذه الحركة فى المدينة : فهى الاوضاع الجديدة والتغييرات الجذرية التى حدثت بعد هجرة المصطفى اليها فلم تكن للاسلام فى مكة دولة أو قوة أو عصبية يخشاها أهل مكة فينافقونها أما فى المدينة (فقد اصبح الاسلام قوة يحسب حسابها كل أحد ويضطر لمصانعتها قليلا أو كثيرا وبخاصة بعد غزوة بدر وانتصار المسلمين فيها انتصارا عظيما وفى مقدمة من كان مضطرا لمصانعتها نفر من الكبراء دخل أهلهم وشيعتهم فى الاسلام واصبحوا هم ولا بد لهم لكى يحتفظوا بمقامهم الموروث بينهم وبمصالحهم كذلك أن يتظاهروا

باعتناق الدين الذى اعتنقه اهلهم واشياعهم ومن هؤلاء عبد الله بن أبى ابن سلول الذى كان قومه ينظمون له الخرز ليتوجوه ملكا عليهم قبيل مقدم الاسلام على المدينة) (١٦) .

ومن المؤكد أن للجالية اليهودية التى كانت تقيم بالمدينة الدور الأساسى والخطير فى نشوء حركة النفاق (فان لليهود تاريخا قديما وعريقا فى النفاق وتدبير الدسائس والمكائد واشعال الفتن هكذا كانوا منذ آلاف السنين ولا يزالون كما كانوا) (١٧) .

● العلاقة بين المنافقين واليهود :

واذا كان لليهود دور أساسى فى نشوء حركة النفاق فما هى الأسباب التى دعت اليهود الى اثارة تلك الحركة واخراجها الى حيز الوجود وتغذيتها وامدادها بالوقود اللازم ؟.

يمكن تلخيص تلك الأسباب فيما يلى :

١ — أن اليهود يعتقدون أنهم شعب الله المختار لذلك فانه يجوز لهم بل يجب عليهم أن يسخروا كل وسيلة — مهما كانت — لبلوغ مقاصدهم ومن تلك الوسائل : أسلحة النفاق والخديعة والدسيسة والكيد الماكر .

٢ — أن الاسلام حينما شع نوره فى أرجاء المدينة الف بين قلوب الاوس والخزرج المتناحرة وصاغ منهم مجتمعا متماسكا متضامنا قويا متوحدا مما افسد على اليهود فرصتهم فى استغلال الخصام الدائر بين الفريقين لصالحهم فعملوا على تغذية حركة النفاق لخلخلة وحدة المجتمع المسلم وتشتيت كلمته .

٣ — كان اليهود يتطلعون الى أن يكون الرسول الأخير الذى بشرت به التوراة والانجيل منهم فلما جاء من العرب .. حسدوه حسدا شديدا وحقدوا عليه وعدوا دعوته لهم الى الاسلام اهانة واستطالة ، واخذتهم العزة بالاثم فعملوا على الانتقام من الرسالة والرسول باشعال نار فتنة النفاق .

٤ — شعور اليهود بالخطر المحدق بهم من جراء عزلهم عن المجتمع المدنى الذى كانوا يزاولون فيه القيادة العقلية والتجارة الرابحة والربا المضعف .

لكل تلك الأسباب كان اليهود يقفون من الاسلام موقف العداء الشديد ويغذون حركة النفاق ضده بل كان كثير منهم مشتركا فى تلك الحركة يعمل مع المنافقين جنبا الى جنب أمثال : أوس بن قيظى وشاس بن قيس وزيد بن اللصيت وسعد بن حنيف .

ومن أساليب اليهود التى اتخذوها لمحاربة الدعوة وزرع الشك والتردد فى نفوس المؤمنين ما يلى :

١ — كان جماعة منهم يأتون رجالا من الانصار ويخالطونهم ينتصحون لهم فيقولون : لا تنفقوا أموالكم فانا نخشى عليكم الفقر فى ذهابها ولا تسارعوا فى النفقة فانكم لا تدرون علام يكون .

٢ — وكانوا يثيرون الاسئلة عن اشياء مريبة ومشككة فلقد جاء نفر منهم يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : متى تقوم الساعة ؟ فنزل

قوله تعالى : « يســـــألونك عن الساعة .. » .

وجاءه مرة جماعة منهم فقالوا : يا محمد هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله .. ؟!

٣ ــ وكانوا يحرضـــون المنافقين على أعمالهم التخريبية ويدلونهم على الخطط التي يمشـــون بمقتضاهـــــا (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى انزل على الذين آمنوا وجـــه النهــــار واكفــروا آخره لعلهــم يرجعون) (١٨) .

٤ ــ وكانوا يطلبون من المشركين أن يسألوا رســـــول الله مثل تلك الاسئلة التي كانوا يثيرونها فقد سألت قريش رسول الله بايعـــــاز من اليهود عن ذى القرنين .

٥ ــ ولشدة حنقهم على الاسلام وحسدهم للمسلمين فقد كانت قلوبهم تكره اجتماع المسلمين والفتهم ويروى ان شاس بن قيس اليهودى مر يوما على نفر من اصـــحاب رسول الله مجتمعين فغاظه ما رأى من اجتماعهم وتحاببهم فأمر شابا من اليهود كان معهم ان يذكر فى المجلس يوم بعاث وبعض اشعار الاوس والخزرج فى ذلك ففعل فتكلم القوم وتفاخـــــروا وتنازعوا فيما بينهم حتى بلغ بهــم الأمر أن تواعدوا للقتال فخرج عليهم رسول الله وهدأ من ثورتهم وعرفهم أن ذلك نزعة من الشيطان وكيد من العدو فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضا .

ومن اجل هذه العلاقة الحميمـــة والترابط الوثيق بين اليهود والمنافقين وبسبب من هذا التشابه الكبير بينهم في الأساليب التى يكيدون بها للاسلام واهله وفى الطرق التى يتبعونهـــا لبذر الفساد والشـــقاق وزرع الفتن والقلاقل فان القرآن الكريم حينمـــا يتحدث عن المنافقين يوضح لنا هـــذه العلاقة بينهم وبين اليهـــود ويصفها (بالأخوة) قال تعالى : **(ألم تر الى الذين يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب ...)** (١٩) وامتدادا لهذه الأخوة فى الدنيا فهم اخوة فى المصـــير الأبدى **(إن الله جـــامع المنـــافقين والكافـــرين فى جهنـــم جميعـــا)** (٢٠) .

---

(١) البقـــرة ١٢

(٢) الصـــف ٨

(٣) راجع القاموس ومختار الصحاح والمصباح المنير (مادة نفق) .

(٤) الزرقانى ج ٣٥٦/١ .

(٥) النفاق والمنافقون لابراهيم على سالم ص ٣

(٦) نفس المصدر ص ٤

(٧) صفات المنافقين لابن القيم ١٥

(٨) تفسير الفخر الرازى وشرح العينى على البخارى ج ٢١٧/١ .

(٩) المنافقـــون ٣ .

(١٠) النســـاء ١٤٥ .

(١١) النســـاء ١٤٠ .

(١٢) سنرى صورا للنفاق فى الحرب فى حلقة قادمـــة .

(١٣) و (١٤) النفاق والمنافقون ١١ و ١٢ .

(١٥) فى النفس والمجتمـــع لمحمـــد قطب ١٠٤ و ١٠٥ .

(١٦) فى ظلال القرآن م١ ج٢٧/١ و ٢٨ .

(١٧) النفاق والمنافقون ٧٦ .

(١٨) آل عمـــران ٧٢ .

(١٩) الحشـــر ١١

(٢٠) النســـاء ١٤١ .



أبو حيان التوحيدي

عرض وتحليل الدكتور : يوسف نوفل

ما تزال الندرة تكتنف جنبات تراثنا المشرق ، وما يزال رجال هذا التراث وأعلامه يتوارون خلف غلالات التجاهل والنسيان على الرغم من روعة الدور الذي قام به هؤلاء الاعلام وعلى الرغم من أهمية ما يلقيه التراث من أشعة تترامى الينا عبر مسافات السنين وتنائى العصور .

وقليل أولئك الباحثون الأفذاذ الذين أعطوا من وقتهم وجهدهم وتفكيرهم الكثير لهذا التراث القابع خلف تراكم الزمن ، وللاعلام الراقدين تحت جبال النسيان ، واستاذنا الاستاذ الدكتور أحمد محمد الحوفى واحد من هؤلاء ، فقد قدم لنا من قبل دراسات عديدة طيبة عن أعلام التراث مثل كتابه عن ابن خلدون حيث عرض آراءه في التربية وعلم الاجتماع التى لم يعرض لها الدارسون من قبل ، كما درس ادبه النثرى والشعرى ، وكتابه عن الطبرى الذى شمل دراسة لعصره ، وبيئته ، وحياته ، ومصادر ثقافته ، والوانها ، وعرض لتلاميذه ، ولمؤلفاته ، ودراسة لشخصيته ، ولمناهجه فى التفسير والتاريخ والفقه ، وكتابه عن الجاحظ الذى قدم فيه دراسة لعصره ، وحياته ، وعالم شخصيته ، ومؤلفاته وخصائصه الفنية ، مع تحليل بعض كتبه .

والى جانب دراساته عن أعلام التراث هناك العديد من جولاته الفنية حول القيم والمعانى المبثوثة فى تراثنا القديم ، مثل : الفكاهة فى الأدب ، والبطولة والبطل ، وسماحة الاسلام ،

وادب السياسة فى العصر الأموى ، والغزل فى العصر الجاهلى ، والمرأة فى الشعر الجاهلى ، والمثل السائر لابن الأثير (تقديم وتحقيق وتعليق) وفن الخطابة وغير ذلك من مجالات البحث .

•• •• ••

ونحن اليوم امام دراسة جادة لباحثنا الكبير حول ابى حيان التوحيدى ، وقد يحسن أن نلتقى بشىء مما جاء بمقدمة الكتاب :

(اللهم لك الحمد ، وبك الاستعانة ومنك التوفيق ، وبعد :

فهذا كاتب قدير ممن زاوجوا بين العبارة الناصعة واللغة البارعة والفكرة الثرية ، وممن خلفوا للأعقاب ينبوعا ثرا من المعرفة ما زالوا يرتشفون من سلساله ويرتوون .

اتصلت به عن بعد حينما قرأت على عجل موضوعات من كتابه (المقابسات) ، وموضوعات أخرى من كتابه (الهوامل والشوامل) ولكن هذا الاتصال العاجل أوحى الى باكبار علمه والاعجاب بفنه .

ثم اتصلت به عن قرب قريب ، وعشت معه مدة من الزمن ، حينما شرعت اكتب هذه الدراسة ، فعظم اكبارى لعلمه واعجابى بفنه ، وأيقنت أن الرجل مغبون القدر ، مهضوم المكانة ، وايقنت أنه أجدر بالدراسة والتقدير من ارباب الصناعة اللفظية ، الذين ذاعت شهرتهم فى حياتهم وبعد مماتهم ، وما زالوا يدرسون الى اليوم على انهم زعماء مدرسة أو أصحاب طريقة فى الكتابة كابن العميد ، وابن عباد ، والقاضى الفاضل ولسان الدين بن الخطيب .

والحق ان ابا حيان يفضل هؤلاء جميعا ، ويفضل اضرابهم من كتاب الزخرف والزينة كبديع الزمان ، والحريرى ، والقاضى الفاضل .

نعم يفضلهم بعدة مزايا ، ساعرض لها حين اوازن بينه وبين كتاب عصره ، وحسبه أنه كاتب يحفل بالفكرة والعبارة معا ، وانه يستلهم مشاعره وعواطفه ، كما يعتمد على التأنق والافتنان وانه قد جال بقلمه فى ميدان العلم والمعرفة ، فطوع النثر للترجمة عن الثقافة فى تعبير من الأدب الرفيع ، وبهذا أكمل ما فعله الجاحظ من قبل) .

وقد يحسن بعد هذا الجزء من المقدمة أن نلتقى بنظرة عامة حول خطوات هذا البحث ومجالاته .

يبدأ الفصل الاول وعنوانه : اعاصير السياسة ، بتعريف بالخلافة والخلفاء والظروف السائدة آنذاك ، وما نشب من اختلاف وصراع ، ثم ما جد على الدولة من توسع .

أما الفصل الثانى ، وعنوانه : تيارات ثقافية ، فيعرض لاستمرار النشاط العلمى والأدبى وقوته ، ويذكر أمثلة من تشجيع الدويلات للعلم والأدب ، وحركة الترجمة من اللغات الاجنبية ، واتصال أبى حيان بكثير من التراجمة ، وازدهار مراكز الثقافة والأدب ، وكثرة العلماء والأدباء ، ومتابعة ظواهر جديدة فى النشاط العلمى والأدبى ، ونضج العلوم وكثرة المكتبات ، واتخاذ اللغة العربية واللغة الرسمية والادبية ، وتنافس المدن والعواصم ، الجديدة التى أصبحت مراكز للثقافة .

أما الفصل الثالث ، وعنوانه ، معالم حياته ، فيتناول بوعى واحاطة تعريفا وافيا بأبى حيان : اسمه وكنيته ، ومولده ، ووفاته ، واصله ، وترجيح عروبة أصله ، وحرفته .

أما الفصل الرابع ، وعنوانه : ثقافته ، فيحيط بذكاء بثقافة عصره ، وينابيع ثقافته ، وابرز الوانها من : فلسفة ، وفقه ، وحديث ، ولغة ، وعلم الكلام ، والادب .

أما الفصل الخامس ، وعنوانه فى قصور الخلفاء ، فيتناول الحياة الادبية من خلال اتصال الأدباء

بالخلفاء ، ويبرز هنا ابن العميد ، وابن سعدان .

أما الفصل السادس فهو عن معالم شخصية أبى حيان ببيان آثار عصره فيه ، وشغفه بالمعرفة ومظاهر شغفه ، واعتداده بعمله ، وبواعث هذا الاعتداد ، وطموحه الى التقدير وبواعثه وتطلعه الى ما نسميه اليوم منحة التفرغ ، ومظاهر طموحه ، وصراحته ، وبواعثها ، والرد على اتهامه بالتجنى فى الثلب والتجريح ، وأمانته فى ذكر المحاسن والمساوىء وحسن ظنه بالناس ، وأخلاقه ، وشكواه ، وتدينه ، والشهادة بسلامة عقيدته ، والرد على اتهامه بالزندقة ، وتصوفه ، ومظاهر هذا التصوف ، ونوع تصوفه ، والفرق بينه وبين المتصوفة ، ووجوه الاتفاق بينه وبينهم ، وأمانته فى الرواية وبواعثها، ومظاهرها ، كما يناقش باحثنا الكبير — فى هذا الفصل — اتهام أبى حيان بالوضع ومصدر هذا الاتهام والباعث عليه وأدلة ابن أبى الحديد فى نسبتها الى أبى حيان ومناقشة آراء كل من :

محمد كرد على ، والدكتور عبد الرزاق محيى الدين ، والنويرى ، ويخلص باحثنا الفاضل الى أن الرسالة قد وضعها أبو حامد المروزى أو أبو حيان ، ثم يقيم الأدلة على تبرئة ساحة أبى حيان ، ويمضى مع أبى حيان حتى نصل الى احراق كتبه ، وخلاصة دفاعه عن فعلته .

أما الفصل السابع وعنوانه : اضواء على مؤلفاته ، فيعرض لمؤلفاته بالعرض الواعى والتحليل العميق مثل :

المقابسات ، والهوامل والشوامل، والامتاع والمؤانسة ، والصداقة والصديق ، وأخلاق الوزيرين والبصائر والذخائر ، والمحاضرات ، وتقريظ الجاحظ ، ورسالة العلوم ، والزلفة ، والاشارات الالهية .

أما الفصل الثامن فيعرض لخصائصه الفكرية والفنية .

أما الفصل التاسع فيعرض لمكانة أبى حيان بين كتاب عصره .

ثم يأتى الفصل العاشر ليعقد موازنة بينه وبين الجاحظ .

. .. .

والكتاب يعتمد على ثلاثة وسبعين مصدرا ومرجعا كلها من عيون الفكر والأدب والثقافة الاسلامية ، وهى عيون نجد أنفسنا فى أمس الحاجة الى الالتقاء بها والنيل من ينابيعها الثرة وعطائها العظيم ، غير أن الجدير بالالتفات حقا ليس ما تحتويه المراجع والمصادر فحسب ، فكثير من النقول قد يصنع مؤلفات ضخمة ، وانما الخطير فى الأمر ما يكمن وراء الرجوع الى المراجع من فطنة وذكاء واحاطة شمول ، ومعرفة ودراية ، واخلاص وصدق ، وتلك أمور أربعة لا يستقيم بدونها منهج فكرى ، أو مبحث أدبى ، فبالفطنة والذكاء تتولد لدى الباحث يقظة للأمور وتنبه للقضايا ويتبع ذلك حسن معاملة هذه القضايا ، وبالاحاطة والشمول يلقى الباحث نظرة (صقر) تعبر المسافات وتحلق فى الأزمان ، فتربط ما مضى بما هو حاضر ، أما المعرفة والدراية فتجنب الباحث الزلل والعثرات وتجعله واعيا بمشكلات بحثه وقضاياه مقدما ما يستحق التقديم مؤخرا ما يستوجب التأخير ، ثم يجمع ذلك كله وعاء خطير هو وعاء الاخلاص والصدق ، فالبحث أمر شاق وعسير لا يأتى الا لمن يتجرد له بمواهب وقدرات محاطة بقدرة على التحمل ، وصبر وجلد ، وصدق فى المعاناة وتقمص شخصية البحث والتجرد من الزمان والمكان الخاصين بالمؤلف واحلال البحث محلا كريما فى نفسه يجعله قطعة من نفسه على نحو ما يفعل

الصوفى أو العاشق . وكل هذه الامور قد اجتمعت لدى باحثنا فأثمرت هذا البحث الجاد .

قضايا ومشكلات :

ونجد أنفسنا ازاء بعض القضايا التي تستأثر بالاهتمام وتنتزع قارئها ليخلص اليها ويقف عندها متأملا فاحصا مستوعبا ، وخاصة اذا كانت هذه القضية مما يتصل من قريب أو بعيد . بمبادىء ديننا الحنيف وعقيدتنا السمحة .

اتهامه بالزندقة :

« هذا الرجل الذى لم يجد من رفاهية الحياة ما يلائم علمه وأدبه ، ولم يلق من رعاية الوزراء والأمراء فى عصره بعض ما لقى من هم اقل منه علما وأدبا ، فقضى حياته يائسا ناقما هذا الرجل قد اتهم فى عقيدته ، وهى تهمة اشد ايلاما من البؤس ، واقسى نكالا من الفقر ، لأنها تبغضه الى الخاصة والى العامة ، وتلقى على انتاجه غبارا كثيفا من الشك ، وتكاد تطوح بمكانته الأدبية والعلمية فى عصر لم يكن يحتمل من الزندقة والإلحاد ما يوصف بأنه زندقة وإلحاد وان كان بريئا .

وربما كان أول من اتهمه بالزندقة الكاتب اللغوى الأديب ابن فارس (المتوفى سنة ٣٩٠ هـ) فى كتابه الفريدة والخريدة ، فقد نقل عنه قوله : كان أبو حيان قليل الدين والورع عن القذف والمجاهرة بالبهتان .. الخ . ثم جاء ابن الجوزى (المتوفى سنة ٥٩٧ هـ) فقال : « زنادقة الاسلام ثلاثة : ابن الراوندى والتوحيدى ، وأبو العلاء المعرى وشرهم على الاسلام أبو حيان ، لأنهما صرحا وهو مجمج ولم يصرح » ثم ردد الذهبى هذه التهمة ، وجرت دائرة المعارف على انه نفى لزندقته ، قال مرجليوث : (نفاه المهلبى المتوفى سنة ٣٥٢ هـ ٩٦٣ م) من بغداد .. لزندقته) ووافقهم محمد كرد على ، ولكن علماء آخرين شهدوا له بسلامة العقيدة وصحة الدين فهو فى رأى ياقوت صوفى السمت والهيئة ، متعبد ، والناس على ثقة من دينه ، وابن النجار يصفه بأنه كان فقيرا صابرا متدينا صحيح العقيدة ، ودافع عنه السبكى وارجع حملة الذهبى عليه الى محاكاته لما قاله ابن فارس، والى ما قاله ابن الجوزى والى أمر ثالث هو بغضه الشديد للمتصوفة .

وقد ذهب باحثنا الثقة الى تبرئة ساحة أبى حيان وقال :

(ومن الميسور أن ابطل هذه التهمة الجائرة بعدة ردود :

١ ــ المفهوم من كلام ابن فارس أن الصاحب بن عباد طلبه ليقتله ففر منه ، ثم تعقبه الوزير المهلبى فاستتر منه حتى مات فى الاستتار ، وهذا كلام تعوزه الصحة ، لأن أبا حيان ، كما تبين فى صلته بابن عباد تركه سنة ٣٧٠ هـ ، والوزير المهلبى توفى سنة ٣٥٢ هـ ، فكيف يتفق هذا ؟ لقد اتصل أبو حيان بالصاحب ، ثم تركه بعد ثمانية عشر عاما من وفاة الوزير المهلبى الذى قيل إنه تعقبه ليقتله .

٢ ــ لم يشر أبو حيان ــ على دقته فى وصف الأشخاص والأحوال ، ولا سيما حالته ــ الى أن ابن عباد فكر فى قتله وأوعز بحبسه ، ولو أن شيئا من هذا حدث لذكره ، على عادته فى تفصيل الأحداث والتشنيع على ابن عباد ، ووصف ما لقى من حرمان وخيبة فى صلته به .

٣ ــ يحملنى على الشك فيما زعم ابن فارس من نسبة الزندقة الى أبى حيان ومن نسبة التفكير فى قتله الى ابن عباد أن ابن فارس كان أستاذا لابن عباد قبل أن يلى الوزارة ، وكان صديقا له لما تولاها ، وكان أستاذا لأبى الفتح ابن العميد .

وقد هجا أبو حيان ابن عباد وابن العميد ، فمن المرجح أن ابن فارس أراد أن يشوه سمعته ويثأر منه ،

فألصق به تهمة الزندقة وأراد أن ينسب الى ابن عباد الغيرة على الدين ، فزعم انه هم بقتل أبى حيان ولكنه هرب منه .

٤ ــ كان ابن فارس معاصرا لأبى حيان ، وقد ذمه أبو حيان ذما شنيعا، وتنقصه فى مجلس ابن سعدان بقوله : انه شيخ فيه محاسن ومساوىء ، الا ان الرجحان لما يذم به ، لا لما يحمد عليه ، فمن ذلك أن له خبرة بالتصوف ، وهناك ايضا قسط من العلم بأوائل الهندسة وتشبه بأصحاب البلاغة ، الا أن هذا كله مردود بالرعونة والمكر والايهام والخسة والكذب والغيبة .

٥ ــ ابن فارس الذى يسند اليه اتهام أبى حيان بالزندقة والموت فى الاستتار قد مات قبل أبى حيان ، وسواء أكانت وفاة ابن فارس سنة ٣٦٠ هـ أو ٣٦٩ هـ أو ٣٧٥ هـ أو ٣٩٠ أو ٣٩٥ هـ ، فانها كانت قبل وفاة أبى حيان .

فكيف يقرر وفاة شخص آخر لم يمت بعد .

واذا اراد احد أن يأخذ بشق رايه وهو الاتهام بالزندقة ، وذهب الى أن الشق الثانى مدخول عليه فان اتهامه بالتحيز لابن عباد وابن العميد ما زال قائما يقدح فى طعنه أبا حيان ، وموت الوزير المهلبى قبل أبى حيان يقطع ببطلان تعقبه ليقتله .

على أنى لا أستبعد أن يكون خصوم أبى حيان هم الذين فعلوا ذلك ، ولكنهم أسندوه لابن فارس ليزيدوه قبولا وتثبيتا فى نفوس سامعيه .

٦ ــ ابن الجوزى ــ كما ذكر السبكى ــ متعصب على الصوفية ، مبغض لهم ، لهذا زاد من عنده قوله : (وأشدهم على الاسلام أبو حيان) .

٧ ــ اذا وازنا بين أبى حيان وابن الراوندى وأبى العلاء المعرى لم نجد تشابها يبيح لابن الجوزى ان يجعله أشد الثلاثة ضررا على الاسلام ، أو يسلكه فى عداد المعادين للاسلام .

أما ابن الراوندى فلا جدال فى زندقته وكفره ، لأنه زعم أن فى كلام أكثم بن صيفى ما هو أحسن من بعض القرآن ، وادعى أن القرآن غير معجز بأن المسلمين احتجوا لنبوة نبيهم بالقرآن الذى تحدى به النبى العرب، فلم يقدروا على معارضته فقال لهم : لو ادعى مدع لمن تقدم من الفلاسفة مثل دعواكم فى القرآن فقال : الدليل على صدق بطليموس أن اقليدس ادعى ان الخلق يعجزون عن أن يأتوا بمثل كتابه لكانت نبوته ثبتت .

وأما أبو العلاء فقد اتهم بالالحاد لبعض آرائه التى رددها فى لزومياته ولما قيل إنه عارض القرآن بكتابه الفصول والغايات على نسق السور والآيات وان كان مظلوما فى اتهامه بالمعارضة لأن كتابه لا يشير الى ذلك ، وأما أبو حيان فليس فى كلامه ما ينبىء عن زندقة أو الحاد .

٨ ــ بل ان فى كلام أبى حيان ما ينقض دعوى خصومه نقضا لا يبقى ولا يذر ، فقد كان يغار على الدين منذ حداثته .

٩ ــ وفى سلوكه ما يكفى لنقض هذا الاتهام ، لأنه كان يصلى بالمسجد ، ويشكو انه لا يرى بجواره الا قصابا أو ندافا .. وقد حج سنة ٣٥٤ هـ ، ولأنه كان متصوفا طول حياته ، ثم منقطعا للتصوف فى أخريات حياته ، اذ قضى سنواته الاخيرة بين الصوفية ، وانطبع بطابعهم ، ومات بينهم ، ودفن بجوار علم من اعلامهم .

ولم يكن تدينه ليخفى على معاصريه ولهذا يقول ياقوت : إنه كان يتأله والناس على ثقة من دينه .



وإذاً.. فما من التخلف

للدكتور : محمدسعيد رمضان البوطى

عقبت على كاتب جاء يقول : ان من أهم أسباب التخلف وضعف الانتاج عندنا ، الاعتقادات الغيبية واحالة الامور الى الله والتواكل الذى يتولد من ذلك . فقلت أولا :

ان أصحاب الاعتقادات الغيبية والمتبصرين ــ حقا ــ بسلطان الله فى الكون ، هم اليوم بعيدون عن الطريق .. وليس بيدهم ما يضيقون به سبيلا على أحد ، أو يعيقون به تقدم أى مخلص للأمة والوطن .. وأفردت هذا الحديث فى مقال .

وقلت ثانيا : ان الغيبيين حقا هم الجاحدون بغيبيات الاسلام .. وليس كل ما قد غاب عن الحس وسلطانه مقضيا عليه بالوهم أو العدم .

والانسان يخطو فى سلوكه العلمى والمعاشي معتمدا على التاريخ الماضى وتصورات المستقبل . وكلاهما خارج عن سلطان الحس مغموس فى ظلمات الغيب . والذى يريد أن يستعلى فى سلوكه عن وحى كل منهما ، لا يستطيع أن يستفيد من عقله شروى نقير ، ولا يملك الا أن يسجل اسمه ، بكل فخر ، فى ديوان المجانين . وأفردت هذا الحديث أيضا فى مقال .

واذا ، فلنعد الى صلب الموضوع ولنتساءل : فما هو سر تخلفنا اذا ؟

ــــ ● ــــ

هنالك فئة من الباحثين ، يوفرون على أنفسهم عناء التفكير فى هذا

هو السر فيما نعانيه

وضعف الانتاج ..؟

البحث ، عندما يطيب لهم أن يتبنوا الرأى القائل بأن للحضارات أعمارا كعمر الانسان ، فهى تنشأ فى ضعف ، ثم تسير الى قوة ، ثم تعود الى ضعف ، ثم تنتهى بموت .. وهى لا بد أن تنتقل فى هذه المراحل ، ثم أن تلقى حتفها أخيرا ، مهما أحيطت به من رعاية وحفظ . كالانسان ذاته ، لا بد أن يسير فى مثل هذه المراحل ذاتها مهما حذر وحاول ، بل كأى شىء مادى دخل تحت سلطان هذا الوجود ، لا بد أن تجده ممهورا بطابع هذا القانون : ضعف ، فقوة ، فضعف ، فموت .. !

وهم يعللون ادخالهم للحضارة فى هذا الشمول ، بأن الحضارة ليست الا ثمرة جهود متناسقة بذلتها الموجودات الخاضعة لهذا الحكم ، بدءا من الانسان الى أصغر مظهر من مظاهر الطاقة . فلا بد أن ينعكس على الثمرة سلطان القانون الذى يخضع له المثمر .

وربما ادخل بعض هؤلاء الباحثين اسم ابن خلدون فى قائمة أصحاب هذا الرأى . وربما استدلوا على ذلك ببعض ما قد جاء فى مقدمته ، مما يشبه أن يكون تقريرا لهذا الرأى ..

والحقيقة أن ابن خلدون ، وان يكن شبه الحضارات بأعمار الناس ، ولكنه لم يقرر حتمية غروبها ، كالحتمية الثابتة لغروب أعمار الناس ، بل أسند كلا من نشأتها وقوتها وضعفها الى أسباب داخلة فى اختيار الناس وخاضعة لما من شأنهم أن يملكوه من طاقة وجهد . فهو

ليس من هذا الراى واصحابه فى شىء .

والحقيقة ايضا ان التعليل الذى يعتمدونه لذلك ، تعليل باطل ، وان جاء فى مظهره الشكلى منطقيا سليما .

ذلك لأن الوجود الذى يتصف به جنس الانسان والمكونات ينقسم الى قسمين :

وجود فردى ، يتمثل فى المشخصات الجزئية ، فهذا هو الذى يخضع لقانون الولادة والفناء وما بينهما من مراحل قوة وضعف .

ووجود نوعى ، يتمثل فى الماهيات المتنقلة ضمن سلسلة المشخصات المستمرة . وهذا لا يخضع للقانون المذكور ولا شأن له به ، فان الوجود النوعى للقوة مستمر متصل، وان تنقل ضمن حلقات متغايرة فى سلسلة الموجودات الفردية أو الجزئية . وانما يتم النسيج الحضارى لأمة ما بقوة من هذا الوجود الثانى ، لا بحراسة قصيرة من الوجود الجزئى الأول .

واذا ، فالحق الذى لا مناص منه، هو أن نجهد الفكر فى البحث عن أسباب هذا التخلف الذى نعانيه ، فان لذلك أسبابا عائدة الى تقصيرنا . وان للتغلب عليها وسائل خاضعة لجهودنا وامكاناتنا . وما الشيخوخة التى انتهت إليها حضارتنا اليوم الا ثمرة حكم اختيارى تسببنا له بملء اختيارنا وحريتنا .

ان ما يسمونه بالتخلف أو ضعف الانتاج ، عندنا ، يعود الى أسباب ، سأتحدث عنها بالقدر الذى يسمح به المجال .. فلا جرم أنى سأختصر الكلام فى بعضها رغم أهميته ورغم الحاجة الماسة الى الافاضة فيه . ولكنى اترك لذهن القارىء الحصيف أن يفهم تفصيل ما أختصره ويقف على شرح ما أوجزه . وهذه الأسباب ما أظن أنها تزيد على الامور التالية :

أولا — فقد الاستقرار الفكرى والنفسى :

وهذا السبب ينشأ بدوره عن الوان شتى من الاضطرابات ، كلها موفورة فى مجتمعنا بحمد الله ، وهو الالهالعادل الذى لا يحمد على مكروه سواه .

ان من هذه الالوان ، الاضطرابات فى فهم القيم والمعتقدات ، ونشوء الصراعات المختلفة حولها .. فى كل الاماكن والمجالات ، بدءا من مدارس الاطفال ، الى مجالس الشورى ومؤسسات التشريع والتقنين .. !

ومن هذه الالوان الاضطرابات السياسية الناشئة عن عوامل خارجية كالعدوان أو الاحتلال الاجنبى لبقاع من البلاد العربية والاسلامية ، وما يتبع ذلك من استنزاف الفكر والقوى ، وتبديد الطاقات المختلفة على جبهات شتى .

ومن هذه الالوان اضطرابات الحكم الناشئة عن قلاقل داخلية أو خارجية .. يطول الحديث عن تحليل أسبابها والكشف عن خفاياها ، ومن

اهم نتائجها انصراف الحكام — فى اكثر الاحيان — الى بذل اكبر قدر من الفكر والجهد ، لتغذية الحـذر من شعوبهم ، وتشـديد الرقابة على احوالهم واوضـاعهم واوجه نشاطاتهم .

ان من البداهة بمكان ، أن هذه الاضطرابات — وهى نمـاذج لألوان كثيرة أخرى — من شأنها أن تعصف بالاستقرار الفكرى والنفسى فى كيان الامة ، وأن تجعلها عاجزة عن أن تتفرغ للنظر فى اى مشاركة حضارية او نهضة علمية او للعكوف على اى عمل انتاجى دائب .

ثانيا — فقد الثقة بين قطـاعات الأمة عامة ، وبين الحاكم والمحكومين خاصة :

وقبل أن اشرح لك هذا السـبب الثانى ، يجب أن اذكرك بأن الدخول فى أى مشروع انتاجى مهما كـان نوعه ، انما يعتمد قبل كل شىء على رصيد من التفاعل والتعاون ، ولا يمكن لشىء من ذلك أن يولد بجهود جانب واحد . وانما أعنى بالتفاعل والتعاون ذلك القدر الشامل الـذى يغطى رقعة الامة كلها ، فلا قيمـة لتعاون ينهض به أفراد طرف واحد ، مهما كثرت الافراد ، ومهما تنوعت اختصـاصاتهم ، ومهما انبسـط سلطانهم .

اى أن اتصافهم بكونهم طرفا أو فئة ، يفسد كل قيمة ذاتية لكثرتهم وقوتهم . ذلك لأن اول مظـهر من مظاهر قوة الطـرف الواحد — فى مثل هذا الصدد — أن يتلاقى على صعيد من التفـاهم والتواثق مع الاطراف الاخرى . واخطـر بادرة لضعفه وخيبة مساعيه أن يتقـوقع سعيه ونشاطه الاصلاحى ضـمن واقعه الخاص به وجانبـه الذى لا يشركه فيه غيره .

ان فئة ما من أفراد الأمة تستطيع بقوتها أن تحطم دولة وتقهر شـعبا وتسيطر على حكم، ولكنها لا تستطيع أبدا أن تخلق بقوتها هذه تقـدما وازدهارا وانعتاقا من أسباب التخلف والضعف . ذلك لأن بين طبيعـة الأمرين فرقا كبيرا :

الأمر الاول منهما لا يعتمد الا ما لدى تلك الفئة من عزيمة وقوة ودقة تخطيط .

أما الامر الثانى فانما ينهض على استخراج أسباب القوة ومقـومات التقدم من جميع فئات الشـعب وافراده ، ثم ضـفرها جميعا فى سبيل الرقى والانطلاق . ان الأمر الاول ليس أكثر من لكمة تسدد الى هدف ، وانمـا يكفى من أجلها يد واحدة ، أما الامر الثانى فانما هـو كالتصفيق لا ينبعث صـوته الا باجتماع الكفين والتقائهما — فى خبرة وحرية تامة — على القيام بعمـل واحد .

ولنتأمل فى مثال واحد ، من امثلة المشاريع التى تسـتهدف التقدم والازدهار . انه مثال العمـل على التنمية الاقتصادية .

ان (التنمية الاقتصادية) كلمة ارتفع لواؤها فى اكثر البلاد العربية منذ سنوات طويلة ، ولقد فاضت بالحديث عنها الاذاعات ، وامتلأت برسم حروفها الصحف والمجلات ، وفلسف الناس عنها فى مئات من المحاضرات والندوات . ثم وضعت لتنفيذها الوسائل والمخططات .. وتأتى اليوم بعد ذلك كله تبعث العين بحثا وراء نتيجة ذلك الغليان كله ، فتسمع جعجعة ولا ترى طحنا .. !

لماذا .. ؟ لأن الذين رفعوا لواء هذه التنمية وراحوا يهدرون بالحديث عنها ، انما انطلقوا فى ذلك من خطة انفردوا عن سواد الناس فى الايمان بها والاعتماد عليها ، فلم يقفوا — فى سعيهم هذا — على اى ارضية من التعاون مع الآخرين . فبقيت أسباب التنمية ووسائلها وأدواتها مبعثرة فى أيدى سواد الأمة ودهمائها على اختلاف طبقاتها ، وبقى فى أيدى أولئك الهائجين مجرد أوراق مكتوبة ومشاريع مخطوطة .

سيقول قائل : ولكن ما الذى يمنع سواد الأمة من التعاون .. ؟ ان العيب فيمن يدعى ثم لا يستجيب ، وليس العيب فيمن دعى فلم يستجيبوا له .

والجواب أن الذى يصد عن التعاون انما هو فقد الثقة. والثقة قاعدة أساسية لا بد منها بين يدى الانطلاق الى اى عمل اصلاحى لاسيما ان كان يستهدف ثمرة اقتصادية عامة .

ومن اين تأتى الثقة .. ؟
تأتى الثقة من مصدرين اثنين لا يغنى أحدهما عن الآخر ..

المصدر الأول : يقين الأمة باخلاص أولئك الذين يتحرقون فى الحديث عن التخلف والتنمية وأسبابها .. ولا مجال للاطالة فى هذا المصدر الاول، فلأترك التفصيل والشرح لحصافة القارىء الكريم ، كما قلت .

المصدر الثانى : التلاقى على مبادىء متفق عليها لمعالجة التخلف على أساسها ، ولاقتباس خطة التنمية وسبيل التقدم منها . فاذا لم يجتمع السواد الاعظم من الامة ، حكاما ومحكومين ، على مبادىء متفق عليها ، فان الدعوة الى التعاون فى سبيل وضع خطة للتنمية لا تلقى استجابة كافية ، لأن الثقة بهذه الدعوة معدومة ، أو هى من القلة والضعف فى حكم المعدومة . واليك المثال :

السواد الاعظم من هذه الأمة لا يرى للازدهار الاقتصادى وسيلة خيرا من تلك التى تعتمد على النظام الاسلامى فى شؤون المال والاقتصاد . فاذا قام من يضع خطة للتنمية الاقتصادية على هذا الاساس ، واستشم الناس صدقه واخلاصه ، أحدق به الناس من كل صوب ومدوا اليه يد التعاون بأشكاله المختلفة ، وقدموا له رؤوس أموالهم فى غبطة وسرور ، وازدهر من ذلك تعاون مثمر بناء .

أما اذا قام من يروج لمبدأ مستورد (أيا كان) يزعم انه يبنى عليه منهاجا اقتصاديا رائعا ، فانه مهما روج لما يقول ، ومهما جادل عن مبدئه بالأدلة والبراهين ، ومهما استخرج أموال الناس من جيـــوبهم ، أو من تحت « البلاط » في بيوتهـــم ، فانه لن ينجح فى العثور على أى استجابة مفيدة منهم . ذلك لأنهم لا يثقـــون بالمبدأ ، ومن ثم فهم لا يثقون بالداعى اليه ، ومن ثم فهم لا يثقون أيضـــا بالتقدم الاقتصادى المستند اليه .

ومرة اخرى اذكر القارىء بتجربة بنوك الادخار فى ميت غمر ، لقد كان رأس مال هذا المشروع قبل كل شىء الاستحواذ على الثقة .. ثقة الناس بأنه مشروع قام ليخدم مصـــــــالح الناس على سبيل من مرضاة الله ، ولم يقم ليســـــتغل رؤوس اموالهم ويربح من وراء ظهورهم ، وانه ليس الا تحقيقـــــا لمنهج القرآن فى محق الربا وتربية الخـــــيرات والاموال لاصحابها ..

عندئذ ظهرت الاموال الحبيسة ، وتقدمت الايدى المتعـــاونة ، ودار دولاب العمل ، وسعى سعيه الحثيث العجيب ، وأنتج نتائجه المعروفة لكل باحث ومهتم بحقائق الامور .

ثالثا — اعتماد الهويات والتبعيات السياسية بدلا من الكفاءات العلمية :

وهذا السبب يتفاوت فى الشـــدة والضـــعف ما بين مجتمع وآخر . ولكنه فى الجملة يعتبر من اخطـــر أسباب التخلف ، أيا كان نوعه ، فى بلادنا العربية .

وينبع هذا السبب من ظاهرة اشد خطورة وضررا ، وهى اتخاذ المذهب الســـــياسى (الذى قد يعبر عنـــه بشعارات والفاظ عدة) غاية مقدسة براسها ، لا سبيلا الى تحقيق بعض مظاهر الخير للمجتمع . ان أعظـــم كسب تقدمى ، انمـــــا يتمثل (فى فلســـــفة من تعيش لديهم هـــــذه الظاهرة) ، فى انتصار هذا المذهب بحد ذاته ! .. ومهمـــــا عظمت التضحيات وتلاحقت النكبات ، فان فى بقاء هذا المذهب سليما ، ما يهون شأن ذلك كله .

ان خطة التنمية الاقتصـــــادية ، وبرامج التقدم العلمى ، ومقـــومات التوسع الصــــناعى ، كل ذلك ما ينبغى أن يأتى — فى فلسفة أصحاب هذه الظاهرة — الا فى دور الجندى المحـــــافظ على وجود ذلك المذهب السياسى وسلامته .. !

واذا ، فأين تبقى الكفاءات العلمية المختلفة — وما اكثرها فى بلادنا — عندما تفضل أن تكون متحررة عن ســــلطان اى تبعية مذهبيـــــة او سياسية ؟ .. انها تعيش متراكمـــة فوق بعضها فى اركان قصية جدا على هامش بعيد من الدنيا التى كان ينبغى أن توجـــد فيها .. ومن هم الذين يحلون أماكنهم من قيادة الحركة العلمية والنشاط الاقتصـــــادى فى المجتمع .. ؟ انهم أصـــــحاب تلك

الهويات والتبعيات السياسية .. !
وما ضر انهم ليسوا من الطاقة والكفاءة العلمية فى شىء ما داموا يحملون فى صدورهم ، أو فى جيوبهم ، هذه الهوية .. !
ولك أن تتصور الضرر المزدوج من وراء هذه الظاهرة :

أولا : ضرر حرمان المجتمع من أرباب الاختصاص والكفاءات فيه .

ثانيا : ضرر انقياد المجتمع لجهال يخبطون به خبط عشواء ، ويدفعونه الى مغامرات وتجارب تستنزف كل عزيز من الطاقة والمال والعمر .. !

الا ان من اعظم جنايات الظلم أن يقول قائل : ان هذا الشرق العربى فقير فى العباقرة من الرجال ، والعظماء من أولى العلم ، وأن الغرب أغنى بهم من الشرق .

اجل ، انه لظلم عظيم للحقيقة أن يقول ذلك قائل . فالشرق العربى كان ولا يزال فياضا بالفطاحل من العلماء والعباقرة ، ولكنهم — لسوء طالع هذا الشرق — لم يجدوا يدا مخلصة تمتد اليهم ، ولم يروا أمامهم سبيلا مفتوحا لخدمة أوطانهم .
كثيرون هم هؤلاء العلماء .. تجدهم منثورين فى الزوايا ، يفكرون فى معضلة المعضلات وأصعب المعادلات : من اين يوفرون لأولادهم وذويهم رزقهم الضرورى .. ؟!

رابعا — عدم ضفر المعارف وأصول الثقافة كلها لمحاربة التخلف :

يظن الكثير ممن يثورون على التخلف واسبابه ، ويخططون للتقدم بأنواعه ، أن مفتاح التقدم العلمى والرقى الاقتصادى كامن فى الوسائل العلمية ، والتنظيمات والتخطيطات المباشرة. ولا يتصورون أن للمعارف والاخلاق الانسانية وأصول الثقافة اى دور فى الموضوع .
فأنت ترى أن اهتمام هؤلاء الكثيرين منصرف الى الحديث عن التقنية وما يسمونه بالمناهج العلمية فى الاقتصاد وعملية الانتاج .. وربما توهموا أن الكثير من العلوم والمعارف الاخرى ان هو الا تفاهات نظرية تقصى الامة عن مجال العلم والانتاج .. !
هذه النظرة تنطوى على سذاجة بالغة فى تصور طبيعة الحياة ، وعلاقة العلوم المختلفة بعضها ببعض ، وعلاقتها جميعا بحوافز الجد والنشاط العملى .
ليست قواعد التكنولوجيا وأصول الاقتصاد ، هى التى تخلق فى الامة سعيها العلمى ودأبها على التطور الاقتصادى ، بل هى ليست أكثر من سلم موضوع فى عرض الطريق .
وانما الذى يوجد حوافز الصعود عليه ويخلق فى النفس رغبة استغلاله فى الوصول الى الهدف ، انما هو حصيلة المعارف الانسانية مضمومة الى الثقافة القومية ، أى ثقافة تلك الامة المتمثلة فى لغتها وآدابها وتاريخها وأعرافها .

فالجماعة التى لا تملك حصيلة كافية من ذلك كله ، لا يمكنها أن تتصور وجه الاستفادة من سلم العلوم والصناعات ، بل لا يمكنها أن تستهدف اى غاية علمية تسيطر على كيانها ورغباتها بالدفع والتحميس .

لا بد لمن يؤرق فكره لنهضة علمية وتقدم صناعي فى بلده ، أن يبدأ السبيل الى ذلك بتنمية هذه المعارف الانسانية والثقافية بدءا باللغة وحل مشكلاتها وترقية آدابها وترسيخ جذورها ، الى التاريخ واستخراج صورة حقيقية (غير مشوهة) عن علاقة الامة بماضيها وعن تقويم ذلك الماضى دون تبديل ولا تغيير ، الى التشريع والقانون وبسط موازين العدالة فى المجتمع ، الى الاخلاق والتربية وتلمس جذورها الانسانية البعيدة .

فاذا ما غذيت الامة بهذه المعارف وانصبغت بها عواطفها ووجداناتها ، تكونت لها من ذلك الرغبات الدافعة والآمال المهيجة . وعندئذ تجد نفسها بسبيل من الاستفادة من العلوم وقوانينها .

وما قامت ثورة انسانية فى تاريخها القريب أو البعيد ، فنجحت فى تحقيق آمالها ، الا لأنها اتجهت بالاهتمام الى جميع شروط النهضة فحفلت بها وأولتها كلها العناية والرعاية الكافية . وما قامت ثورة تستهدف الرقى والاصلاح فأخفقت ، الا لأنها — فى أحسن أحوالها اخلاصا — حصرت اهتمامها ، فى سذاجة وبساطة ، فى الاسباب اللماعة المباشرة للقفزات العلمية والصناعية ، فجمدت أمام هذه الاسباب دون أن تقتحمها ، واكتفت بعبارات التغزل بها والاطراء لها ، ثم انتهت كما بدأت لم تستفد علما ولم تحقق رقيا .

لقد قامت الثورة الفرنسية ، وهى نموذج للثورات الناجحة فى تاريخ العالم ، فهل تظن انها حصرت اهتمامها ، بهذا الشكل الساذج ، فى معالم الاصلاح الضيقة ، ووقفت عند حدود أسبابها المباشرة ؟. انها لم تنجح الا لأنها نظرت نظرة اصلاحية الى الحياة الفكرية والانسانية (عندهم) بكل جذورها وجوانبها وتاريخها وآدابها .

وحسبك لتصور هذا المعنى الذى أقول أن تعلم أن هذه العبارات التالية كانت من أبرز ما ركز عليه البيان الاول لمجلس الثورة الفرنسية .

« أيها المواطنون : ليدفع كلا منكم تسابق مقدس للقضاء على اللهجات فى جميع أقطار فرنسا ، لأن تلك اللهجات رواسب من بقايا عهود الاقطاع والاستبداد » .

ولا ريب أن كثيرا من الناس ، عندنا ، يعجبون من أن تعنى الثورة الفرنسية فى أول بيان لها بمثل هذه الشئون التى قد يظنونها تافهة . ولكن السذاجة كل السذاجة فى أن نراها ، وأشباهها ، تافهة ولا نوليها العناية ، ولا نجعل من هذه العناية

اساسا لتحقيق أهم مظاهر التقدم والاصلاح .

ولو تأملت واقعنا الذى نعيش فيه ، لرأيت الاهمال محيطا بمعارفنا الانسانية وأصولنا الثقافية ، ولرأيت ميادينها مسرحا لفوضى الاغراض والآراء ، ولرأيت انعكاسات الشقاق والاضطراب تنقدح منها الى حياتنا الاجتماعية دون توقف .

خامسا ـ التجزؤ بمختلف مستوياته :

واقصد بذلك ، التجزؤ الذى يبدأ فى الاسرة الواحدة ، ثم يتعداها الى الحى الصغير ، فالبلدة ، فالاقليم ، فالامة العربية بمجموعها . وأصغر هذه الدوائر سبب للذى بعده ، وهكذا ..

ولست أهدف مما اقول الى زعم أن الخلاف ما ينبغى أن يوجد ، والآراء المتباينة ما ينبغى أن تطرح . لا .. فان أى عاقل من الناس لا يزعم ذلك ، ولا يحيى الناس ، طالما كانوا مجتمعين ، الا فى ظلال من مخض الآراء والأفكار المتخالفة .

ولكن الخلاف شىء والتجزؤ شىء آخر ..

التجزؤ هو النتيجة السيئة للخلاف . أما الخلاف بحد ذاته فيمكن أن يكون سبيلا الى تمحيص مفيد ولقاء مثمر ، ويمكن أن يصبح سببا فى تجزؤ قتال . والامة الواعية هى التى تعرف كيف تتخذ من خلافات جماعاتها سلما الى تمحيص الفكر وسبيلا للاتفاق أخيرا على ما هو الاصلح والاكمل . أما الامة المتخلفة. فهى التى تترك الخلافات الناشئة فيها لتتحول الى بركان دمار وعلة تجزؤ واضمحلال .

فهذا التجزؤ من أهم الاسباب التى تكرس أسباب التخلف بشتى أنواعه، وهو تجزؤ يعيش فى حياتنا على شتى المستويات ، بدءا من أضيقها وهو الاسرة ، الى أوسعها وهو الامة العربية .

وعوامل هذا التجزؤ عديدة ورهيبة .. لا مجال فى هذا الصدد للوقوف عندها وتفصيل القول فيها .

ولكنى أقول ، فى نطاق البحث عن سبيل مفيد للقضاء على هذا التجزؤ :

ان سبيل ذلك البدء بأضيق الدوائر ، وهو الاسرة ، ثم السير الى الاوسع فالأوسع ، الى أن ينتهى العلاج ويتوج بوحدة الامة العربية قاطبة . ولا ريب أن هذه المرحلة الاخيرة أسهل المراحل كلها ، بل هى تكاد تكون آلية بعد الانتهاء من المراحل السابقة .

اى ان سبيل توحيد الأمة العربية، لا يكون الا بالقضاء على أسباب التجزؤ فى الاسرة والبلدة والاقليم . ومن أعجب العجب أن تجد أناسا لا يعلمون الى اليوم هذا القانون

الطبيعى ، يثورون ويصولون بحثا — فى زعمهم — عن تحقيق الوحدة العربية ، فى الوقت الذى يزرعون فيه الارض التى تحت أقدامهم بمزيد من اسباب التجزؤ والتمزيق : يبددون الطاقات التى تعيش تحت أبصارهم ، ثم يبكون عليها ويبحثون عنها على طول الصحارى والقفار الفاصلة بين الاقاليم .. !!

— ● —

هذه الاسباب الخمسة ، هى وحدها مكمن داء التخلف وضعف الانتاج فى بلادنا .

ولعلك ، ان تأملت ، رأيتها اسبابا متداخلة ، اى يؤثر بعضها فى تقوية بعض .

ومع ذلك فانها جميعا نتائج فرعية لسبب رئيسى خطير ، هو سبب الاسباب كلها . الا وهو انصراف المسلمين عن اسلامهم ، ونقضهم للبيعة التى كانوا بايعوها ربهم .

هذه حقيقة ثابتة لا جدوى فى انكارها ، بل لا سبيل لانكارها ، عند من آمن بالله الها واحدا موجودا متصفا بكل صفات الربوبية والكمال . غير انها حقيقة خيالية لا جدوى من الحمل على اليقين بها عند من لم يؤمن بعد بهذا الاله . ونقاش ما بين هذين الفريقين لا ينتهى الى شىء .

غير انى انما اخاطب فى هذا المقال الموقنين بوجود الله عز وجل ، أو المتظاهرين بهذا اليقين على اقل تقدير .

ان عمارة هذه الدنيا أمانة ، يشرف الله بها عباده المسلمين طالما كانوا مسلمين فعلا .. فاذا انحرفوا استلب الامانة منهم واستودعها عند غيرهم ، وربما كانوا شرا منهم ، لا ضير .. فان الله لا يوقف عمارة الارض ومسيرة الحياة من أجل عيون الذين ارتدوا على أعقابهم وانحرفوا عن منهج التشريف والتكريم .. لا بد أن تظل الحياة مستمرة وقانونها نافذا ، ان لم يكن زمامها بيد هؤلاء كان بيد آخرين .. الى أن يرث الله الارض ومن عليها .

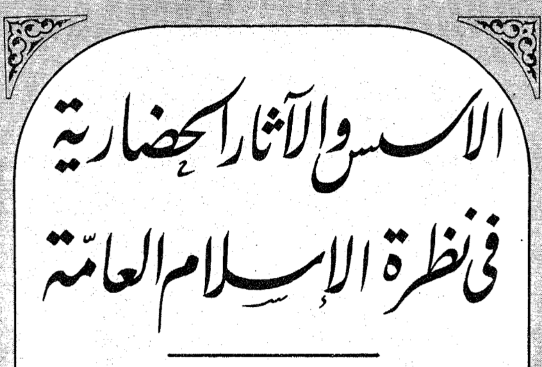
واليك نصوص هذا القانون فى بيان الفاطر الحكيم :

— « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فىالارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين » القصص : ٥ .

— « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا .. » النور : ٥٥ .

— « وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا ، فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين . ولنسكننكم الارض من بعدهم ، ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد » ابراهيم : ١٣ و ١٤ .

— « إلاّ تنفروا يعذبكم عذابا اليما ، ويستبدل قوما غيركم . ولا تضروه شيئا والله على كل شىء قدير » التوبة : ٣٩ .



للدكتور مازن المبارك

لنقف الآن عند نظرة الاسلام العامة الى الكون والى الانسان لنرى ما فيها من اسس صالحة لبناء الحضارة ، ولنرى بعد ذلك ما ينتج عنها من آثار حضارية .

لقد كان للنظرة الاسلامية الى الكون والى الانسان اثرها البعيد في تاريخ الحضارة وفي اتجاه تلك الحضارة ، كما كان لها اثرها في تطور حياة الانسان وجعلها حياة مزدهرة مثمرة . ولقد كان من ابرز خصائص هذه النظرة الاسلامية انها ارست للحضارة اسسا ثابتة تنطلق الحضارة عنها في كل مجال ، وانها نظرة واقعية تحققت في عالم الواقع لا في اوهام الفلاسفة وخيالات المشرعين فكانت مثلا رائعا للحضارات على مدى التاريخ .

١ ــ ففي مجال الحياة الفردية كانت لنا ثلاثة اسس :
اولها : ان للفرد حرية تكفل له نشاطه ولا تصل الى حـد الاضرار بمصلحة غيره .
وثانيها : انها ايقظت فى نفس الانسان ضميره ، فاصبح له من نفسه حارس عليه .
وثالثها : انها حررته من كل عبودية لغير الله تعالى .
اما الأساس الأول وهو ان نترك للانسان حرية لا تضيق حتى تشل حركته وتقتل موهبته ولا تستطيع حتى تطغى على مصالح الآخرين ، ففيه حل لمشكلة من ابرز مشاكل المجتمعات البشرية التى يدور فيها اليوم صراع شديد بين النظام الحر والنظام الموجه . ونحن نعتقد انه اذا اردنا ان نحفظ على الانسان انسانيته وعلى المرء مروءته فلا بد أن نتركه حرا ينطلق فى تحقيق مواهبه واستثمار كفاءاته ليتنافس الافراد في تقديم الخيـر لانفسهـم ولمجتمعاتهم ، ولن يكون هذا التنافس في ظل الاسلام وتحت اشرافه الا تنافسا خيرا يرعى حقوق الفرد وحقوق الجماعة . ونحن نستطيع أن نطبق هذا المبدا القائم على الحرية المعتدلة فى كل ميدان من ميادين الحياة ، فنطبقه في ميدان الفكر كما نطبقه فى ميدان الاقتصاد ، وذلك بان نترك للافراد ان يفكروا كيف يشاؤون وان يكتبوا ما يشاؤون على الا يكون فى شىء من ذلك مساس بمصلحة جماعتهم وعقيدتها . ولقد كانت لهذا المنهج الحكيـم ثمراته الخيرة في تاريخ حضارتنا يوم طبق فلم يشل حركة الفكر بل هيأ للعالم علماء افذاذا كابن سينا والغزالى وابن رشد وغيرهم ممن قال عنهم علماء الغرب انهم ظلوا اساتذة للغرب حتى القرن التاسع عشر . قـال غرونباوم ((ليس ثمة ميدان من ميادين الخبرة الانسانية لم يضرب الاسلام فيه بسهم ولم يزد ثروة الثقافة الغربية فيه غنى)) ..
واما الأساس الثاني ، وهو ايقاظ الضمير ، فمتصل بالأساس الأول اذ قد يجنح بعض الأفراد أو ينحرفون ، وتستعبدهم شهوة الكسب أو شهوة الشهرة فيظلمون المجتمع بوسائل كسبهم الجشعة كاحتكار القوت ، أو يسيئون اليه باتخاذ مخالفة العقيدة طريقا الى الشهرة .. فكان لا بد لهؤلاء وأولئك من رادع ورقيب فكان الأساس الثانى لذلك قائما على ايجاد ذلـك الرادع وتنبيه الضمير ليكون حارسا امينا او صمام امان يحرص المسلم على بقائه نقيا طاهرا يقظا لان الله سبحانه مطلع عليه وهو الذى يعلم الجهر وما يخفى (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه .) . واما اذا صدىء هذا الضمير او قصر فى واجبه فان الحاكم يقوم بوظيفة الرقيب والرادع ليحفظ حقوق الجماعة من المنحرفين ويعيد الى المجتمع توازنـه المطلوب .
واما الأساس الثالث ، وهو تحرير الانسان من عبودية الانسان ا[illegible] كان وربطه مباشرة بالله الخالق القوى ، فقد كان ذا آثار بعيدة فى [illegible] الانسانية من اقربها انه انقذها من حياة الفوضى والقلق تلك [illegible] تعيشها ، واوجد فيها سكينة وطمانينة اتاحت لها فرصة العمل [illegible]

النافع . ان الاسلام حين ربط نفس الانسان بالله فقد ربطها بمصدر قوة كبرى تفزع اليه عند الملمات (ان الانسان خلق هلوعا ، اذا مسه الشر جزوعا) ولقد قرر العلماء ان الايمان بالله هو الدواء الناجع والوحيد للتخلص من القلق والاضطراب النفسى ، وراحوا يعملون اليوم على ابراز هذا الجانب الروحى وبيان قيمته فى العلاج النفسى ، وحسبك أن تقرا كتاب ((دع القلق وابدأ الحياة)) لديل كارلنجى وكتاب ((العودة الى الايمان)) لوريس كريسون .. فكارلنجى يقول ((ان اطباء النفس يدركون ان الايمان القوى والاستمساك بالدين كفيلان بان يقهرا القلق والتوتر العصبى)) ويقول الدكتور بريل ((ان المرء المتدين حقا لا يعانى قط مرضا نفسيا .)) والحقيقة أنه متى انتصرت النفس الانسانية على شهواتها ، واصغت الى ضميرها ، وراقبت ربها ، وتحررت من كل عبودية لغيره ، اندفعت بناءة فى ميدان الخير تعمل لنفسها ولمجتمعها وللانسانية جميعا . هذا الى جانب ما للصلة الانسان بربه من أثر فى رفعة الخلق وسمو الغاية .

٢ ـــ وفى مجال الحياة الاجتماعية وضع الاسلام التكافل الاجتماعى اساسا يقوم عليه المجتمع وهو تكافل عام شامل لكل ميدان ، لا يقتصر على توزيع الثروات او اعانة الفقراء وانما يمتد ويعم حتى يشمل ميدان الصناعات . وذلك ان الاسلام أوجب على المجتمع الاسلامى ان يكفى نفسه فان خلا مجتمع أو بلد من صناعة يحتاج اليها المسلمون فكل أهل البلد آثمون ومعنى ذلك أن على المسلمين اليوم أن يسهموا فى كل ميدان من صناعة النعال الى انتاج الذرة .

ولم يكتف الاسلام بجعل المجتمع شركة يتقاسم ابناؤه الأعباء والمغانم ، وانما جعله اسرة واحدة قائمة على المحبة والتعاون والتراحم تلك المثل التى يفتقدها عالم اليوم ، وواضح ان هذا الشعور العاطفى لم يكن ليفسد النظرة الموضوعية الى المجتمع وواقعه ، وحسبك بنظرة ابن خلدون مثالا للنظرة الموضوعية الاسلامية فى دراسة المجتمعات البشرية .

٣ ـــ واما فى ميدان الانسانية عامة فكان الأساس الــذى ارساه الاسلام ان البشر جميعا من اصل واحد والى مصير واحد ، وانهم متساوون لا يفرق بينهم نسب ولا لغة ولا لون ولا جنس ، فالناس جميعا بشعوبهم واممهم ورجالهم ونسائهم .. مخلوقون للتعارف والتعاون على بناء العالم وازدهار الحياة . وكان من آثار هذه النظرة الاسلامية أن التقت لأول مرة فى تاريخ الانسانية امم وشعوب تعاونت على بناء العالم ورقى حضارته رغم ما بينها من فروق الجنس واللون واللغة . وكان من أثر هذه النظرة ايضا ان فاضت الحضارة الاسلامية بخيرها على العالم أجمع فتمتعت بها اقوام وامم ، سواء منها من خضع لحكم المسلمين ومن لم يخضع .

٤ ـــ وفى ميدان العلم قامت نظرة الاسلام على اساسين : ايمانى

وتجريبي . أما الايماني فخاص بما أخبر به الله تعالى وما تنزل به الوحي ، وليس للمسلم الا ان يقبل ويسلم ، وقد اخبر الله تعالى انه قد تمت الرسالة وانتهى الوحي وختمت النبوات . وأما العلم التجريبي فهو الـذى لفت القرآن اليه اذهان الناس وحثهم على البحث فيه واخضاعه بالتجربة العلمية الموضوعية لمنافعهم ، وقد رأينا كيف كان القرآن يحض على استخدام العقل والفكر في الآيات الكونية فكان صوته اول نداء مزق فى العالم حجب الوهم والخرافة ودعا الانسان الى اكتشاف قوانين الكون ومعرفة اسراره .

وكان من أثر هذه النظرة أن نقل الاسلام العلم من مرحلة النظر الى مرحلة العمل والتجربة ، فعرف العالم المناهج التجريبية وعرف النابغين من العلماء كالبيرونى وابن الهيثم والجاحظ والرازى .. وغيرهم ممن كانوا اساتذة العالم في الطب والفلك والكيمياء . وكان العصر الزاهر للحضارة الاسلامية عصر العلم والعلماء .

ولقد أثبت الاسـلام ـ كمـا يقول غوستاف لوبون ـ أنه من اكثر الديانات ملاءمة لاكتشافات العلم . بل ان لوبون يصرح بأن المناهج العلمية الحديثة مدينة للمسلمين وحدهم بالفضل الأول فيقول ((لم يلبث العرب ـ وهو يعنى المسلمين ـ بعد ان كانوا تلاميذ معتمدين على كتب اليونان ان ادركوا أن التجربة والترصد خير من أفضل الكتب)) ويقول : ((ويعزى الى بيكون على العموم أنه اول من أقام التجربة والترصد اللذين هما ركن المناهج العلمية الحديثة مقام الأستاذ ، ولكنه يجب أن يعترف اليـوم بأن ذلك كله من عمل العرب وحدهم ..)) ويورد لوبون آراء عدد من العلماء الـذين يؤيدون رأيه هذا ثم يقول ((قام منهاج العرب على التجـربة والترصـد ، واختبروا الأمور وجربوها ، وكانوا أول من ادرك هذا المنهاج فى العالم ، وظلوا عاملين به وحدهم زمنا طويلا)) .

٥ ـ واخيرا ، ارسى الاسلام اساسا لا بد منه لازدهار الحضـارة الانسانية وسعادة البشرية وهو السلام ، فالاسلام والسلم والسلام من اصل لغوى واحد ، والله تبارك وتعالى هو السلام ، ولقد بلغ من حـرص الاسلام على السلام ان اتخذه شعارا له فكان اول ما ينكر فى اللقاء بين مسلمين بل كان هو شعار المسلمين يوم يقدمون على ربهم (تحيتهم يـوم يلقونه سلام .) .

والحق أن الاسلام منح السلام للعقل الانسانى الذى كان قلقا يبحث عن الخالق واسرار الكون فلا يهتدى ، ومنح السلام للنفس الانسانية التى كانت مضطربة تعتقد انها فى حرب دائمة مع الآلهة والارواح الشريرة ، فهى دائمة اللهفة لاسترضائها ودفع سخطها فجعلها الاسلام مطمئنة راضية تؤمن باله واحد ، وهو اله يحبها ويفرح باهتدائها ويدعوها لانهاء الخصومة والاستسلام له او الاسلام له (وأنيبوا الى ربكم واسلموا له .) (ومن احسن ممن اسلم وجهه الى الله وهو محسن .) ومتى وجد السلام فى

النفس والعقل ، ومتى وجد فى الارض بين بنى البشر فقد وجد الاستقرار، ومتى وجد الاستقرار فقد وجدت الحضارة .

٦ — على ان الاسلام لم يترك فكرة السلام مجرد دعوة أو مجرد فكرة قد تضعف أو تعصف بها شهوات النفوس الجامحة وانما دعمها بالقوة تحرسها وتسهر على تحقيقها ، انه يؤثر السلام (فان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) ولكنه يدعو الى ان تكون بجانب السلام قوة تدعم الحق الحق وينتصر له فأمر بإعداد القوة (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) وامر بقتال الفئة الباغية (فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله) .

وهكذا فقد هيا الاسلام العالم للحضارة اذ أوجد لها ظروفها الملائمة ، وأية ظروف أجدى على الانسانية وحضارتها من دفع العقل البشرى الى التفكير والعمل والتجربة ، وتهذيب النفس وحراستها بالضمير وربطها بالله ووضعها موضع الرغبة فيه والرهبة منه ، ثم كفالة الاستقرار بتأمين السلام ؟؟ وأى دليل اصدق على ملاءمة هذه الظروف من دليل الواقع الحى الذى يشهد له التاريخ ؟ لقد شهد التاريخ لهذه المبادىء الاسلامية بالنجاح الواقعى . وشهد أنه بفضلها أخصبت الحياة وازدهرت فى ميادين التجارة والصناعة والزراعة والعمران ، ويكفى أن نتذكر ما كانت عليه عواصم العالم الاسلامى — يوم سادت تلك المبادىء — من تقدم وما بلغت الحياة فيها من رقى ، وما شاد الفن فيها من آثار ما زالت قرطبة وغرناطة والقاهرة ودمشق وبغداد شاهدة عليه حتى اليوم .

ان التاريخ ليشهد أن تلك الأسس وهذه الآثار الحضارية ليست شيئا يزينه الوهم أو يبدعه الخيال كما هو الأمر فى أكثر الدعوات وما تزخرفه للناس أو تغرى به السذج ، وانما هى أسس عرفها واقع الحياة الاسلامية وعرف العالم حضارتها ، بل لقد شهد لتلك الحضارة علماء ومؤرخون من غير المسلمين فكان منهم من قال : (لم يفتح الاسلام العالم ، ولكنه غزاه بحضارته .) وكان منهم من قال : (الحق أن أتباع محمد ظلوا أشد من عرفته أوربا من الاعداء أرهابا عدة قرون ، وأنهم كانوا عندما لا يرهبوننا باسلحتهم كما فى زمن الحروب الصليبية كانوا يذلوننا بافضلية حضارتهم الساحقة .) وقال (ان للحضارة الاسلامية تأثيرا عظيما فى العالم . وأن أوربا مدينة بحضارتها للعرب) .

ونختتم بحثنا هذا بالتأكيد على أن هذه الأسس التى وضعها الاسلام للحضارة تمتاز بخصائص تجعلها اسسا صالحة لبناء حضارة انسانية عالمية فهى تمتاز :

اولا : بالنزعة الانسانية التى لا تعرف حدود الأرض أو القوم أو اللغة ، ولا تقبل بتفرقة الجنس او اللون او غيرهما من العصبيات .

ثانيا : بالبساطة وعدم التعقيد مما يجعلها ملائمة لشتى الظروف ومختلف المتطلبات .

ثالثا : بالشمول لجميع جوانب الحياة التى تحتاج اليها الحضارة من خلق وعقل وعمل .

رابعا : يمتاز الجانب الاخلاقي فيها بشمول رائع للفرد والجماعة والدولة ، فكما لا يقبل الاسلام من الفرد مثلا ان يكذب او يخدع أو يخون او يعتدى من أجل مصلحته الخاصة ، فكذلك لا يقبل هذه المفاسد من الجماعة أو من الدولة من أجل القوم أو الوطن أو سياسة الدولة ..

وبعد ، فان الحضارة الاسلامية ذات اساس ايماني ، لأن الايمان بالله هو الاساس الأول الذى ترتكز اليه ، وهو ايمان يحرسها ويجنبها الكثير من العثرات ، ويجعل عطاءها عاما لجميع عباد الله . وهى حضارة تنبعث كما رأينا من نظرة الاسلام الى الكون والى الانسان ، تلك النظرة التى تعطى كل شىء في الحياة نصيبه ، وتضع كل شىء موضعه ، فللايمان فيها موضع وعمل ، وللعقل فيها موضع وعمل ، وللروح فيها نصيب كبير ، ثم ان الروح والجسم فيها اليفان يساعد أحدهما الآخر ، ولا يطغى جانب فيها على جانب ، فلا ينسى الانسان فيها ربه ، ولا تطغى فيها العبادة حتى تشل العمل أو تعيق الانتاج .

على انه يجدر بنا أن نشير الى أن الاسلام نظام شامل ، وانه اذا أردنا له أن يقوم نظاما حضاريا ، وأن يؤتى ثماره الطيبة فلا بد من رعاية الأسس التى نادى بها جميعا ، وانه لا جدوى من الايمان ببعض الاسلام دون بعض الآخر . ولا بد لنا بعد ذلك أن ندرك انه ما من مذهب من مذاهب الارض ولا دين من أديان السماء جاء كالاسلام بانيا للحضارة فى كل ميدان من ميادين الحياة فاذا هو فى حياة الفرد حرية لا تعرف العبودية لغير الله ، ولا تحدها فى الارض غير مصلحة الجماعة ، وهو فى نفس الانسان ايمان يدفعه الى العمل ويحضه على الاتقان فيه فان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه ، وهو ضمير يقظ يحول بين المرء والآثام ، وهو بعد ذلك أمر للانسان بالعمل الدائم وبكل طاقاته لتسخير الكون لمنفعته ، واعداد القوة لاقامة الحق والعدالة والمساواة فى الارض .

هذا هو الاسلام ، وتلك هى نظرته ، فما أحوج عالمنا اليوم اليه والى نظرته لينظر من خلالها الى الكون والى الانسان ، وليبنى على أسسها حضارته الجديدة .

ما أحوج عالمنا اليوم الى هذه النظرة الاسلامية التى تحرره من اخلاق الجاهلية بما فيها من شرك آثم وخضوع لغير الله ، وبما فيها من شهوات رعناء ، وعصبيات ضيقة . ما أحوج عالمنا اليوم الى الاسلام ليعود الى الارتباط بالله خالقه العلى العظيم .

وما أحوجه الى النظرة الاسلامية التى تتفرد بأنها وحدها من بين اديان السماء ومذاهب الارض تجمع ما فى الدين من سمو روحى الى ما فى العقل من طموح علمى الى ما فى العمل من فعالية دائبة ، مستثمرة ذلك كله فى سبيل المثل الاعلى والكمال المطلق .

ولا يسألنى سائل بعد الذى ذكرت اين هى اليوم أسس الاسلام فى حياة المسلمين ؟ ولا اين هى حضارة الاسلام فى واقع المسلمين ؟ فما أصدق من قال : أن الاسلام اليوم محجوب بالمسلمين .

عبد الله التل

للاستاذ : انور الجندى

لقد افضى (١) (عبد الله التل) الى ما قدم وعبر الى الشاطىء الآخر بعد ان أدى حق الله بالسيف والقلم فكان نموذجا كريما من نماذج المجاهدين المسلمين فى العصر الحديث فقد شارك عبد الله التل محاربا وقائدا عسكريا فى معركة فلسطين عام ١٩٤٨ وفتحت هذه المعركة الحاسمة التى انتهت بقيام اسرائيل ذهنه وقلبه الى الخطر الصهيوني العالمي ، ودفعته الى دراسة واسعة عميقة لهذا التحدى الخطير الذى واجه العرب والمسلمين فى العصر الحديث . وبذلك انتقل هذا المجاهد المسلم العربى من معركة الى معركة شأنه فى هذا شأن اللواء محمود شيت خطاب الذى اشترك فى نفس معركة فلسطين عام ١٩٤٨ ومنها انطلق الى دراساته الاسلامية والسياسية .

ولا ريب ان هؤلاء المجاهدين قد اقاموا فى العصر الحديث صورة صحيحة لمفهوم الاسلام نفسه الجامع بين الجهاد باليد والجهاد بالقلم ولقد كان كذلك عدد كبير من مفكرى الاسلام ورجاله .

ويعد عبد الله التل فى مجاله العسكرى حبة من عقد ظهر منه الشيخ القسام وعبد القادر الحسينى واحمد عبد العزيز . يقول : اكرمنى الله تعالى وقدر ان اكون قائدا للقوات العربية التى خاضت معركة القدس واستطاعت أن تطهر القدس القديمة من اليهود وتحفظ للمدينتين الاسلامية والمسيحية مقدساتهما التاريخية الخالدة . وانتصارنا فى معركة القدس ابقى للعرب منطقة نابلس ومنطقة الخليل ، لأنه لو قدر لنا أن نخسر المعركة وننسحب من المدينة لما بقى بيد العرب شبر واحد فى فلسطين . ذلك لأن مدينة القدس هى الدعامة التى ترتكز عليها الميمنة (نابلس) والميسرة (الخليل) كما أن بيت المقدس هو فلسطين ومن يمتلكه وما فيه من مقدسات خالدة يعد مالكا لفلسطين ومن يخسره يخسر فلسطين كلها .

وقد استطاع عبد الله التل عرض القضية في دراساته المختلفة : وأولها (كارثة فلسطين) ، الذي أصدره عام ١٩٥٩ وكان قد هاجر الى القاهرة في اكتوبر ١٩٤٩ وبدا يدرس هذه القضية دراسة متأنية واسعة شاملة . ثم اصدر كتابه الضخم (خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية) عام ١٩٦٤ ثم اتيحت له فرصة اخرى لاعداد دراسة ضخمة قصد بها نيل الدكتوراه من جامعة الأزهر نشرها فيما بعد تحت اسم (جذور البلاء) (عام ١٩٧١) .

وفي كل هذه الدراسات التي استمرت أكثر من عشرين عاما لم يدع (عبد الله التل) شاردة ولا واردة حول هذه القضية في افقها الواسع المتصل بالصهيونية العالمية وبالاستعمار وبتاريخ اليهود منذ الوف السنين حتى اليوم ، كل ذلك في اسلوب دقيق ومنطق علمي .

وكان (عبد الله التل) هو في مقدمة المفكرين والقادة الذين اعلنوا الحقيقة التي أوصلهم اليها علمهم وتجربتهم وهي : « أن قضية فلسطين هي قضية دينية مقدسة في المقام الأول وان اية معالجة لها لا تكون على اساس ديني جهادي مكتوب عليها الاخفاق لا محالة » .

يقول : « وايماني هذا مبني على تجارب عسكرية عشتها وحقائق تاريخية لمستها ووعيتها» .

ويشير في هذا الى تجربة الجزائر التي قامت على هذا الفهم الواضح .

« لم انس بعد تجربة الثورة الجزائرية الكبرى التي هزمت الاستعمار الفرنسي وقضت على خرافة فرنسة الجزائر يوم خيل للاستعمار انه استطاع القضاء على عروبة الجزائر فجاءت الثورة وسلاحها الأول : (جهاد ديني في سبيل الله) مخيبة لآمال الغرب ومؤكدة عظمة الطاقة الكامنة في الاسلام فتمت المعجزة واستقلت الجزائر بعد استعمار فرنسي بشع دام (١٣٠) عاما كاد خلالها ان يهلك الحرث والنسل وأن يقضي على اللغة العربية ، بيد أنه أخفق في القضاء على الاسلام » .

وقد هاجم عبد الله التل منذ ذلك الوقت البعيد تلك الدعوات المنحرفة التي كانت تخرج معركة فلسطين من مضمونها الأصيل ومفهومها الصحيح يقول :

« ويتناسى دعاة العلمانية الذين يسقطون من حسابهم العامل الديني في قضية فلسطين : انها القضية الوحيدة في العالم التي قامت منذ ثلاثين قرنا وما زالت تقوم على أسس دينية روحية ، وانه ان صحت معالجة اية مشكلة على اسس مادية فان قضية فلسطين لا تعالج الا على اسس دينية بالدرجة الأولى واسس مادية بالدرجة الثانية ويتناسى قادة الأحزاب والحركات العربية العلمانية ان جميع المعارك الحاسمة في تاريخ العروبة والاسلام من القادسية واليرموك وحطين وعين جالوت الى بور سعيد والجزائر كانت صيحة الحرب فيها دينية مقدسة : الله أكبر » .

ولقد صدق الله وعده فكانت معركة العاشر من رمضان على النحو الذي تمناه لها (عبد الله التل) ولعل روحه قد قرت ورضيت بأن تحول تيار الفكر الاسلامي العربي نحو هذه الحقيقة واصبح موقنا بها .

كذلك اشار (عبد الله التل) في دراساته الى القوى المادية في الوطن

العربى مثل البترول وقال انها اسلحة حطيره لا بد من استخدامهـا لكسب المعركة وقد تحقق ذلك .

ولقد كان على قدر كبير من الوعى والايمان حين قال :

« اما اذا اقتصرنا على استخدام السلاح المادى فى المعركـة فان قوى الأعداء المادية تفوق قوانا ولا يمكـن التغلب عليه فى مجال المادة وحدهـا فاذا ما ضممنا « القـوة الروحيـة الكامنة فى الاسـلام » الى قوانا المادية نتج عنها قوة عظيمة وطاقـة جبارة » .

ولقد كان فهم عبد الله التل ــ رحمة الله عليه ــ لهذه القضية الحاسمـة فهما عميقا وحاسما فلم يكن من أمثال الباحثين والمؤرخين الذين يقفون عند الأحداث وحدها ولكنه كان قادرا على النفاذ الى الأعماق وتحليل الأزمـة على نحو لم يعرف الا عند عدد قليل من المقتدرين فهو من ناحية يصل الى أعماق الايدلوجية التلمودية قديما منذ خصومة اليهود للاسلام فى المدينـة ويتحدث عن الدور الذى قام به اليهود فى المنفى البابلى حين اعادوا كتابة التوراة على طريق المطامع والأهواء على النحو الذى كشفه القـرآن الكريم ، وقطع بالراى فـى علاقتهم بسيدنا ابراهيم عليه السـلام وكيف كانوا يخفون الجـانب الاسماعيلى العربى من تاريخه ليقصروه علـى جانبهم الاسرائيلى وحده واستطـرد الى فهم اليهود للحياة وعبادتهم للذهب واشتغالهم بالربا وكيف كانت اقامتهم الأولى فى فلسطين سوداء الصفحة مفعمة بالقتل والذبح والنهب والسلب والبطش والارهاب والغـدر والاسر والسبى وكيف ان عمليات القتـل الجماعى والفتك بالناس دون النظـر الى الجنس والتمييز بين الرجـال والأطفال والشيوخ قد أوجدها اليهود انفسهم ولم يسبقهم اليها شعب من شعوب الأرض ومن يقرأ سفر استير فى التوراة وهو سابق على عهـد الرومان فى فلسطين يجـد كيف أن اليهود قد ذبحوا (٧٥) الف نسمة فى يوم واحد بايعاز من هذه اليهوديـة الجميلة التى استغلت جمالها عند ملك الفرس وهم يعتزون بهذا اليوم ١٤ مارس ويعتبرونه عيدا قوميا لهم (٢) .

ثم يتحدث الكولونيل عبد الله التل عن التلمود ويورد تاريخا مطـولا للأحداث ويكشف موقف أوربا من اليهود وكيف استطاعوا السيطـرة عليها بالثورة الفرنسية وكيف أمكنهم احتواء الفكر الغربى المسيحى ثم كيف قاومتهم أوربا وفتحت لهم الطريق الى بلاد العرب والمسلمين تخلصا منهم .

ثم يصل عبد الله التل الى كشف جوانب خطيرة من التاريخ الحديث غابت عن كثير من شبابنا ومثقفينا ، مما يختلف عما أوردته كتب التاريخ التى قررها الاستعمار فى مدارسنا العربية والاسلامية . وكيف نشأت الماسونية وجمعية بناى برث ثم كيف ظهرت الصهيونية وحركة التنويـر وكيف جرت الحركة من اجل اسقاط الدولة العثمانية والخلافة الاسلامية وذلك كله مما لم يكشف الستار الا عن جانب منه كان لعبد الله التل فضل اى فضل فى الكشف عنه وخاصـة فى كتابه (جذور البلاء) .

ولا ريب ان المسلمين والعـرب فى حاجة كبرى الى أن يعرفوا هـذه الجوانب الخفية وأن يصلوا الى هذه الابعاد الحقيقية التى تكشف لهم ابعاد الموقف الخطير الذى يعيشون فيـه والذى ليس قاصرا على وجود احتلال استيطانى يهودى فى فلسطين وانما هناك محاصرة ضخمة للعالم الاسلامى

ومخططات خطيرة فى سبيل احتــواء العالم الاسلامى . فكره وتراثه وثروته وكيانه كله . وان هذا العمل بدا من وقت بعيد واستهدف فى اول الامـــر احتواء الفكر الغربى المسيحي وقــد تحقق ذلك ثم مضي للسيطرة عــلى الفكر الاسلامي بالحرب العالميـــة الاولى والثانية وقد انكشف ذلك كله بتسرب بروتوكولات حكماء صهيـــون عام ١٩٠٢ ميلادية، هذه البروتوكولات التى حجبت عن المسلمين والعــرب اكثر من خمسين عاما حتى يظلــوا جاهلين ما يدبر لهم .

ويكشف عبد الله التل عن ان اليهود هم الذين أضرمـــوا نار الحـــربين العالميتين الأولى والثانية وتسببـــوا فى قتل أكثر من ٤٠ مليـــون مسيحي .

ويصل عبد الله التل الى اعلان حقيقة هامة حين يقول : لقــد كان سقوط الخلافة الاسلامية هو العامل الأول فى انجاح خطة اليهوديـــة العالمية لاغتصاب فلسطين ، صحيح ان الوعد (وعد بلفور) قــد صدر فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ قبل احتلال فلسطين وانهيار الخلافة ، الا أن ذلك الوعد كان نظريا ولم يترجم الى حقيقة وعمل الا بعد أن اقتحم الجنرال اللنبى مدينة القدس من باب الخليل وقال عبارته المشهورة : « الآن انتهت الحـــروب الصليبية » . هذا الجنرال اللنبى الذى ظن انه ينتقم لهزيمـــة حطين ويسترد سلطة الصليب عــلى بيت المقــدس كان جاهـــلا لا يدرى انه آلة صغيرة فى الجهاز الكبير الـــذى تسيره اليهودية العالميـــة لتحقيق اهدافها الجهنمية : اذ لم تكد تمضى بضعة اشهر على حكم الانتـــداب البريطانى على فلسطين حتى اصبح واضحا ان حكومة الانتداب مجنـــدة لخدمة اليهود وتسهيـــل عمليـــة استيلائهم على مرافـــق فلسطين لتحويلها الى دولة يهودية لا مكـــان فيها لهلال ولا صليب .

ثم كيف نذكر انهيار الخـــلافة الاسلامية دون أن نشـــير الى أن اليهودية العالمية كانت عاملا قويا فى ذلك الانهيار . فاليهود لم ينسوا أن السلطان قد رد الصهيونى الأكبـــر هرتسل وايقنوا انه لا أمل لهم ولا فائدة فى السلطان فقررت الحكومة اليهودية المستورة القضاء عــلى الخلافة وحينما نجح اليهود فى تحطيم الخلافة لم يكتفوا بذلك وانما رسموا لتركيا خطط المستقبل قرروا ان تتخلى تركيا عن الخلافة وعن اللغة العربية وان تتخلى عن الاسلام ثمنا لتأييد دول الحلفاء لها فى ثورتها التى قادهـــا مصطفى كمال باشا ولقد كان الوسيط الذى اشرف على تنظيم اتفاقيـــة الحلفاء مع مصطفى كمال هو الحاخام حايم نحوم الذى كان فى تركيا قبل انتقاله الى مصر حاخامـــا أكبـــر ليهودها (٣) .

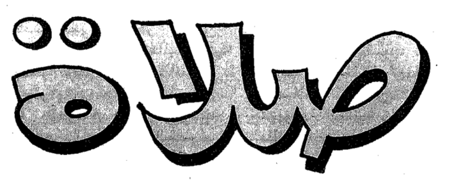
وهكذا كشف عبد الله التل حقائق كثيرة وقدم فى مجال الفكر والعقيدة جهدا بالغا له أجر المجاهد الشهيد ، فكان بالقلم محاربا كما كان من قبـــل بالسيف وقد جمـــع الحسنيين ، مقاتلا بالكلمة ومقاتلا بالمدفـــع فى سبيل القضاء على أكبر خطر يتهدد الاسلام والعالم الاسلامى فى هـــذا العصر فجزاه الله اجر العاملين وكتبه فى الابرار المجاهدين .

---

(١) توفى عبد الله التل فى اواخر عام ١٣٩٣ هـ ولم ينتشر خبر وفاته الا بعد ذلك وقــد قرانا اول نعى له فى مجلة (العرفان) التى تصدر فى صيدا فى عدد اخير وصلنا خلال شهر صفر ١٣٩٤ هـ .

(٢) اقرا ذلك بالتفصيل (ص ٣٦) من كتاب خطر اليهودية العالمية للكولونيل عبد الله التل .

(٣) راجع ص ٢٣١ من كتاب عبد الله التل : خطر اليهودية العالمية .



صلاة

قصيدة للشاعر فى مهرجان عيد الشهداء بدمشق
٦ مايو ١٩٧٤ .

ماذا اغنى ؟

والسـماء بقدسـها وبنورهـا ،
غنت لهم ؟؟
والارض للمت العبيـر وضـمخته ،
بعاطر من ذكرهم
والله قـربهم ، ومـد العرش اظـلالا ،
لرفرف خلدهم
وكتائب الاحـرار شدت فى النضـال ضياءها ،
من دربهم
وخطـا الشـعوب تضـل ان لم تسـتمد حيـاتها
من خطوهم
.. عـرفوا طريق الخـلد ، فاتجهوا اليـه ،
وعانقوه بعمرهم
وبروحهم ، وبسرهم ،
وبكل ما ملكت منـابت كرمهم ،
وبـكل ما وهبتـه اقـداح الحيـاة
لدمعهم ولخمرهم ..
بالنـور .. والاغـلال ترفض ضـوءه
مـن عـزة فى ليلهم

للشهداء

للشاعر محمود حسن اسماعيل

بالحب .. والأغلال تنسخه لظى ،
متأججا من سخطهم
بالدم .. وهو النار عاطشة مدمدمة ،
لساعة ثارهم
بالحلم .. وهو تميمة الجبناء ،
تخجل ان تطوف بمهدهم !
بالروح .. وهى الطائر المجروح ،
من غيظ التراب بارضهم
بوجودهم .. ووجودهم هذا التراب الحر ،
يصرخ تحتهم :
ان لم اكن حرا ، فلا عبرت على وجهى
عروبة وجههم !
ردوا عليه بان سقوه ، بكل آخر قطرة
من كأسهم
بدمائهم ، بفدائهم ، بمضائهم ،
قطفوا الحياة بموتهم
والله ما ماتوا .. ولا عرف البلى عرقا
يجف بجسمهم !
عرفوا طريق الله ، فاتجهوا اليه
وبايعوه بعمرهم !!

من هــؤلاء ؟
هــم الذين مشــاعل الانســــان تحمــل ضــوءهم
صنعــوا من الآجــال مصبــــاحا ، عرفــت بــــه
اشعــة شمسهم
فعرفتهــــم .. لمــا رايت العــار تفسـله الدمـــاء
بجرحهم ..
وعرفتهم .. لمــا رايت الــــذل يحصــــده الابـــاء ،
بكبرهم ..
وعرفتهــــم .. لما رايت اليـــــاس بــدده اليقيـــن
بعزمهم ..
وعرفتهـــم .. لمــا رايــت الأرض ترفع راســــها
من باسهم ..
وبــــكل يــوم تشتهيهــم حاصــــدا لعــدوهـــا
من تربهــم ..
وعرفتهــم .. لما رايــت كرامــــة الأوطان تهـــزج
باسمهم ..
وعرفتهم .. لما اســــتمدت وجــود وجهى فى الوجــود
بيومهم ..
قـــد كـــان ضـــاع ، وضــــاع . حتــى عبـــــاد
ممتشق الابـــاء بكفهم !
شهــــداء .. تخشـــع كـــل ذرات الفضــــاء ،
لهالـــة من طهرهم
وتميس رايــــــات المعـــــارك كلمــــا نشقـــت
معارج عطرهم !
كل البطولـــــة قطرة شربـــت رحيـــق مضائهـــا
من بحرهـــم

كـــل الثـــرى عبـــــد اذا لـــــم يرشـــــقوه
بوقدة من جمرهم ..
شهــــــداء !! صـــوت الحـــق جلجـــل كالآذان ،
محلقا من صوتهم ..
شــــهداء .. ريـــح النصر هبت مـــن لظى قبس اللظى
من صدرهم
ذبحـــوا اســــاطير الطغـــــاة .. ولقنوها آيـــــــة
من درســـهم
ومضــــوا .. ويمضـــى كـــل يـــوم للفــرادس
زائـــر من ركبهـــم
حتى تغـــرد فـــى التـــراب حقيقـــــــــــة
تشجى سرائر طيرهم
.. حبيتهـــم فـــى كل شبـــر اهلكـــوا فيــــه
ســلاسل قيدهم
وعـــــرجت بالأوتـــــــار حتـــى شـــارفت
الق النبوة حولهـــم
وطرقـــت بــــاب الخلـــد اســــال اى روض
فى الأرائك ضمهم ؟
وبــــاى رفـــرف جنـــة املاكهــــا وطيورهـــا ،
حظيت بهم ؟
فعلمـــــــت ان اللــــــــه كرمهـــــم
ونعم بالشهـــادة قربهم !!
ماذا اغنى ؟؟ والســماء بقدسها وبنـــورها غنت لهـــم
.. فاذا شدوت .. فلن اكون سوى صدى لقصيدة من
شــعرهم !!.



للدكتور محمد فوزى فيض الله

١ ــ ربما كانت هذه التسمية حديثة فى البحث الاسلامى ، وربما كانت المانيا المهد الأول الذى نبتت فيه فكرة التضــامن أو التكافل الاجتماعى فى العصر الحديث ، ومنها انبثت الى الأقطــار الاوروبية ثم الشرقية ، وكتب فيها الباحثون والمقننون .

لكن هذا لا يعنى ابدا ، خلو النظام الاســلامى من فكرة التكافل ، أو غض نظره عنها ، أو اهماله او تقصيره فى تطبيقها . وسنرى فى هذا البحث القصير ، كيف أن الاسلام سبق الى فكرة التكافل الاجتماعى ، وأقام لها نظرية مستقلة ، ورسم لها الخطوط العريضة ، ووزع المســئولية فيها على المجتمع المسلم وجهاته ، وأشرف الحاكم والمحكوم على السواء على تطبيقها ، كمــا يتضح ذلك من الصــور العملية ، والوقائع التاريخية ، التى ابرزتهــا فى المجتمعات الاسلامية ، فى عهود النهضة ، وأزمنة التخلف .

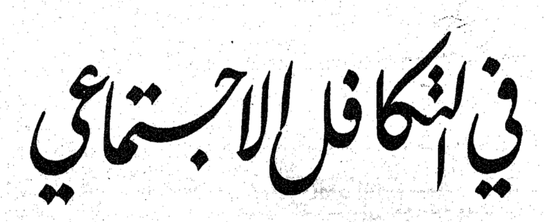
٢ ــ ويمكن تحديد التكافل الاجتماعى ــ بوجه التقريب ــ بأنه : تنظيم مالى دينى ، يقوم على فكرة التعــاون بين الدولة وبين الكاســبين ، افرادا وجماعات ، لسد حاجات الفقراء ، وحفظ كرامة المحرومين ، وتهيئة ســبل العيش الكريم لهم ، من غير استغلال أو تجاوز .

وليس من المهم فى الاسلام التحديد الصورى ، بعد تحقيق التكافل روحيا وعمليا فى المجتمع ، بدون اعتبار العرق والدم ، والعنصر واللغة ، ومجالات الاقتصاد ، وبيئات الفلاحين والعمــال ، كما اقتصرت عليها بعض المذاهب الأجتماعية المادية الحديثة ، فهبطت ، واستهدفت للنقد اللاذع ، الذى قلل من انسانيتها .

كما يمكن رسم الهدف منه فى الاسلام ، وهو ــ كما يبدو من التحديد ــ : قطع دابر الفقر ، والعوز ، وصون كرامة الانسان ، واحباط أساليب التجاوز والاستغلال ، فى المجتمع الاسلامى .

٣ ــ وقد وزع الاسلام المسئولية التكافلية ــ اذا صح هذا التعبير ــ على جميع الجهات التى يتصدر منها الامداد المادى ، فى المجتمع الاسلامى ، بادئا بالفرد المسلم ، ومنتهيا بالدولة المسلمة ، والمجتمع الاســلامى موصول الرحم ، موثوق عرا المودة ، يتعاون أفراده على الخير فيما بينهم ، لاصــلاح شأنهم كله ، فى الدين والدنيا ، متضامنين .

وقرر الاسلام ــ فى هذا الصدد ــ مبادىء ، من شــأنها اذا طبقت أن تيسر تحقيق التكافل الاجتماعى فى الأمة ، وأن تقطع السبيل على كل ما يعوق وجوده أو يناقضه ، ثم حصر المسئولية التكافلية فى أربع جهات :



١ ـــ الجهة الاولى : مسئولية الفرد .
٢ ـــ الجهة الثانية : مسئولية ذوى القربى .
٣ ـــ الجهة الثالثة : مسئولية الجماعة المسلمة .
٤ ـــ الجهة الرابعة : مسئولية الدولة .

وسنلم بهذه الجهات إلماما خفيفا بعد لمس سريع للمبادىء الشرعية الأولية المؤيدة ، التى تحقق التكافل تلقائيا ، وتحبط كل ما يعوقه .

اولا ـــ المبادىء الأولية المؤيدة :

٤ ـــ ان تكافل المسلمين ـــ بالمعنى الذى رسمناه ـــ حكم شرعى أصلى ، قرر له الشارع مبادىء سلبية ، وإيجابية ، وأخلاقية : من شأنها أن تيسر تحققه ، وأن تحول دون تركز المال فى أيد قليلة .

القسم الأول ـــ المبادىء السلبية :

٥ ـــ ونعنى بها تحريم الاسلام كل كسب غير مشروع ، من ذلك ـــ على سبيل المثال ـــ :

أ) الربا .. وقد حرمته الأديان السماوية كلها ، لما فيه من استغلال كدح الآخرين ، دون تعرض لتعب أو مخاطرة . وكذب اليهود بزعمهم حله لهم ، ونطق القرآن بتحريمه عليهم .

ويؤخذ من نصوص الشرع فى الربا أنه محرم عموما ، والتحريم يشمل القليل والكثير ، والاستهلاك والانتاج ، وقد أكد النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ إلغاءه فى حجة الوداع ، التى لخص فيها خصال الدين ، وخص بالذكر ربا عمه العباس ، وكان يمول التجار والمستوردين .

ب) الاحتكار :

وهو حبس ما يحتاجه المسلمون من السلع الضرورية ، ابتغاء غلاء الأسعار ، بوقوع الأزمات . ولا شك ان هذا مطلب سيىء ، بل هو أنانية مسرفة ، ينطبق عليها المثل العربى القديم : « نعمَ كلب فى بؤس أهله » . وقد ورد فى الترهيب منه حديث : « من احتكر حكرة ، يريد أن يغلى بها على المسلمين ، فهو خاطىء ، وقد برئت منه ذمة الله ورسوله » .

جـ) الغش :

وقد حرمه الشرع لانطوائه على الخيانة ، وإلحاق المكروه بالآخرين . وفى الحديث : « من غشنا فليس منا . والمكر والخداع فى النار » .

٦ ـــ وحرم الاسلام كل ما فيه أخذ مال الآخرين بغير حق : كالسرقة ، والغصب ، والقمار ، والرشوة ، وأكل أجرة العامل ، وقرن ذلك بقتل النفس ،

فقال تعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم**)) . وفي الحديث : ((لا يحل لمسلم أن يأخذ عصا من أخيه إلا بطيب نفس منه)) .

القسم الثاني ـ المبادىء الايجابية :

٧ ـ ونعني بها توزيع المال بين المسلمين بما يكفل تفتيت الثروة ، ويمنع تكتلها في جانب أو جوانب محدودة . فمن ذلك :

٨ ـ أ) **التقريب بين الطبقات** ، باستغلال بعض المناسبات ، لايجاد نوع من التوازن بين الناس . كما فعل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في أموال بني النضير التي صالحهم عليها ، فقد وزعها على المهاجرين على التخصيص من دون الانصار ، لأنهم افتقروا بسبب الهجرة ، والخروج من ديارهم وأموالهم ، ولم يشرك معهم سوى ثلاثة من الأنصار ، كانوا فقراء .

وكما امتنع عمر ـ رضي الله عنه ـ من تقسيم أراضي العراق بين الفاتحين ، الذي اقتضته النصوص ، واكتفي بأخذ خراجها للدولة ، ووجد مستنده في قوله تعالى : ((**كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم**)) .

ب) الميراث :

٩ ـ فبينما حظرته بعض المذاهب المادية باطلاق ، وحصرته بعضها في أفراد محدودين ، عمد الاسلام الى التوسط ، فوزع التركة على الأقارب الأقربين والأرحام ، بحيث تتحول الملكية الضخمة في التركة ، الى ملكيات صغيرة متعددة .

وهذا أمثل طريق لتقليل الفروق الاجتماعية . ولذلك جعله الاسلام من النظام العام الذي لا يخالف عنه ، وحرم كل تصرف يناقضه ، كالوصية للوارث ، وحرمان الوارثين .

فأين من هذا النظام الحكيم ، نظم الغرب الحديثة ، التي ينقل بعضها ثروة المتوفى ، كلها أو معظمها الى البكر من أولاده ، ويدع كثير منها المالك حرا في أن يوصي بتركته لمن يشاء .. ؟ فتجمعت من جراء ذلك ثروات ضخمة في يد أفراد محدودين من الناس ، وأثار هذا حفيظة الفقراء ، وأورثهم الحقد على المجتمع ونظمه . فنشأت المذاهب المتطرفة الهدامة ، واضطرب نظام الحياة الاقتصادية أيما اضطراب ، وأدى هذا الى معظم الانقلابات ، والثورات العنيفة ، التي تعرضت لها أوروبا ـ وغيرها ـ في العصور الحديثة .

جـ) محاسبة العمال :

١٠ ـ ونشاط عمر ـ رضي الله عنه ـ وشدته في هذا الجانب معروفة :

أ) مر ببناء يبني من الحجارة لا الطين . فقال : لمن هذا .. ؟ فذكروا له عاملا ، فقال : أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها . وشاطره ماله .

ب) وناقش أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ وقسا عليه ، ودارت بينهما محاورة قوية . ورد فيها قوله : استعملتك على البحرين ، وأنت بلا نعلين .. ولما تبينت له براءة ذمته ، أراد أن يعيده عاملا كما كان ، فاعتذر أبو هريرة .

جـ) حتى عمرو بن العاص ، الصحابي الجليل ، الفاتح الوالي ، يرسل اليه عمر محمد بن مسلمة ليحاسبه ، ويوجه معه هذه الكلمات : ((فأطلعه وأطعه ، وأخرج اليه ما يطالبك به ، واعفه من الغلظة عليك)) .

والأصل في هذه المحاسبات والمشاطرات ، حديث ابن اللتيبة المعروف . وقد ورد فيه : ((هلا جلس في بيت أبيه وأمه ، فينظر أيهدى اليه أم لا ؟)) .

القسم الثالث ــ المبادىء الأخلاقية :

١ ــ ومما يعين على تحقيق التكافل فى المجتمع الاسلامى ، هذه المبادىء التى تعد من مكارم الأخلاق ، كالكف عن الظلم ، والشح ، والترف والسرف ، والحث على التراحم والكرم ، والتعاون والتوادد ، واطعام الجائع ، وحفظ الضائع ، وتقريب الفقراء ، واتخاذ الأيادى عندهم ، فهم أصحاب الدولة يوم القيامة .

وقد بلغ من حدب الاسلام عليهم ، أن دعا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يحيا ويموت ويحشر مع المساكين . ولما سألته فى ذلك عائشة ، قال : « إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا . يا عائشة : لا تردى مسكينا ولو بشق تمرة . يا عائشة : أحبى المساكين وقربيهم ، فان الله يقربك يوم القيامة » .

ثانيا ــ جهات المسئولية :

وبعد أن فرغنا من تبيان هذه المبادىء الأولية ، التى هى بمثابة مقدمة للتكافل الاجتماعى ، نتناول الأسس والجهات التى أقام عليها الاسلام نظريته فى التكافل :

الجهة الاولى ــ مسئولية الفرد :

١٢ ــ وتتمثل هذه المسئولية فى العمل . وهو ركن البقاء والحياة ، سواء اكان زراعة أم صناعة أم حرفة أم وظيفة . وهو بهجة الدنيا ، مهما استنزف من جهد . واللقمة الممزوجة بعرق الجبين وكد اليمين ، أهنأ من التى تأتى احسانا ، أو على موائد الآخرين : « ما أكل أحد طعاما قط ، خيرا من أن يأكل من عمل يده . وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده » .

ان العامل يكفى نفسه ، ويغنى ذويه ، ويسعد المجتمع الذى يعيش فيه .

وان التقدم الحضرى ، والنشوء والارتقاء فى الحياة ، رهين بالعمل . ولولا أن يعمل الانسان لبقى عائشا فى المغارات والكهوف ، ولما تطور على مر العصور ، ولما وجدنا بيتا نسكنه ، أو ثوبا نلبسه ، أو كتابا نقرؤه ، ولما اتصل الانسان بأخيه الانسان ، ولا قامت مدنية ، ولا ازدهرت حضارة .

الحياة هى العمل ، والعمل هو الحياة . وليست الحياة من الكسل فى شىء ، لأنه العجز والموت .

١٣ ــ وقد فجر الله تعالى ينابيع الرزق عندما ذرأ الحياة على الأرض ، وسخر ما عليها وما فى جوفها لخدمة الانسان . لكن اقتضت حكمته أن لا تجود الأرض بخيراتها من دون جهد ، فأمر الانسان بالعمل ، وجعله ضربا من العبادة ، وربما جعل من العبادة قوة على التدبير والمعاش ، فقال تعالى : **« فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله »** . وقال : **« واستعينوا بالصبر والصلاة »** . وأثنى على الجائبين من رواد الرزق ، كما أثنى على المجاهدين بأنفسهم ، وقال : **« وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله ، وآخرون يقاتلون فى سبيل الله »** .

وامتن على عباده إذ مكنهم من عمارة الأرض ، والتزود منها بالخير الذى تصلح به حياتهم ، فقال : **« ولقد مكناكم فى الأرض ، وجعلنا لكم فيها معايش »** وأشار الى الصلة بين الانسان والعمل والفكر ، ليتقن الانسان عمله ، ويتعرف على عظمة الله وتوحيده من خلال ما ينتجه : **« والله جعل لكم مما خلق**

ظلالا ، وجعل لكم من الجبال أكنانا ، وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر ، وسرابيل تقيكم بأسكم ، كذلك يتم نعمته عليكم ، لعلكم تسلمون » .

١٤ ــ وقد عقل الأنبياء والعلماء ــ ورثتهم ــ والسلف الصالح من هذه الأمة ، شرف العمل : فباشر آدم الزراعة ، وعمل نوح فى النجارة ، وتمرس داود بصناعة الحديد ، وامتهن عيسى الطب ، ورعى موسى الغنم ، كما رعاها نبينا ــ عليه وعليهم الصلاة والسلام ــ وأكد أن رعى الغنم قسمة بين الأنبياء جميعا ، وقال : « ما بعث الله نبيا إلا ورعى الغنم » .

١٥ ــ وأشادت نصوص السنة بفضل العمل ، ونوهت بمنزلته :

أ) فمنها ما قطع للعاملين الكادحين بالمغفرة : « من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له » .

ب) ومنها ما فضل عمل اليد بخاصة : « أفضل الكسب عمل مبرور ، وعمل الرجل بيده » .

جـ) ومنها ما سما به الى درجات العبادة ، واعتبره من الجهاد اذا صلحت النية : « فعن كعب بن عجرة ، قال :

مر على النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ رجل ، فرأى أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من جلده ونشاطه ، فقالوا : يا رسول الله : لو كان هذا فى سبيل الله ؟ فقال :

« ان كان خرج ليسعى على ولده الصغار ، فهو فى سبيل الله ،
وان كان خرج ليسعى على أبوين شيخين كبيرين ، فهو فى سبيل الله ،
وان كان خرج ليسعى على نفسه يعفها ، فهو فى سبيل الله ،
وان كان خرج ليسعى رياء ومفاخرة ، فهو فى سبيل الشيطان » .

د) ومنها ما سما بالعمل الى ما وراء الجهاد . فعن أنس مرفوعا : « ليس الجهاد أن يضرب الرجل بسيفه فى سبيل الله ، انما الجهاد من عال والديه ، وعال ولده ، ومن عال نفسه فكفها عن الناس ، فهو فى جهاد » .

١٦ ــ العمل لا ينافى التوكل :

ولهذا يرى أهل العلم أن العمل لا ينافى التوكل على الله ، بشرط أن يكون الاعتماد فى الرزق على الله ، لا على العمل نفسه ، لأن الله تكفل بكفاية مخلوقاته ، حين قال : **« وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها »** . لكن الانسان مأمور باتخاذ السبل للكسب المشروع ، معتقدا أن الرزق من لدن رب العالمين ، وأن الرزق ليس من حتميات العمل . وهذا ما أشارت اليه الجملة الحالية فى قوله سبحانه : **« وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله »** .

واذا تخلف الرزق عن الكسب ، كان لانعدام التوكل ، كما روى من حديث عمر : « لو أنكم توكلون على الله حق توكله ، لرزقكم كما ترزق الطير ، تغدو خماصا ، وتروح بطانا » .

قال الرواة : خرج شقيق البلخى ، يريد التجارة ، وودعه صديقه ابراهيم بن أدهم . ولم تمض أيام حتى عاد شقيق ، ورآه ابراهيم فى المسجد ، فقال له : ما الذى عجل بعودتك ؟ قال : رأيت فى بعض الفلوات طائرا مكسور الجناحين ، أتاه طائر صحيح الجناح ، فى منقاره جرادة ، فوضعها فى منقار الطائر المهيض الجناح . فقلت لنفسى : يا نفسى : الذى قيض لهذا

الطائر الكسير الجناح ، هذا الطائر السليم الصحيح فى هذه الفلاة من الارض ، قادر على أن يرزقنى حيث كنت . فتركت التسبب ، واشتغلت بالعبادة .

فقال له ابراهيم : ولم لا تكون أنت الطائر الصحيح الذى أطعم الطائر المكسور ، حتى تكون افضل منه .. ؟ أما سمعت عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن اليد العليا خير من اليد السفلى .. ؟ ومن علامة المؤمن أن يطلب أعلى الدرجتين فى أموره كلها ، حتى يبلغ منازل الأبرار .. ؟

فأخذ شقيق يد ابراهيم فقبلها وقال : أنت أستاذنا يا أبا إسحق ، وعاد الى تجارته .

الاسلام يأمر بإتقان العمل ..

١٧ ـ ويأمر الاسلام العاملين باتقان العمل ، بحيث لا يكون فيه عيب أو خلل ، وفى الحديث : (ان الله يحب من العامل اذا عمل أن يحسن » . بل يعاقب المولى تعالى من قصر فى عمله بعذاب بئيس ، مستصعب الشفاء ، فورد : « اذا قصر العبد فى العمل ، ابتلاه الله بالهم » .

الاسلام يأمر بالاحسان الى العامل :

١٨ ـ اذا أدى العامل عمله ، استحق أجره المشروط له فى العقد ، بالغا ما بلغ . ويلاحظ ما يأتى :

أ) ان العامل يستحق الأجر بمجرد الانتهاء من العمل ، ما لم ينص فى العقد على خلافه ، ويعلل لذلك الفقهاء : بأن العامل سلم المعقود عليه ، فاستحق بدله ، كالبائع اذا سلم المبيع المعقود عليه ، استحق الثمن ، وهو البدل . بل لقد ورد مرفوعا : « أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه » .

ب) لا حد لأجر العامل ، الا ما جرى به العقد . ولا يتدخل الشارع بالتحديد الا لرفع الضرر عن العامل ، اذا تحكم صاحب العمل فى أجره ، فيتدخل الشارع لانصاف العامل ، وذلك بفرض أجر المثل . ويعتبر ذلك ابن القيم ـ رحمه الله ـ من قبيل تدخل الحاكم عند احتكار الأقوات ، وتدخله هنا لاحتكار الصناعات .

ويشبه رفع الضرر هنا عن العامل فى الاجارة ، رفع الضرر عن البادى فى البيع ، اذ لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام .

جـ) لا يجوز ارهاق العامل ، وينبغى أن ينال قسطا من الراحة ، كغيره من المجاهدين . والله ـ تعالى ـ لم يكلف عباده الا وسعهم . ونهى الاسلام عن تكليف الرقيق المملوك ما لا يطيق ، فكيف بالعامل المالك .. ؟ « ولا تكلفوهم ما لا يطيقون ، فاذا كلفتموهم فأعينوهم » .

د) يتصرف العامل فى أجره كما يشاء ، انفاقا ، واستهلاكا ، وتمليكا ، وتملكا ، ولو لوسائل الانتاج ، كالأرض والآلة والمصنع ، والاسلام لا يعرف قاعدة : « من كل بحسب طاقته ، الى كل بحسب حاجته » .

توفير العمل للعاطلين ..

١٩ ـ فى نظام الاسلام ، تتعاون الدولة والأمة ، لايجاد العمل لذوى البطالة ، مهما كان نوع العمل ، مما يكفيه ، ولا يشقيه ، ويحميه من التكفف والمسألة .

وقد ورد : « لأن يأخذ أحدكم حبله ، ثم يغدو الى الجبل فيحتطب ، فيبيع فيأكل ويتصدق ، خير له من أن يسأل الناس » .

كما روى « عن أنس ، أن رجلا من الأنصار أتى النبى — صلى الله عليه وسلم — يسأله ، فقال : أما فى بيتك شىء ؟ قال : بلى ، حلس (أى كساء) نلبس بعضه ، ونبسط بعضه ، وقعب (أى إناء) نشرب فيه الماء . قال : ائتنى بهما . فأتاه بهما ، فأخذهما ، فقال : من يشترى هذين ؟ قال رجل : أنا آخذهما بدرهم . قال : من يزيد على درهم ؟ — مرتين أو ثلاثا — قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين .

فأعطاهما اياه ، واخذ الدرهمين ، وأعطاهما الأنصارى ، وقال : اشتر بأحدهما طعاما ، وانبذه الى أهلك ، واشتر بالآخر قدوما فائتنى به . فشد فيه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عودا بيده ، ثم قال : اذهب فاحتطب وبع ، ولا أرينك خمسة عشر يوما .

فذهب الرجل يحتطب ويبيع ، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم . فاشترى ببعضها ثوبا ، وببعضها طعاما . فقال له رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « هذا خير لك من أن تجىء والمسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة . ان المسألة لا تصلح الا لثلاثة : لذى فقر مدقع ، أو لذى غرم مقطع ، أو لذى دم موجع » .

٢٠ — وفى هذا الأثر دروس وعبر : فلم يشأ النبى — عليه الصلاة والسلام — له المسألة ، وكون له رأس مال من يسير ما يملكه (السكوب والكساء) ، ووجهه الى حرفة تناسبه ، وحدد له مدة للعمل ، ووازن له بعدها بين الحرفة والتكفف ، وقرر له أن المبدأ فى الاسلام هو النهى عن المسألة ، وانها لا تحل الا لمن أرهقه الفقر ، أو أثقله الدين ، أو فدحته الدية .

وقد سبق هذا الهدى النبوى : فى مكافحة البطالة ، واتاحة فرصة العمل للعاطلين — فى يسر وأصالة وتوفيق — القائمين على شئون العمال فى أيامنا ، بقرون طويلة ، واغنى بمبادئه عن تقنيناتهم ، وفلسفاتهم المادية .

كراهية الاسلام التكفف ..

٢١ — وأخذا من الحديث السابق وغيره قرر أهل العلم : أن من كان قادرا على العمل ، وهو يجده ، حرم عليه السؤال . فان كان غير قادر ، أو لم يجد العمل اللائق ، واحتاج الى النفقة ، جاز له السؤال ، بشرطين :

١ — أن لا يذل نفسه .

٢ — أن لا يؤذى المسئول .

فان فقد شرط منهما حرم السؤال اتفاقا .

نعم ، اذا ثبت العجز المطلق عن العمل ، لطفولة أو شيخوخة أو أنوثة أو آفة ، فان الشريعة تلزم أقارب العاجز بالنفقة عليه ، ويقضى له بها عند الامتناع ، كما سنرى الآن .

الجهة الثانية — مسئولية ذوى القربى :

٢٢ — وهذه أولى الجهات التى يتمثل فيها التكافل الاجتماعى .

وما تزال الأسرة فى الشرق ، الذى هو مهبط النبوات موئل الحنان الرحيب ، والعطف الدافىء ، والتناصر المؤزر . ومهما اهتزت فى الأسرة هذه المعانى ، فى عصور الصناعة ، وطغيان المادة ، فما يزال فيها بلغة من كفاف ، وسداد من عوز ، بفضل تعاليم الدين الحنيف .

وفى الفقه الاسلامى — فضلا عن الكتاب والسنة — نسقت أحكام الفقراء من ذوى القربى ، فى تدرج دقيق ، لا يدع محتاجا فى الأسرة إلا كفاه وأغناه .

ومن أهم ما ورد فى القرآن الكريم فى رعاية حق القريب قوله تعالى : **« واعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين إحسانا ، وبذى القربى »** . رفع الاحسان الى القريب الى منزلة الاحسان الى الوالدين ، وقرر وجوبهما بعد عبادة الله . وهذا وضع فريد ، لا يعرف عند غير المسلمين .

بل سمى القرآن الكريم الاحسان الى القريب حقا ، وجعله مختصا به باضافته اليه ، فيترتب عليه ما يترتب على سائر الحقوق ، من الالتزام والتنفيذ . قال تعالى : **« فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ، ذلك خير للذين يريدون وجه الله ، وأولئك هم المفلحون »** .

وكذلك ورد فى السنة : «أمك وأباك ، وأختك وأخاك .. حق واجب ، ورحم موصولة » .

وعلق ابن القيم — رحمه الله — على هذا الحديث بقوله :

« فأى قطيعة أعظم من أن يراه يتلظى جوعا وعطشا ، ويتأذى غاية التأذى بالحر والبرد ، ولا يطعمه لقمة ، ولا يسقيه جرعة ، ولا يكسوه ما يستر عورته ، ويقيه الحر والبرد ، فان لم تكن هذه قطيعة ، فانا لا ندرى ما هى القطيعة المحرمة ، والصلة التى أمر الله بها » .

التكييف الفقهى لنفقة القريب ..

٢٣ — لما أن القريب يرث قريبه اذا مات ، فان من العدالة أن يحكم لهذا القريب على قريبه بالنفقة ، اذا احتاج أو اضطر . والغرم بالغنم ، وكل حق فى الاسلام يقابله واجب . وهذا من العدالة الظاهرة البارزة فى التشريع الاسلامى العظيم .

مذاهب الفقهاء فى نفقة الأقارب ..

٢٤ — تعددت مذاهب الفقهاء فى نفقة الأقارب ومشمولاتها ، بالنظر الى سببها :

أ) فذهب مالك الى وجوب النفقة بين الأبوين وأولادهما فقط ، من دون الاجداد . وذلك اعتبارا للولادة المباشرة . فتجب نفقة الوالدين الفقيرين أو العاجزين على الولد القادر ، كما تجب نفقة الاولاد الفقراء والعاجزين على الآباء المباشرين .

وقد نص المالكية على انه : لا يجب أن ينفق الجد على ابن ابنه ، ولا ابن الابن على الجد .

فانحصرت النفقة عند المالكية فى حدود الولادة المباشرة .

ب) وتوسع الشافعى ، فأوجب النفقة ، بسبب الولادة ، مهما طال خط القرابة ، وامتد عمود النسب ، علا أو دنا .

جـ) بينما ذهب الحنفية الى وجوب النفقة بسبب قرابة المحرمية ، التى تحرم الزواج ، فتجب عندهم علاوة على ما تقدم للاعمام والعمات والأخوال والخالات على أقاربهم ، ولا تجب لأبناء هؤلاء على أقاربهم . وهذا الرأى أوسع من الرأيين السابقين .

د) وذهب الحنبلية — متوسعين — الى وجوب النفقة بسببين :

الأول : بسبب القرابة فى عمود النسب ، مهما بعدت ، بشرط اتحاد الدين .

والآخر : بسبب القرابة فى غير عمود النسب ، بشرط الإرث .

٢٥ — ويتضح من هذا العرض الموجز أن مذهب الحنبليين فى هذه الجزئية ، هو أوسع المذاهب الفقهية الاربعة . ولذلك اقترحت حلقة الدراسات الاجتماعية العربية الثالثة ، التى انعقدت فى دمشق سنة ١٩٥٢ م . العمل به ، فيما عدا نفقة الاصول ، فانها اقترحت العمل بمذهب الحنفية ، لإيجابه النفقة فيما بينهم ، مع اختلاف الدين .

٢٦ — وربما وجد فى غير المذاهب الاربعة ، من ذهب الى ابعد مما ذهب اليه الحنبليون ، فقد نقل الإمام الكاسانى — الملقب بملك العلماء — عن ابن ابى ليلى ، إيجاب النفقة لذوى الأرحام من غير المحارم ، على أقاربهم ، ووجد دليله فى قوله تعالى : ((**وعلى الوارث مثل ذلك**)) من غير تفصيل بين المحارم وغيرهم .

وقد نص الحنفية وغيرهم ، على أن الفقير العاجز اذا لم يكن له قريب غنى ، كانت نفقته واجبة فى بيت مال المسلمين ، فى جميع موارده . ولما حكمت بعض المحاكم الشرعية بذلك ، فى بعض البلاد العربية المسلمة ، نقض حكمها ولى الأمر ، ولفت نظرها الى رفض كل قضية من هذا النوع .. !

مشمولات نفقة الأقارب ..

٢٧ — وتشمل نفقة الاقارب : الغذاء ، والكساء ، والسكن وملحقاته ، والعلم الضرورى ، وكل ما تنسد به حاجته ، كالتطبيب فى أيامنا ، لأنه أصون للحياة من شئون الغذاء والكساء .

والحق الحنبلية بها الخادم إن احتاج اليه المنفق عليه ، لأنه من الكفاية . بل نصوا كالحنفيين : على وجوب اعفاف من تلزمه نفقته ممن هو فى عمودى النسب . بل قال القاضى : « وكذلك يجىء فى كل من لزمته نفقتـــه ، من أخ وعم ، وغيرهما ، لأن أحمد نص فى العبد ، يلزم أن يزوجه اذا طلب ذلك ، وإلا بيع عليه » .

ثم نصوا على أن « كل من لزمه اعفاف رجل ، لزمته نفقة امرأته ، لأنه لا يتمكن من الاعفاف الا بذلك » .

وهذا التشريع الفقهى القضائى من فرائد التشريع الاسلامى ، الذى غمطه حقه ذووه وجاهلوه ، وراحوا يبحثون عن حلول مشاكلهم عند أهل الشرق والغرب ، مع أن هؤلاء بحاجة الى مثل هذه الحلول العملية المعقولة المقبولة ، التى لا يعرفونها فى أنظمتهم .

٢٨ — ومن طريف ما ذكره المرحوم ، الاستاذ الدكتور محمد يوسف موسى ، قوله ، فى حديثه عن الأسرة وعناية الاسلام بها :

« انى حين اقامتى بفرنسا ، كانت تخدم الأسرة التى نزلت فى بيتها فترة من الزمن ، فتاة يظهر عليها مخايل كرم الأصل . فسألت ربة البيت : لماذا تخدم هذه الفتاة ؟ أليس لها قريب يجنبها هذا العمل ، ويوفر لهـا ما تقيم به حياتها .. ؟

فكان جوابها انها من اسرة طيبة فى البلدة ، ولها عم غنى موفور الغنى ، ولكنه لا يعنى بها ، ولا يهتم بأمرها . فسألت : لماذا لا ترفع الأمر الى القضاء ليحكم لها عليه بالنفقة .. ؟ فدهشت السيدة من هذا القول ، وعرفتنى أن

ذلك لا يجوز لها قانونا .

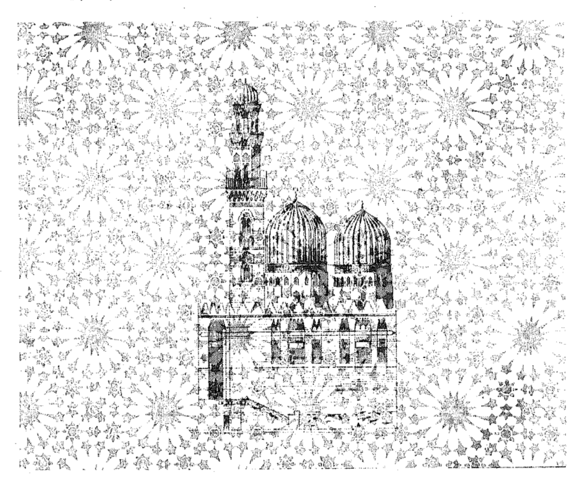
وحينئذ أفهمتها حكم الاسلام فى هذه الناحية ، فقالت : ومن لنا بمثل هذا التشريع .. ؟ لو أن هذا جائز قانونا ، لما وجدت فتاة أو سيدة تخرج من بيتها للعمل ، فى شركة أو مصنع أو معمل ، أو ديوان من دواوين الحكومة » .

٢٩ — وبعد هذا العرض الموجز ، نستطيع أن نقول مطمئنين : ان الاسلام فى تقرير نظام النفقات على الأقارب ، الأصول والفروع ، والمحارم وغير المحارم من الارحام ، قد ثبت الركن الأساسى الأول فى التكافل الاجتماعى ، وسبق بذلك التقنينات الوضعية ، ان لم يكن قد انفرد عنها به .

وهو — مع ذلك — قد أخضعه للقضاء ، ولم يجعله من قبيل التوصيات والاحسان الفردى الموكول الى رغبة القريب ، والموقوف على مبلغ تأثره بالأوامر الدينية . وان إناطته بالقضاء تعنى اخضاعه للعقوبة ، والتعزير بالحبس ، والتغريم عند الامتناع .

ولا نعرف نظيرا لهذه التشريعات الدقيقة ، لهذه المسألة الخطيرة ، عند غير المسلمين . وقد طبقت لحسن الحظ منذ فجر الاسلام ، وما تزال مطبقة — بحمد الله — حتى يومنا هذا فى معظم المحاكم الشرعية فى البلاد الاسلامية .

للبحث بقية





بقلم : محمد لبيب البوهى

امر ابليس اعوانه بالاستعداد للحفل الدورى الذى يقام فى العالم السفلى ، وفى هذا الحفل يمنح الشيطان الاكبر جائزة التفوق والتقدير لاكثر اعضاء الأسرة الابليسية فسادا وافسادا فى الارض ، وقد حرض أتباعه على تنفيذ أوامره بغير تأخير ولا تأويل ، فهم يدعون من شتى بقاع الكوكب الأرضى كل شيطان مريد ليشارك فى هذا الحفل الأسود ، وليستمع الى الفضائح السوداء ، التى تزداد قيمتها سوادا يوما بعد يوم .

ولما تكامل الحفل افتتحه ابليس بصيحة مدوية وقال : لقد اصبحتم فى هذه الأيام تعانون من الراحة التى تنزل عليكم بغير حساب ، ان افسادكم لبنى البشر لم يعد يكلفكم جهدا كبيرا ، فان فريقا كبيرا منهم يتولون عنكم هذه المهمة ، ولذلك فانكم لن تسألوا اليوم أمامى عن نوعية أعمالكم ، وانما ستسألون عن الكم فيها ، وما كان منكم من ابداع جديد ، أو اختراع ،

انكم لن تسألوا عن حجم الفساد ، ولا عن عدد الجرائم ، فكل ذلك أصبح تلقائيا ، وهم — أعني الناس — يؤدونه بطريقة منتظمة كما تدور عجلات الآلات .. ويزدادون منها كلما طلعت شمس أو غاب نهار ، من اجل هذا سوف أوجه اهتمامى الى الحيل التى تضاعف من حجم الخيبة على هذا الكوكب البئيس ..

يا أبناء الجحيم هل تسمعوننى .. ؟ وهل تفقهون قولى ؟ .. أريد أفكارا جديدة — والآن اطفئوا الأنوار فاننى أريد ان أسمع وارى .. لقد درست الأمر من قبل ، وقامت بفحص أعمالكم طوال العام لجنة من اكبر أساطين الاثم والشر والعار .. وقد وقع الاختيار على من سوف تستمعون اليه .. والآن تقدم يا أعز الأبناء ، واذكر للخالدين فى سقر ، كيف استطعت أن تضع الغامة الجديدة السوداء على عيون بنى الانسان .

••• ••• ••• •••

تقدم التلميذ الأول وهو وسيم على احسن ما تكون صور الوسامة ، ذلك أن الشياطين لم يعودوا يظهرون فى الفترات الأخيرة بقرونهم الملتوية ، وعيونهم التى ينبعث منها الشرر .. لقد أخذوا عن الناس صورهم ... الصور ولا شىء غير الصور فمن الناس من يعجبك مظهره فى الحياة الدنيا وفى قلبه تفور براكين الأحقاد .

وانحنى الشيطان الحائز لجائزة التفوق أمام أخوانه كما ينحنى بنو الانس فى حفلات الكوكتيل قال :

اننى اتبع فى عملى فنا جديدا ، ان من فنون الصيد مثلا أن تعرف كيف تجعل السمكة تسرع الى الطعم المسموم لتبتلعه مأخوذة فى البداية بما يثيره فى نفسها من شهية بعناصر الاغراء البادية فيه ، أما ما يحدث بعد ذلك فأنتم تعلمونه .

قال ابليس الكبير : ولكننا قد بعثنا بك الى قوم يصلون ويصومون .. ومكثت فيهم طوال العام .. ولقد ظن كثير من اخوانك ان مهمتك ستكون صعبة ..

قال التلميذ النجيب ضاحكا فى تلطف : ان أخوانى هؤلاء من السذاجة بمكان عظيم ..

قال أحدهم غاضبا : لا نسمح لك ان ترمينا بالسذاجة .. ان نيلك للجائزة لا يمنحك علينا نوعا من الاستعلاء ..

فانحنى مرة اخرى حتى كاد جبينه ان يمس الأرض ثم قال :

انما أعنى بالسذاجة .. انكم كنتم تظنون الصعوبة فى مهمتى حين علمتم اننى بعثت الى قوم يصلون ويصومون ..

قال الشيطان الغاضب : وهل استطعت أن تصرفهم عن ذلك ؟ .

قال الذى أوتى حظا كبيرا من ذكاء أبيه : ايها الزملاء من أبناء الجحيم .. اننى لم أصرفهم عن صلاتهم ، ولا عن صومهم ، لقد تركتهم يفعلون .. تركتهم يأخذونها بظاهرها لا ينفذون من سطحها الى اللباب والهدف والجوهر ، انهم فقط يقومون ويقعدون .. وتتمتم السنتهم بما لا تحاول أن تفقهه قلوبهم ، ثم يجوعون فى صومهم ويعطشون ، ولا يصعد من ذلك الا أقل القليل ، وأما أكثر الكثير فالى مدارج الضياع ، اننى لم أصرفهم عن صومهم ولا عن صلاتهم لأنهم بأسلوبهم هذا لم يكونوا يحصلون منها على شىء .. ان النتائج دائما تدور حول الصفر ..

ونظر بعض الشياطين الى بعض وراحوا يتهامسون : ان أخانا الذى نال جائزة التقدير لم يبذل شيئا من مجهود .. وقال بعضهم لبعض : كيف يمنحه ابليس الأكبر وسام التقدير ؟ أيكون زعيمنا قد هرم وشاخ وهرمت معه أفكاره وشاخت عنده المقاييس .. ! ؟ فهو يخبط خبط عشواء ويعطى الجائزة لمن لا يستحق كما يفعل اكثر بنى البشر حين يجعلون للوساطة أو المجاملة المحل الأول من موازينهم .. ؟ ترى أيكون هذا الابليس الصغير الجديد مرشحا للزواج من احدى قريبات العاهل الهرم .. ! ؟

قال صاحب الجائزة : يا أبناء الدخان .. أعيرونى اسماعكم واصغوا الى بوعى حصيف :

اننى لم أكن لاعبا ولا لاهيا .. لقد كان هدفى النفاذ الى قلوبهم فأزين لهم ظواهر الأشياء وأقف بينهم وبين الحق .. فى احدى المدن الكبيرة جسر فوق النيل وضعوا على مداخله تمثالين كبيرين يمثل كل منهما أسدا مجرد تمثال من حديد ممتلىء من الداخل بالهواء .. ان السذج من الاطفال يقفون عنده مأخوذين بروعته وهم يرون فى النظر اليه متعة أكثر من النظر الى الأسد الحى المصور .. ان الأسد الحقيقى المنطلق فى آفاق الغابات هو الانسان المؤمن القوى الذى يستمد قوته من غذاء السماء .. أما الذين تخلو قلوبهم من النور ، فانهم يصبحون صورا مزيفة انهم يحملون أسماء تدل على الايمان الذى ليس لهم من حقيقته الا الصورة .. مثلهم كمثل الأسد المصور القائم على قاعدة تمثال .. انه مملوء بالهواء .. أعنى ليس هناك شىء فى الداخل اى القلب .. وحين تشتد الريح فانه لن يصمد أمامها .. انها قد تلقيه فوق الأرض ويتحطم .. وهكذا العبادة الظاهرة التى لا تتحول الى ارادة للسلوك ، قال الشيطان الغاضب :

زدنا شرحا .. فانه لا يصح ان تؤخذ جوائز التقدير لقمة سائغة سهلة بغير حساب .

قال الذى عنده علم البشر : لا بأس .. سوف أزيدكم شرحا وايضاحا .. ان الناس قد خلقوا على هذه الارض ليعمروها بالأسلوب الذى أمرهم به ربهم وعلمهم اياه الرسل .. وكل عمل تصح فيه النية الممتزجة بالعلم تحت جناح العزم والارادة .. كل عمل لابن آدم تتوفر فيه هذه الأركان يكتب له فى سجلات اليمين .. ان هؤلاء الذين خلقوا من طين لازب قد فتحت امامهم ابواب المعارج ، ومن حقهم أن يصعدوا الى صفوف الملائكة .. ان الطرق امامهم ممهدة بالعلم والمثابرة وارادة الصعود .. اصغوا الىّ جيدا لا يمكن أن يتم عمل ناجح بغير علم وارادة .. اننى احاول ان أبعدهم عما يدعوهم اليه نبيهم الأعظم حين يحثهم على طلب المزيد من العلم .. ومع أنه قد أوتى العلم كله ، فقد أمر أن يطلب لنفسه المزيد ، ليكون المثل الأعلى الدائم لهم — اننى أحاول أن أصدهم عن هذا .. ازين لهم السطح الظاهر من الأشياء حتى يخلدوا اليه فى راحة ونوم لذيذ ، كما يفعل مدخن الأفيون ..

قالت الشياطين الحاقدة فى صوت واحد : ولكنك ذكرت انك تركتهم يصلون .. لقد كنا نتصور انك ستجعلهم يتركونها ..

قال : مهلا أيها الرفاق .. لقد تحدثت لكم عن الصور والتماثيل .. ان انسان القرن العشرين قد اخترع شيئا أسماه (الروبوت) أى الانسان الآلى (الميكانيكى) ولقد صنعوا هذا الانسان على صورة البشر .. ووضعوا فيه من الآلات ما يجعله يتحرك أماما أو يرجع الى الخلف ، أو يصعد أو يهبط أو يطير ، كما استطاعوا أن يجعلوه يرفع يده حين يؤمر بذلك أو يغمض عينيه .. أو يضحك أو يبكى وان الذين صنعوا الصواريخ استطاعوا أن يغزوا بها الفضاء البعيد وأن يحركوا هذه الآلات من مسافة تبعد مئات الألوف أو الملايين من الأميال .. ان هؤلاء يستطيعون أن يجعلوا هذا (الروبوت) أو الانسان الآلى ، يستطيعون أن يضعوا فيه من الأجهزة ما تجعله ينهض خمس مرات فى اليوم ليؤدى ما يشبه الصلاة .. وفى وسع هذه الآلات ان تجعله يصوم عن الوقود شهرا كل عام ..

ان العلم يستطيع أن يفعل هذا وأن يصنع مئات الألوف أو الملايين من هذه الأجهزة الميكانيكية التى على صورة الانسان .. وان تؤدى هذه المخلوقات الصناعية بدورها ما يسميه بعض الناس صلاة لهم .. افتظنون انه يصبح من حق هذا (الروبوت) اى الانسان الآلى أن يطالب بدخوله الجنة .. ؟

تبسم الشيطان الغاضب وصفق بيديه وصاح : احسنت .. لقد فهمت .. قال الذى رشح للجائزة ان اكثرهم هكذا يفعلون — صلاة بلا روح — لا تهدى الى بر .. ولا تنير طريقا ولا تنقى قلبا .. ولا تشد عزما .. ولا تصل رحما .. مجرد حركات قد يبالغون فيها وهم يظنونها شيئا ، وهى ليست بشىء ، إن (الروبوت) أو الانسان الميكانيكى له عذره ، لأنه لم يعد لهذه الغاية .. اما هؤلاء فحسبى فخرا اننى استطعت أن أجعل اكثرهم هكذا .. صورا ولا شىء غير الصور .. هكذا أصبح أكثرهم الا الذين يحسنون وقليل ما هم ..

... ...

وحدث هياج بين الجموع ... وامتلأ الجو بلغط كبير ، قضى عليه ابليس بأن نفخ من فيه عاصفة من نار دعت الجميع الى الانصات وقال :

ولكن هناك الوف والوف من المنابر تقال عليها الخطب .. وهناك الوان من الثقافة يحرصون عليها ، فتحدث الى اخوانك عنها ، ان حفل الجائزة يجب أن يثير فيهم مزيدا من المعرفة .

قال الذى سينال التقدير : إن اكثرهم يغرمون بكل ما يأتى من الغرب .. أن مثلهم كمثل العصفور الذى أراد أن يقلد الغراب .. ان الغرب الآن يمر بفترة انهيار حتمى .. ان الثقافة الغربية ثقافة مريضة .. وهم يعرفون هذا ، ولكن ليس لديهم من شىء آخر يعطونه .. ذلك أن فاقد الشىء لا يعطيه .. هناك ثقافة هابطة تمجد الفردية .. والشذوذ .. وترفع من شأن الانحراف وهذه هى البضاعة التى يصدرونها ... لأنها تجد سوقا رائجة .. لقد سمعتم أنهم يطلقون على بعض ثقافتهم اسم العبث .. أو اللامعقول .. وتدور فلسفتهم حول اللذة والتماسها من كل سبيل .. والتحلل من القيم والمثل وهؤلاء الآخرون الذين نبتت من أرضهم القيم والمثل فأداروا لها ظهورهم .. هؤلاء الذين هم أكثر شبها (بالروبوت) يفعلون تماما كما فعلت العصافير حين طاب لها أن تقلد الغربان ..

قال قائل من الشياطين : أدرك تماما انك عملت جاهدا على تثبيت هذا المعنى .. انك لم تدفعهم من فوق المنحدر .. وانما زينت لهم حلاوة الهبوط الى الوادى المظلم ، الذى وضعت فيه بمهارتك اللذات المغناطيسية .. ولكن الذين ينادون بالثقافة الهابطة أعنى العبث واللامعقول هم قلة من المثقفين ..

قال الفائز بالجائزة .. نعم .. ان الأمر لم يصل بعد الى حد الخطر الكبير .. ولكن المكروب قائم فى

الجو .. والحالات الفردية من الكوليرا تسمح بالانتشار البعيد .. ان اخشى ما اخشاه أن ينهض آخرون من الأمناء على المثل فيدقون الأجراس .. وهنا تبرز مهمتكم أنتم .. أما انا فقد استطعت أن أغرى عددا كبيرا بأن يكونوا غربيين ولو لم يضعوا على رءوسهم القبعات ... ليس شىء أشد ضلالا من المرء حين يفقد ذاته .. ان صفحات كثير من كتبهم وصحفهم تحتفى بما يسمى الوجودية .. والبرجمائية .. ان أصحاب هذه المبادىء المستوردة لا يطيب للواحد منهم أن يكون تلميذا لمحمد .. لكن يسعده أن يفتح قلبه لترهات البير كامى أو العجوز سيمون بوفوار أو نحو ذلك من الذين يرون أن الحياة لا معنى لها .. وانه يجب انتهاز فرصتها لانتهاب اللذات .. اننى ايها الأخوة أباشر انفاق الملايين فى سبيل اقامة نواد لنشر هذه الفلسفات الهابطة .. ان كل كتاب منها خير من الف شيطان .. ان الترهات التى تملأ العقول لا تدع مجالا لأنوار الكتاب الحكيم .. انها مثل ثمار شجرة الزقوم ..

... ...

صفق عدد كبير من الحاضرين .. وهبوا واقفين يحيون البطل وهم يقولون : اننا نعترف لك بالبراعة . قال صاحبهم : شكرا لكم .. غير أن هناك ما هو أكثر اسعادا لنفسى من نيل الجائزة .. ذلك أن اكثر من ثمانين فى المائة من أصحابى هؤلاء أميون .. لا يعرفون كيف يخطون على الورق خطا أو يقيمون من الارقام الاولية حسابا .. لقد كنت أخشى أن يدركوا أن معنى الثقافة الحقة هو فى الدرجة الاولى المحو لهذه الامية .. ذلك واجب الفئة المثقفة ولكننى شغلت هؤلاء بأنفسهم .. وباللامعقول .. وبالسينما العابثة .. وشغلت الآخرين بالعبادة على طريقة (الروبوت) الانسان الآلى ، انها عبادة ميتة لا روح فيها ولا اخشى منها شيئا لانها لا ترفع صاحبها الى جنة السماء .. ولا تنقذه من جحيم الارض ..

قال قائل من الشياطين : لقد علمنا ما يحدث ونحن نوشك أن نودع القرن العشرين .. حيث أصبحت مهمتنا سهلة مع بنى الانسان حتى يستطيع مثلك وهو يلهو لاعبا متنقلا بين الربوع أن ينال جائزة التقدير .

قال الشيطان الذكى الفائز : ايها الاخوة .. لم يعد الأمر سهلا كما تظنون .. لقد هب من بينهم من راح يدق النواقيس .. وهناك أضواء تتجمع فى الأفق من بين الغمام .. فخذوها منى نصيحة أخيرة .. عليكم أن تفتعلوا مزيدا من الضجيج حتى لا تقرع دقات الأجراس آذان الذين ما زالوا نائمين .



للاستاذ عبد الكريم الخطيب

١ ـــ من الحقائق المسلمة التى تقع موقع البدهيات فى العقول ، هى أن الأديان تعانى فى هذا العصر أزمات حادة وانها تقف موقفا حرجا فى الحياة بعد أن غلبت المادية على منازع التفكير الانســـــانى ، وبعد أن أصبحت المحسوسات هى أساس التعامل فى مجال الفكر ، كما هى أساس الأخـــذ والعطاء فى مناحى النشاط الانسانى العصرى كله .

إن انسان العصر الحديث ، لا يقبل التعامل مع الغيبيات ، ولا يدخل إلى عقله شيئا لا تلمسه حواسه ، وتختبره ، وتطمئن إليه ، تماما كما لا يدخل إلى جيبه شيئا من المال إلا اذا نظر فيه بعينيه ، وتحرى سلامته ، واطمأن الى خلوه من الزيف .

فلا عجب ـــ والأمر كذلك ـــ أن تقف مقررات الأديان التى تتحدث عمـــا وراء المحسوس ، من إيمان بالله واليوم الآخر ، والبعث ، والحساب ، والجزاء والجنة والنار ـــ لاعجب أن تقف هذه المقررات موقفا قلقا مضطربا ، فى مجال العقل المـــادى ، الذى يطلب لكل مقولة من تلك المقولات الدينية شـــاهدا شاخصا بين يديه ، يمسك به ، حتى يأذن المرء لعقله بالتعامل مع هذه المقولات وإلا اعرض عنها ، وصك أذنيه دونها . .

ان الدين الغالب اليوم ، وخاصة فى العالم الغربى ، هو دين المادة ، التى تغل ثمرا حاضرا معجلا . . ومن أجل هذا فقد زهد الناس فى الأديان التى لا تعامل الانسان على هذا الأساس ، ولا تضع فى يديه نقدا معجلا لكل حركة من حركات عقله ، أو جسده !!

٢ ـــ والذى نريد ان نقوله هنا ، هو أنه ينبغى على الذين ينتصرون للدين والذين لا يزالون فى جماعة المتدينين أن يعرفوا هذه الحقيقة جيدا . وأن يواجهوا هذا الواقع ، مواجهة صريحة . .



وان اول ما ينبغى ان يفعله اصحاب الدين فى صراعهم مع الماديين والملحدين . أن ينظروا فى دينهم . وأن يكشفوا عن معطياته للحياة الدنيا ، إلى جانب معطياته للحياة الآخرة ــ فان كان فى الدين الذى يدينون به شىء ينفع الناس فى دنياهم ، ويسد حاجات الجانب المادى منهم ــ كان لهم أن يقفوا من الماديين والملحدين موقف المنكرين عليهم عداوتهم للدين ، ومجا نبتهم له ، اذ كان الدين ملبيا حاجتهم المادية ، حفيظا عليهم أن يغرقوا فى تيارها المتدافع ، أو أن يحترقوا فى نارها المتضرمة .. أما إذا لم يكن فى الدين ما يستجيب ــ فى غير حرج أو ضيق ــ لحاجة الانسان المادية ، فليمض أصحاب هذا الدين بدينهم ، ليعيشوا فيه وحدهم ، وليتركوا الحياة تمضى فى مسيرتها بالناس الى حيث يشاءون !!

٣ ــ وبعيدا عن الأديان ، والمذاهب ، والمعتقدات ، ننظر الى الانسان من حيث طبيعته وفطرته ، نجد أنه كائن جمع كيانه النور والظلام ، والهدى والضلال ، والخير والشر ، والروح والجسد ، والانسان والحيوان ، حيث التقت فيه نفخة الحق بتراب الارض .. فهو سماوى أرضى ، يعلو ، ويصفو حتى يطاول السماء ، ويصاف الملائكة ، ويتدلى حتى يكون فى قطيع البهائم ، أو مسارب الديدان .. وهو فى علوه وتدليه ، هو هذا الكائن الذى التقى فيه النقيضان ، فاذا علا الى أقصى غاياته من العلو ، فانه لا يزال مشدودا الى الارض ، أشبه بالطائر المحلق فى السماء ، وعينه ناظرة دائما الى الارض . واذا تدلى الانسان إلى أسفل سافلين ، فان فيه بقية من أشواق الى العالم العلوى الذى تكمن أسراره فى أعماقه .. فأحسن الناس حالا . وأعلاهم منزلة من سمت روحه على جسده ، فكانت اليها قيادة الانسان، روحا وجسدا فأخذت الروح حقها ، ولم تحرم الجسد حظه .. وأسوأ الناس حالا ، وأضلهم

سبيلا من كان جسده غالبا على روحه ، مستوليا عليها ، حيث تنقلب حقيقته ، وتنتكس خلقته ، ويصبح قياده إلى الحيوان الكامن فيه . .

هذه حقيقة مسلمة من مسلمات العلم لا يمكن أن يمارى فيها حتى أشد الماديين اغراقا فى المادية ، وايمانا مطلقا بها . . وإن أيا من هؤلاء الماديين ، مهما تكن المادة قد غطت على الجانب الانسانى منه ، وما فى هذا الجانب من مشاعر العطف ، والرحمة ، والمودة ، والاخاء الانسانى — فانه لا يعدم أبدا حالا من الاحوال ، تهتز فيها مشاعره ، ويخفق لها قلبه ، ويتوهج منها ضميره ، واذا هو خارج من عالمه المادى ، فيبكى كما يبكى الناس ، ويحب كما يحب الناس ، ويعطف ويرق كما يعطف الناس ويرقون . . ان ذلك هو بعض الدين الذى ينكره الماديون ، ويفرون منه وهو ساكن فى أعماقهم !!

٤ — ولكن أى دين هذا الذى يقيم الانسان هذا المقام الكريم المكين فى هذه الحياة الدنيا ، وفى الآخرة ؟

لا شك أن الأديان السماوية ، المنزلة من عند الله الى عباد الله ، هى وحدها الكفيلة بشريعتها ، وأحكامها وآدابها — أن تضمن للانسان حياة طيبة فى الدنيا ، وخلودا فى جنات النعيم فى الآخرة . . ذلك أن الذى شرع هذا الدين ، هو أحكم الحاكمين رب العالمين ، قدره بعلمه ، وأحكمه بحكمته ، مقدورا بقدر الانسان ، وما أودع فيه الخالق جل وعلا ، من غرائز وملكات فمن أخذ بدين الله ، أخذ بكل خير ، ومن استمسك به استمسك بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها ، وهدى الى الحق ، والى صراط مستقيم . . ومن عدل عن دين الله ، واتبع هواه ، غوى وضل ، وكان من الهالكين .

٥ — والديانات السماوية التى يعيش فيها المتدينون الآن ، هى : اليهودية ، والمسيحية ، والاسلام . . ولو جرت الامور على طبيعتها لكان أهل هذه الديانات الثلاث على دين واحد ، هو دين الله ، الذى جاء به رسل الله ، والذى أخذ الله به الميثاق على أنبيائه ، أن يصدق بعضهم بعضا ، وأن ينصر بعضهم بعضا ، وفى هذا يقول الله تعالى فى القرآن الكريم : ((**وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى ، قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين**)) (٨١ : آل عمران) . . ويقول تبارك اسمه لنبيه الكريم : ((**قل آمنا بالله وما أنزل علينا ، وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون**)) (٨٤ : آل عمران) ويقول سبحانه لأتباع محمد — صلوات الله وسلامه عليه — : ((**قولوا آمنا بالله ، وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون**)) (١٣٦ : البقرة) .

هذا هو موقف المسلمين من رسالات السماء ، يؤمنون بها جميعها ، ويصدقون برسل الله الذين جاءوا بها ، اذ كانت دعوتهم قائمة على أصول عامة من الايمان بالله ، واليوم الآخر ، والحساب ، والجزاء ، والجنة والنار ، تلك الأصول التى هى الدعامات الأولى لدعوة كل نبى — أما الفروع الخاصة بتنظيم

اوضاع المجتمع ، فقد كان من الطبيعي ان تختلف صورها واشكالها حسب اختلاف الزمان والمكان ، والحال التي عليها كل مجتمع ، وذلك مراعاة لسنة التطور في الحياة ، وانتقال الانسان من طور الى طور ، كانتقاله من البداوة الى سكنى المدن ، وما ينشأ في المدن من حضارة وعمران، وما يجد في الحياة من وجوه مختلفة في الزراعة ، والصناعة ، والتجارة ، وما يقتضيه ذلك من تشريعات واحكام ، وهذا ما يشير اليه قوله تعالى : « **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ، ولكن ليبلوكم فيما آتاكم** »(٤٨ : المائدة) .

ولو أن أهل اليهودية والنصرانية استقاموا على دين الله ، لكان الاسلام وجهتهم ، ولكانوا أول الداخلين فيه ، المؤيدين له ، لأنه دين الله المصدق لما معهم من كتاب الله ، ولكنهم أبوا الا عنادا وضلالا ، لا يرون الدين الحق الا دينهم وأنهم قد اختصوا به دون الناس جميعا ..

أما اليهود ، فقد زين لهم الغرور أن الله تعالى خلقهم خلقا متميزا عن ابناء آدم جميعا ، وانهم الشعب المختار عند الله ، واليهم وحدهم تنزل كتب الله ، وفيهم وحدهم تبعث رسله ، وأن الناس جميعا انما خلقوا ليسخروا لهم كما تسخر الحيوانات للناس .. ولهذا فانهم قد احتفظوا بنسبهم ، وعزلوا جنسهم عن بقية الأجناس الاخرى ، واحتفظوا بالدين الذى انزله الله عليهم ــ احتفظوا به في محيطهم ، دون أن تكون لهم دعوة في الناس به ، لأنهم يرون الناس ــ دون بنى اسرائيل ــ غير أهل للاتصال بالله ، وتلقى رسالاته ، تماما كما نرى نحن ذلك الرأى فى عالم الحيوان .. !!

ثم انهم لكى يرضوا هذا الغرور الذى استبد بهم ، عبثوا بالتوراة ، وغيروا كثيرا من نصوصها ، وحرفوا الكلم فيها عن مواضعه ، حتى يتطابق منطوق التوراة ومفهومها مع مدعياتهم الباطلة التى يدعونها من أنهم شعب الله المختار ، حتى لقد أصبح هذا الادعاء دينا ومعتقدا ، يدينون به ويعتقدونه .

فالتوراة التى فى أيدى اليهود ، والتى فى أيدى المسيحيين أيضا ، لانها كتاب الشريعة للنصارى ، كما انها كتاب الشريعة لليهود ، اذ ان المسيح عليه السلام ، لم يأت بشريعة ، وإنما كانت شريعته ، وشريعة اتباعه هى شريعة موسى ، ولهذا يقول فى الأناجيل التى فى أيدى المسيحيين : « ما جئت لأنقض الناموس ــ أى شريعة موسى ــ وانما جئت لأكمل » .. فليس فى الانجيل الذى بشر به المسيح أحكام تشريعية ، وانما كل ما فيه آداب وأخلاقيات هى تطبيق عملى لشريعة موسى ، وتفسير مشرق لمضمونها ــ نقول : إن التوراة التى فى أيدى اليهود والمسيحيين ليست على الصورة الكريمة التى جاء بها موسى من عند الله ، اذ قد اختلطت بأهواء اليهود ومفترياتهم ، التى طمست معالم الحق والخير فيها ..

وإذا كان الناس فى عماية الجهل ، وتحت نشوة الحماس الدينى ــ قد قبلوا ما فى التوراة من متناقضات لا يقبلها عقل ، وسوغ لهم رجال الدين ــ بصورة أو بأخرى ــ أن يقرءوا فى التوراة أن أنبياء الله يزنون فى بناتهم ، ويخونون أبناءهم فى زوجاتهم ، كما تقول التوراة المحرفة إن لوطا قد شرب

الخمر حتى سكر ثم زنا فى ابنتيه وحملتا منه ، وأن يعقوب زنا مع زوجة أحد أبنائه — ثم لا ينكرون نسبة هذا الفسق الى أنبياء الله وحملة رسالاته الى الناس — نقول : اذا كان الناس قد دخل عليهم هذا الزور وهم فى عماية من الجهل ، فان العقول اليوم فى عصر العلم والتنوير لتصاب بصدمة مذهلة حين تقرأ فى كتاب سماوى مقدس مثل هذا الاستخفاف بالقيم الأخلاقية تكون من عامة الناس فضلا عن أنبياء الله ، وحملة مشاعل الهداية للناس .

وليس هذا كل ما فى التوراة من مفتريات على الله ، ينكرها العقلاء من الناس ، بل ان فى التوراة ما لا يحصى من أمثال هذه المقولات بحيث لا يكاد يخلو سفر من أسفارها من عشرات المتناقضات ، التى تخف بها موازين الحق، والعدل والاحسان ، حيث تستباح الدماء ، والأموال ، والأعراض ، وحيث تضيع معانى المثل الفاضلة : والأخلاق الكريمة ، اذا كان ذلك لحساب بنى اسرائيل ، الذين يرون الناس حمى مستباحا لهم ، دون تحرج أو تأثم : « **ذلك بانهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون** » (٧٥ : آل عمران) .. والأميون هم الناس جميعا غير اليهود ، أهل الكتاب ، لأن الناس عند اليهود ، اما يهود ، أو أميون .. أما المسيحيون ، وهم أصحاب التوراة والانجيل ، فان فيما معهم من التوراة من متناقضات هو ما مع اليهود ، فضلا عن الانجيل وما فيه من حلول الله فى رحم مريم ، وولادته منها فى صورة المسيح .. ثم صلب هذا الإله فى شخص المسيح ، ودفنه ، ثم قيامته من بين الأموات بعد ثلاثة أيام من دفنه ، وظهوره لبعض حوارييه وأتباعه ثم اختفاؤه بعد هذا .. !!

كل هذه المعتقدات التى يعتقدها المسيحيون فى المسيح — عليه السلام — قد انكرها العقل فى هذا العصر ، بعد أن استنار بنور العلوم والمعارف .. وكان من هذا أن انتشرت فى أوربا وأمريكا — حيث يدين الناس بالمسيحية انتشرت مذاهب الالحاد ، وخفت موازين الدين فى هذه المواطن ، وقام هذا الصراع الحاد بين مقولات العلماء ومقررات الدين ، واستمر هذا الصراع سنين طويلة ، انتهى بفصل العلم عن الدين ، بمعنى أن تكون مقولات العلم لحساب العلم ، ليس للدين شىء منها ، وأن تكون مقررات الدين لحساب الدين ليس للعلم شأن بها ..

٦ — وفصل الدين عن العلم ، هو فى الواقع هروب بالدين عن منطقة النور ، التى تتجلى فيها حقائقه ، وتتكشف فيها جواهر تلك الحقائق .. ثم إن هذا الفصل للدين عن العلم فى كيان الانسان أمر غير ممكن، اذ الانسان كل لا يتجزأ فى مداركه ، ومشاعره ، ونوازعه ، وعواطفه .. وكل حقائق العلم التى تبلغها مدركات انسان ما لا يمكن أن تعيش بمعزل عن أية حقيقة ترد عليه من حقائق الدين ، أو الفن ، وغيرها .. فالعلم اما أن يقبل حقائق الدين ، وبهذا تدخل تلك الحقائق فى دائرة العلم ، واما ان يرفض حقائق الدين . وبذلك يخرجها من محيط العلم .. وهذا ما حدث فعلا فى العالم المسيحى ، فى أوربا وامريكا ، بعد أن رفض العلم ما تحدثت به الديانة المسيحية من مقولات عن ميلاد الله ميلادا بشريا فى المسيح ، وعن صلب الله فى المسيح ليكفر خطايا البشر التى ورثوها عن خطيئة أبيهم آدم . ثم عن قيامة المسيح أو الاله بعد

دفنه بثلاثة أيام .. الى غير ذلك من المقولات التى رفضها العقل الحديث وابى ان يدخلها فى محيط العلم الذى يطمئن الى معايشته والحياة معه .

ان أوربا وأمريكا تعيشان اليوم بغير دين .. وهذا أمر غيـــر طبيعى ، لا يمكن أن يعيش الناس فيه طويلا ، لان الدين والتدين غريزة فطرية فى الانسان فاذا لم يجد الانسان الدين الصحيح الذى يقبله العقل ويطمئن اليه القـلب . استبد به القلق ، واستولت عليه الحيرة .. ومن هنا كان هذا الذى نشهده فى أوربا وأمريكا من اغراق فى المادية والالحاد ، ومن تهالك فى الجرى اللاهث وراء حاجات الجسد واشباع غرائزه ، وليس ذلك الا تعويضا للجوع الروحى الذى يعانيه القوم هناك ، ولا يجدون سبيلا الى سد حاجتهم من هـــذا الجوع الا بالذهول عنه ، والقاء أنفسهم فى هذا التيه الصاخب بموائد القمار والخمر ، وحانات الموسيقى والرقص والعربدة .

وإنه لمن الخطأ أن نحسب أن هذا العقل العصرى الذى بعد عن الدين هذا البعد البعيد قد اطمأن الى تلك الحياة التى يحياها بلا دين .. فالانسان ـــ كما اشرنا من قبل ـــ متدين بطبعه ، والدين مطلب قوى من مطـــالب الانسان ، على اى مستوى يكون عليه من مستويات الانسانية ، وأيا كان عقله ، وأيا كان مبلغه من العلم ..

فالانسان البدائى ، وسقراط ، وأفلاطون ، وأرسطو ، والفارابى ، وابن سينا ، وابن رشد ـــ هم جميعا سواء فى الحاجة الى الدين ، والى تصور المعتقد الدينى الذى يدينون به ، والذى يغذى عاطفتهم ، ويروى الجدب الروحى الذى يجده الانسان ـــ أى انسان ـــ اذا هو بات ليلة أو بعض ليلة على غير دين .. !!

وإن هؤلاء الملحدين الذين تعج بهم دنيا الناس فى الغرب وفى الشرق ، هم اكثر الناس ظمأ الى الدين ، وتطلعا اليه ، ووسواسا به ، وطلبا له ، وبحثا عنه ، فاذا وجد أحدهم الدين الصحيح الذى يطمئن اليه قلبه ، ويستريح اليه ضميره ، أقبل عليه اقبال الظمآن على الماء ، وفرح به فرح الغريق بالنجاة .. اما من لم يصادفه التوفيق الى الدين الصحيح فسيظل فى هذا الاضطراب المحموم الى ان يموت .. !!

٧ ـــ وهنا يجد الاسلام فرصته فى انقاذ المجتمع الانسانى الملحد من هذا الضياع ، حيث هو الدين الذى يحترم العقل ، ويعطيه حقه كاملا من البحث والنظر ، ومن تقليب الحقائق الدينية على جميع وجوهها ، وهو الدين الذى يؤاخى العلم ، ويزكى جهاد العلماء ، وما يكشفون من حقائق الوجود وأسرار الكون .. وفى هذا يقول الله تعالى : « **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** » (١١ : المجادلة) ويقول سبحانه : « **وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون** » (٤٣ : العنكبوت) ويقول جل شأنه : « **قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، انما يتذكر أولو الألباب** » (٩ : الزمر) ويقول تبارك اسمه : « **وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون** » (٢٣٠ : البقرة) .

هذا ، وقد ورد ذكر العلم ، ومشتقاته فى نحو تسعمائة موضع من القرآن الكريم ، الأمر الذى لم يكن لغيره من الحقائق التى ورد لها ذكر فى كتاب الله

.. ويكفى تنويها بالعلم ، ورفعا لقدره وقدر أهله أن كان صفة من صفات الله سبحانه وتعالى ، فهو جل شأنه : عالم ، وعليم ، وعلام .

والقرآن الكريم هو جامعة العلم ، ومورد العلماء ، وإنه بحسب المرء من العلم أن يقبس قبسة من أضوائه ، فتكون له زادا عتيدا لكل علم ، ومنهلا طيبا الى كل معرفة .. ولهذا كثر الداخلون فى الاسلام من علماء أوربا وأمريكا ممن أتيح لهم الاتصال بالشريعة الاسلامية ، وبكتابها الكريم ، من غير دعوة لهم من أحد .. ففى كل يوم يدخل فى الاسلام أعلام من علماء الغرب وحكمائه، لما ظهر لهم من الحق المنزل من عند الله .. ولو جرت الامور على ظاهرها لما امتد بصر أحد من هؤلاء الداخلين فى الاسلام الى الاسلام ، لما صارت اليه حال المسلمين من التخلف ، والفقر والجهل ، الأمر الذى يشوش على الدين نفسه ، ويسىء الظن به ، اذ كان المسلمون — وتلك حالهم — هم الوجه الذى ينظر الناظرون فيه الى الاسلام من خلاله .. ولكنه الحق أكبر من أن تحجب أنواره سحب عارضة ، أو أن تطفىء سراجه انفاس محمومة !!

٨ — ان هذا العصر ، عصر العلم والشك ، عصر الامتحان لكل شىء ، عصر غربلة الأديان والمعتقدات ، وعرضها على محك العقل — هو عصر الاسلام ، وهو اللسان المجدد لدعوته ، حيث يجلى حقائق هذا الدين ، ويكشف عن الخير الكثير المخبوء للناس فيه ..

ولا يريد الاسلام من الناس أن يتلقوا دعوته قضية مسلمة ، دون بحث واختبار وتحقيق ، فان ذلك مما تأباه طبيعة هذا الدين ، الذى أراده الله تعالى ليكون خاتمة الرسالات السماوية ، وليكون من كتابه الكريم رسولا يلتقى مع العقل الانسانى على امتداد الزمان والمكان ، حيث يجد فيه العقل فى أعلى مستوياته الحجة القاطعة ، والبرهان المبين على كل مقولة يقولها ، وعلى كل قضية يقضى فيها ..

فالذى يريده الاسلام ، ونريده له ، هو أن يضع العلماء ، والفلاسفة والمفكرون — فى الغرب والشرق — قضايا الاسلام كلها ، موضع الشك أو الانكار — إن شاءوا — ثم ليعاملوها معاملة القضايا العلمية التى ينكرونها ، أو يتشككون فيها ، وليسلطوا عليها نظراتهم باحثة فاحصة ، ثم ليقلبوها فى أيديهم على جميع الوجوه الممكنة لهم ، وليمتحنوها بكل ما فتح به العلم عليهم من أساليب الامتحان، ثم ليحكموا بعد هذا على الاسلام بما يظهر لهم منه على محك الفحص والاختبار .. وان الاسلام ليتقبل هذا الحكم فى اطمئنان ورضى ، لأنه لن يكون الاشهادة بينة الحجة ، ساطعة البرهان ، على أن هذا الدين ، هو دين الله ، دين الحق الذى أراده الله تعالى لخير الانسانية واسعادها .

ان العلم الحديث — كما قلنا — هو فرصة الاسلام التى تتجلى فيها معجزاته من جميع جوانبها ، العلمية ، والسياسية ، والاجتماعية والاقتصادية حيث يشهد العقل الحديث من النظر فى حقائق الاسلام أنه أمام معجزات قاهرة ، ينقاد لها العقل ، انقياده لما ينكشف له من أسرار الكون ومعجزاته على ضوء العلم ، ومكتشفات العلماء .

وهذا هو كتاب الاسلام ، وتلك هى حجته القائمة ، ودستوره المسطور

فى القرآن الكريم .. انه يقدم نفسه لكل من يريد النظر فيه ، والتعرف اليه ، غير مستند الى تأويل المؤولين ، أو تفسير المفسرين ، فلسانه أفصح من كل لسان ، وبيانه أوضح من كل بيان ..

فالذين يعرفون العربية ، يعرفون طريقهم اليه فى غير عناء ، ويضعون أيديهم على حقائقه فى يسر ، وفى غير معاناة .. والذين لا يعرفون العربية ، يمكن أن تترجم لهم حقائقه الى اللغات التى يحسنونها ، كما تترجم الحقائق العلمية ، والقضايا الاجتماعية ، والأحكام القانونية .. ثم لا عليهم ان فاتهم اعجاز الكلمة ، ومعجزة البيان فى اللسان العربى الذى نزل به القرآن الكريم ، فان فى الحقائق التى تصل اليهم عن طريق الترجمة ما يكفى للكشف عن وجوه أخرى من الاعجاز القرآنى ، ممثلة فى محكم أحكامه وروعة حقائقه ، وخلود مقرراته ، وضبطها على أحكم ميزان واعدله .

والاسلام — فى يسره ، وسماحته ، ومواءمته للفطرة الانسانية — قريب من كل نفس ، متجاوب مع كل عقل ، واقع فى فهم كل ذى فهم .. تلتقى عنده عقول المتعلمين والعلماء ، وتجتمع عليه أنظار العامة والفلاسفة ، بحيث يجد فيه كل ذى عقل ما يرضيه ويغنيه ، ويأخذ منه كل ذى نظر ما يرشده ويهديه .. هكذا دائما تكون آيات الله المبثوثة فى هذا الوجود ، مما يمسك على الناس حياتهم ، ويحفظ وجودهم ، لا تقصر عنها يد ، ولا يستأثر بها انسان دون انسان أو تختص بها جماعة دون جماعة ، أو أمة دون أمة .. انها من الله ، ولعباد الله ، كما نرى ذلك فى الماء ، والهواء ، والشمس والقمر ، والنجوم .. فان كان لأحد ، أو لجماعة ، أو لأمة ، نصيب أوفر ، أو حظ أعظم ، من هذه النعم العامة ، فهو مما زاد عن الحاجة التى لا تتطلبها ضرورات الحياة ، وان كان فيها متعة فوق متعة ، ورضى فوق رضى : فصاحب النظر الحديد ، والقلب السليم يرى من جمال الوجود وروائع الكون ما لا يراه صاحب النظر الكليل أو القلب السقيم .

ومثل هذا تماما موقف الناس جميعا بين يدى القرآن الكريم .. كلهم بين يديه مائدة طيبة ، طعامها هنيء لكل عقل ، وشرابها مرىء سائغ لكل ذى قلب .. ثم هم مع ذلك على حظوظهم من تلك المائدة ، بقدر ما تتسع العقول وتنشرح الصدور ..

وتلك هى معجزة القرآن القائمة على الناس ابد الدهر ، وتلك حجة الله على من أخلى عقله وقلبه من الدين ، أو دان بغير دين الحق ، دين الله الذى ارتضاه لعباده ، كما يقول سبحانه : ((**ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين**)) (٨٥ : آل عمران) .

٩ — والأمر الذى ينبغى أن ننتبه اليه فى هذا المقام ، هو أن رجال الدين المسيحيي يدركون تماما هذه الحقيقة من أمر الاسلام ، ويعلمون أن الذين يتركون المسيحية لا يجدون دينا غير الاسلام يدينون به ، متى أتيحت لهم فرصة للتعرف عليه .. ولهذا اشتدت حملات المسيحية على الاسلام ، بالطعن فيه ، ومحاولة تشويه حقائقه ، حتى ينصرف الذين خرجوا من المسيحية عن الانجاه الى الاسلام ، الذى ان اتجهوا اليه لم يولوا وجوههم عنه ابدا .. ومن هنا تحولت حركات التبشير بالدين المسيحيالى حملات حرب مسعورة على الاسلام ، فيما يكتبه المستشرقون من رجال الدين المسيحى ، يظاهرهم فى

ذلك المستشرقون من اليهود ، لا لشيء الا لازالة أى معلم من معالم الحق تفيء اليها الانسانية ، وتستعصم بها .. ولا يسع المسلم فى هذا المقام ، وهو يتلو كتاب الله ، الا أن يذكر قول الله تعالى فى سورة التوبة : « **يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون** » (الآية ٣٢) ثم يذكر بعدها قوله تعالى : ((**هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**)) (الآية : ٣٣) .

ففى هاتين الآيتين الكريمتين نبأ من أنباء الغيب ، قد أخذت دلائله تظهر فى هذا العصر ، وتحدث بأن تلك الأفواه التى تقذف بحمم الضلال ، وترمى بها فى حمى الاسلام ، لن تنال من دين الله شيئا ، لان الله سبحانه وتعالى يأبى الا أن يتم نور هذا الدين ، على كره ومضاضة من الكافرين ، وأن تمام هذا النور انما يكون بتمام دورته فى فلك الكوكب الارضى ، فيطلع نهاره على الغرب ، كما طلع نهاره على الشرق ، فيمحو بنوره ما ران على القلوب من ضلال ، وما استولى على العقول من زيغ وبهتان ، فلا يبقى على وجه الارض دين غير دين الله ، وبذلك تبلغ رسالة رسول الله كل دان وقاص ، وتنال الرحمة التى حملها بين يديه كل قريب وبعيد ، حتى تشمل العالمين جميعا ، كما يقول سبحانه : ((**وما أرسلناك الا رحمة للعالمين**)) (١٠٧ : الأنبياء) .

وقد جاءت هذه البشارة بظهور الاسلام على الأديان كلها — جاءت فى سورة الصف ، وهى من القرآن المدنى أيضا مؤكدة لما جاء فى سورة التوبة وهى من أواخر ما نزل من القرآن ، وذلك فى قوله تعالى : ((**ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدى القوم الظالمين . يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون . هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**)) (الآيات : ٧ ، ٨ ، ٩) .

ونحب هنا أن نشير الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رواه البخارى عن أبى هريرة ، قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها . » ومعنى هذا أن دولة الصليب ستنتهى ، وأن ما يؤمن به أتباع المسيح من صلب المسيح سينكشف الغطاء عن بهتانه ، وقد بدأ أتباع المسيح أنفسهم يكسرون الصليب بأيديهم ، ويخرجون من المسيحية قبل أن يظهر المسيح ، وليس وراء هذا الالحاد الذى شاع فى أوربا وأمريكا المسيحيتين الا الايمان الحق بالله ، والدخول فى الاسلام دين الله ، ((**ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**)) .

١٠ — هذا ، وقد استظهر بعض المشتغلين بالدراسات الاسلامية من علماء الاسلام(١) — استظهر من مسيرة الاسلام فى فلك النبوة ، والذى كانت دورته فيها ثلاثا وعشرين سنة ، فى مكة ، والمدينة — ان للاسلام دورة فى فلك خارج فلك النبوة ، أشبه بهذه الدورة التى دارها فى فلك النبوة ، وأن مدة هذه الدورة ثلاثة وعشرون قرنا ، أى أن كل سنة من عصر النبوة تمثل قرنا كاملا من تلك الدورة الواقعة بعد عصر النبوة .

كما استظهر ايضا ، ان الثلاثة عشر عاما الاولى من بعثة الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — والتى عاشتها الدعوة الاسلامية فى دائرتها الضيقة فى مكة ، تواجه الكيد لها ، والمكر بها ، والتضييق على اتباعها — هذه المدة تمثل الثلاثة عشر قرنا التى انسلخت بعد عصر النبوة من حياة الاسلام وأن الاسلام بعد هذه القرون الثلاثة عشر سينطلق من دائرته الضيقة ، كما انطلق بعد الثلاثة عشر عاما التى عاشها فى المدينة ، والتى انتقل بعدها بالهجرة الى المدينة ، فكان النصر ، وكان الفتح ، وكان دخول الناس فى دين الله افواجا ، وكما دانت الجزيرة العربية كلها خلال عشر السنوات التى بعد الهجرة ، ستدين الانسانية كلها بالاسلام ، خلال عشرة القرون التالية للثلاثة عشر قرنا التى انسلخت من مسيرة الاسلام . حيث يتحقق قوله تعالى : ((**هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**)) — كما تحقق قوله تعالى خلال عشر السنوات الاخيرة من مبعث النبى — صلوات الله وسلامه عليه — اذ يقول سبحانه : ((**اذا جاء نصر الله والفتح • ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا • فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا**)) •

١١ — وبعد ، فهل يقعد بنا هذا الوعد الكريم من الله تعالى بنصر دينه، وإظهاره على الدين كله — هل يقعد بنا ذلك عن أداء حق الله تعالى علينا نحو ديننا ، وما أوجبه جل شأنه على كل مسلم من الجهاد فى سبيل نشر الدعوة الاسلامية ، والدفاع عنها ، والتضحية فى سبيلها بالأموال والأنفس ؟ إن ذلك إن يكن من المؤمن بالله ، فهو خيانة لله ، ولرسول الله ، ولدين الله .. فما كان وعد الله سبحانه وتعالى لرسوله وللمؤمنين بالنصر لدينه ، بالذى القى عن الرسول الكريم وأتباعه عبء الجهاد فى سبيل الله ، ولقاء المشركين فى مواقع القتال ، وبذل الانفس والأموال فى سخاء ، وابتغاء مثوبة الله ورضوانه ، والله سبحانه وتعالى يقول : ((**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين**)) (١٤٢ : آل عمران) ويقول تبارك اسمه : ((**ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم**)) (٣١ : محمد) •

فلا بد اذن من بلاء وتمحيص ، لما فى القلوب من ايمان بالله ، يكون محكه الغيرة على دين الله ، والدعوة اليه ، والدفاع عنه ، وبذل النفوس والاموال فى هذا الجهاد المبرور ، وبذلك الامتحان تثقل موازين العاملين المجاهدين ، وتخف موازين الغافلين ، والمتكاسلين : ((**فاما من ثقلت موازينه • فهو فى عيشة راضية • وأما من خفت موازينه • فامه هاوية • وما أدراك ما هيه • نار حامية** ((٦ — ١١ : القارعة) •

وهذا ميدان الجهاد مفتوح لكل مسلم ، يدخله من اى باب ، بما له ، أو بنفسه ، وبيده ، أو لسانه ، أو قلمه ، ((**فمن نكث فانما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما**)) (١٠ : الفتح) •

---

(١) هو المرحوم الاستاذ محمد فريد وجدى ، فى كتابه : ((الاسلام فى عصر العلم)) •



للدكتور محمود محمد زيادة

اليهود وجمع الاحزاب :

كانت قريش وكان يهود بني قينقاع ويهود بني النضير وعرب غطفان وهذيل والقبائل المتاخمة للشام تتربص كل واحدة منها بمحمد وأصحابه الدوائر ، وتود كل واحدة منها أن تجد الفرصة لادراك ثارها من هذا الرجل الذى فرق العرب فى دينها شيعا ، والذى خرج من مكة مهاجرا لا حول له ولا قوة الا ما يملأ نفسه الكبيرة من الايمان وها هو ذا فى خمس سنين قد أصبح له من الحول والقوة ما جعله مرهوب الجانب فانتصر على كثير من قبائل العرب واخرج بنى قينقاع من المدينة، واجلى بنى النضير عن ديارهم ، وذهب كثير من هؤلاء وهؤلاء الى خيبر والشام ، فهل يسكتون ويطمئنون الى ما حدث ؟ أم يحاولون تأليب العرب عليه ليأخذوا بالثأر منه .. ؟

كانت الفكرة الثانية هي التى اختمرت فى نفوس اكابر بنى النضير وتنفيذا لها خرج نفر منهم ، ومن بينهم حيى بن أخطب وسلام بن أبى الحقيق ، وكنانة بن أبى الحقيق ، ومعهم من بني وائل هوذة بن قيس، وساروا حتى قدموا مكة ، فسأل اهلها حييا عن قومه ، فقال : تركتهم بين خيبر والمدينة يترددون حتى

تأتوهم فتسيرون الى محمد واصحابه .. وسالوه عن قريظة فقالوا : اقاموا بالمدينة مكرا بمحمد حتى تأتوهم فيميلوا معكم : وترددت قريش اتقدم ؟ أم تحجم ؟ فليس بينها وبين محمد خلاف الا على الدعوة التى يدعوها ، اليس من الجائز أن يكون على حق ما دامت كلمته تزداد كل يوم رفعة وسموا .. ؟

فقالت لليهود : يا معشر يهود انكم اهل الكتاب الأول وأهل العلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد . أفديننا خير أم دينه ؟ فأجاب اليهود : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم اولى بالحق منه : والى ذلك يشير القرآن الكريم فى قوله تعالى « الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا » .

فكان قول اليهود هذا من الدوافع لقريش على الترحيب بالمحالفة ثم خرج الوفد اليهودى من مكة قاصدا ديار غطفان وهى قبيلة حربية لها خطرها فى صحراء بلاد العرب وتقع على بعد ١٢٠ ك. م الى الشمالى الغربى من المدينة . وقد انضم الى هذا الحلف قبائل أخرى من العرب . وبذلك بلغت قوات قريش وحلفائها عشرة آلاف محارب فساروا جميعا تحت امرة ابى سفيان قاصدين المدينة ، ويستشير الرسول أصحابه فى الدفاع عن المدينة ويستقر الرأى على حفر الخندق فى الجهة الشمالية من المدينة لأن الجهات الاخرى كانت محصنة بالتلال والنخيل والبيوت المتراصة . وديار بنى قريظة متروكة لحراسة قوة خفيفة متحركة ، وينتهى المسلمون من حفر الخندق وتصل قريش الى خارج المدينة فى جموع كثيرة من احابيشها واحلافها ، وجموع تأتى من أسفل المسلمين وهم قريش ومن جاء معهم وجموع أخرى تأتى من فوقهم وهم أهل نجد من حلفاء قريش وجلهم من غطفان ورأت هذه الجموع الخندق ، فاعترتهم الدهشة، وداخلهم الاضطراب لعدم معرفتهم بوسائل القتال أمام الخنادق ، ولم يكونوا يتوقعون هذا النوع من الدفاع المجهول لديهم، وبلغ منهم الغيظ حتى زعموا ان الاحتماء وراء الخندق جبن لا عهد للعرب به وبدأ رماة المسلمين يطلقون عليهم من خلفه سهامهم الفاتكة فانسحبوا سريعا ، واخذوا يسوون صفوفهم على مسافة آمنة من مرمى السهام والنبال واستمر الجيشان يرقب كل منهما الآخر لأيام قليلة نفد فيها صبر ابى سفيان الذى كان يعتقد أن محق المسلمين ما هو الا رهن لقائهم فى المعركة . وكان قد وعد حلفاءه بالغنائم السريعة السهلة ثم يعودون أدراجهم يتغنون بأناشيد الفوز ثم تبين له أن الأمر مختلف تمام الاختلاف ، وأنه يحتاج الى وقت طويل لا يؤمن معه أن تفكر بعض القبائل فى ترك القتال والعودة ولاسيما والشتاء قارس البرد واهل المدينة يمكنهم المقاومة شهورا طويلة ما دام بنو قريظة يمدونهم بالمؤن ، فكر أبو سفيان فى كل هذا وبدأ يقدر من الخير للأحزاب أن يعودوا أدراجهم ويتركوا الأمر لفرصة أخرى .. ؟

نعم لكن جمع هؤلاء الاحزاب لحرب محمد ليس بالأمر الميسور ، وقد استطاع اليهود وحيى بن اخطب

على راسهم ان يجمعوها هذه المرة للانتقام لانفسهم من محمد واصحابه عما أوقع بهم . فان افلتت هـذه الفرصه فهيهات أن تعود . ثم لا شك ان انسحاب الاحزاب انتصار لمحمد ، وبعد ذلك الويل كل الويل لليهود ، فلو ان بنى قريظة نقضوا عهدهم مع المسلمين لفقد الخندق قيمتـه فى الدفاع من ناحية ولانقطـع المدد والميره من ناحية أخرى وكمـا قدر ابو سفيان ذلك كله قدره ايضا حيى ابن اخطب ، فتلاقت الفكرتان وأوحى حيى الى الاحزاب انه مقتنع بنى قريظة بنقض عهد موادعتهم محمدا واصحابه وبالانضـمام اليهم . وسرى عن الاحزاب بما ذكر حيى .

تآمر بنى قريظة :

وبدات المحادثات تجرى سرا بين (حيى) وكعب بن أسد ، صاحب حصن بنى قريظة وانتهت بعد حوار الى الموافقة على انضـمامه الى الاحزاب ونقض عهده مع محـمد والمسلمين على ان تمهل الاحـزاب قريظة عشرة أيام تعد فيها عدتهـا وتتخلص من عهودها مع المسـلمين وعلى أن تقاتل الاحزاب المسلمين فى هذه الايام العشرة أشد القتال ، ووصلت انباء هذه الاتفـاقية الى الرسول فبعث (سعد بن معاذ) سيد الأوس ، و (سعد بن عباده) سيد الخزرج ومعهما (عبد الله بن رواحة وخوات بن جبير) ليتفقوا على جلية الأمر على أن يلحنوا عند عودتهم ان كان حقا حتى لا يفتوا فى اعضاد الناس ، فلما اتى هؤلاء الرسـل قريظة وجدوها على أخبث ما بلغهم عنها ، فقد نال كعب من رسول الله صلى الله عليه وسـلم وقال : من رسول الله : لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد . وحدثت مشـاده بين بنى قريظة وسعد بن معاذ ، ثم رجع الرسل الى النبى فسـلموا عليه ، وقالوا : عضل والقارة ـ اى كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيـع ـ فاشتد الأمر على الرسول واشـتد الوجل على المسـلمين ، وزلزلوا زلزالا شديدا لأن العدو جاءهم من فوقهم ، ومن أسفل منهم ، وزاغت الأبصـار ، وبلغت القلوب الحناجر .

ولا غرابة أن يبلغ الفـزع من المسلمين مبلغا عظيما ، فقد كـان الحصار شديدا عليهم ، فقد ضاقت ضيق على فقراء المدينة ، وقطعت قريظة المدد والميرة عن المسـلمين عامة منذ تم اتفاقها مع الاحزاب : والاحزاب نفسها قد استعدت للقتال حسب الاتفاق أيضا . وقريظة عما قريب تدخل الميدان ، والمنـافقون يجهرون بما يريدون . فقـد قال بعضهم : كان محمد يعدنا ان ناكل كنوز كسرى وقيصر واحدنا اليـوم لا يأمن على نفسه أن يذهب الـى الغائط . وقال بعضهم الآخر لرسول الله : ان بيوتنا عورة من العـدو فائذن لنا أن نخرج فنرجع الى دورنا فانها خارج المدينة ..

ويضاف الى ما سـبق الخطر الداهم الذى يهددهم به عبد الله بن ابى ذلك الشـيطان الرجيم الذى انسحب يوم أحد بثلث النـاس من صفوف المسلمين فانه كان قد أعد العدة لطعن المسـلمين من الخلف واشعال ثورة فى المدينة من عناصر المنافقين فكان من الضرورى حمـاية قلب المدينة نفسها بما فيها من نسـاء المسلمين واطفالهم : فأرسل النبى

فرقة من الجيش عددها ثلثمائة الى داخل المدينه . وظلت جنود تلك الفرقة تغدو وتروح في شوارعها ليلاً ونهارا

وبدأ ابو سفيان القتال تنفيذاً لاتفاقيته مع بني قريظة ، واستمر يشن الغاره على الخندق ليلا ونهارا حتي تصرمت الأيام العشرة ، وظهرت بوادر غدر بنى قريظة خلال هذه الأيام العشرة ، فقد بدأ المتحمسون منهم ينزلون من حصونهم الى منازل المدينة القريبة منهم يريدون ارهاب أهلهـا وخشي الرسول أن يعجل القرظيون بالغدر ، فيزحفون على المدينـة ، ويفتحون ثغرة من الجنـوب حيث حصونهم فيتدفق الاحزاب منها الى المدينة ، ويصبح المسـلمون على ما هم فيه بين عدوين ، واتقاء لهذا وما يترتب عليه فكر في محاربة قريش بنفس الوسـيلة التى استخدمتها قريش في استمالة بني قريظة حتى يفرق الأحزاب ، فأرسل الى عيينة بن حصن الفزارى والحـارث بن عوف المرى قائدى جيش غطفان فراوضهما ان يعطيهما ثلث ثمار المدينة . على ان ينصرفا بجيوش غطفان فقبلا ، ولكنه قبل ان يبرم الأمر ارسل الى السعدين (سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة) فاستشـارهما فيما رأى ، وعرفا من الرسـول أن هذا أمر يصنعه لهم ، فلم يقبلا ، واعجب الناس بحماس الأنصار ، وفوض امره لربه اللطيف بعباده المدبر لأمورهم ، فقد جاء في هـذا الوقت (نعيم بن مسعود الأشجعي) وهو صـديق قريش واليهود ، ومن غطفـان الى رسول الله ، واعلمه باسلامه وان قومه لا يعلمون بذلك ، ويطلب منه ان يامره بامر يساعد على انتصـار المسلمين فيقول له الرسول : « خذل عنا ما استطعت فان الحرب خدعه » فيقوم بدور عظيم لصالح المسلمين ، فينصح قريشا بان اليهود سيطلبون منهم رهائن يقـدمونها الى محمد ليعفو عنهم ، وينصـح اليهود بأن يطلبوا من قريش رهائن قبل دخولهم المعركة المشتركه ضد المسلمين .. حتى يضـمنوا بقاء قريش معهم ، ويحدث ارتباط مصيرى وطلب من كل طرف ان يكتم هذا الامر ، وقد جازت الخدعه فحينما طلب ابو سفيان من يهود بنى قريظة دخول المعركة طلبوا رهائن ، فاعتقدت قريش وآمنت أن ما قاله لهم صـحيح ، فامتنعت ، وفشل التحالف . ثم كان نصر الله بإرسال الرياح العاصفة كل العصف .. الباردة أشد ما يكون البرد .. الممطرةمطرا غزيرا . أطفأت نيرانهم، وأكفأت قدورهم على أسـافيها ، واقتلعت خيامهم ، وافسدت طعامهم، واجفلت دوابهم ، فأدخلت الرعب في قلوبهم ، فارتحلوا فارين ليلاً وكفى الله المؤمنين القتال ، وأقبل الصباح ونظر المسلمون الي الجانب الآخر من الخندق فلم يجدوا من الآلاف أحدا فانصرفوا الي منازلهم .. رافعين أكف الضراعة الي الله شكرا أن كشـف الضر عنهم .

غزو بني قريظة :

لقد خان بنو قريظة العهد خيانة ما بعدها خيـانة ، وظهر عداؤهم للمسلمين بصورة بشـعة ، كانوا يريدون استئصال شأفة المسلمين . فلا بد من حسابهم حسابا عسيرا على ما ارتكبوا من جنايات ، ولا بد أيضا من الاسراع حتى لا يقوموا بعمـل اجرامي من تدمير لآبار المـاء ،

وما شاكل ذلك ، وهذا ما كان من الرسول عليه الصلاة والســـــلام ، فقد جاءه الوحى يأمره بالقضاء على بنى قريظة حتى يطهر دار الاسلام من قوم جبلوا على الخيانة والغدر فلا تنفع معهم العهود ، ولا تربطهم المواثيق ، فأمر عليه السلام مناديا فنادى فى الناس : من كان سامعا مطيعا فلا يصـــــلين العصر الا فى بنى قريظة .

ومع ما كان عليه المسلمون من نصب . بعد طول حصار الاحزاب فقد خفوا لهذا القتال فخـــرج ثلاثة آلاف ، وتوجهوا الى حصـــون بنى قريظة فى الجنـــوب الشرقى من المدينة ، وحين رأى بنو قريظة جيش المســـــلمين القى الله الرعب فى قلوبهم ، وارادوا التنصل مما فعلوا ، ولكن أنى لهم ذلـــك ؟ وقد ثبت للمســـلمين غدرهم ، فلا مناص من مقاتلتهم ، فأسرعوا باغلاق حصونهم عليهم ، فحاصرهم المسلمون ، وقد ظل هذا الحصار خمسة وعشـــرين يوما أو شهرا ولم يجرؤ بنو قريظة خلال مدة الحصار على الخروج من الحصون مرة واحدة ، وايقنوا أنه اذا استمر الحصار أكثر من ذلـــك سيموتون جوعا وان حصونهم غير ما نعتهم من الهلاك شيئا . بل لا بد من وقوعهم فى قبضة المســـلمين ، وحينئذ يعرضون على الرسول الجلاء واللحاق باخوانهم فيأبى الرسول الا التسليم دون قيد أو شرط . ولا بد من الرضا بما يحـــكم به عليهم ، فاختاروا (سعد بن معاذ) زعيـــم الأوس وحليفهم قبل الاسلام ، فحمل سعد — لأنه كان جريحا — ويأخذ العهد على الطرفين بقبول الحكم .

فماذا حكم سعد .. ؟ حكم بقتل المقاتلة ، وسبى الذرية والنساء ، وقسم الأموال . فقال الرسول عقب الحكم : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة .

ثم خرج الرسول الى سوق المدينة وأمر بحفر خنادق فيهـــا ، ثم جيء باليهود ارسالا فضربت اعنـــاقهم ، وفيهم حيى بن اخطب من بنى النضير لأنه كان معهم وقت الموقعـــة وفى عنقه دمهم ، وفى هذه الخنـــادق دفنوا ، وكان عدد القتـــلى ما بين اربعمائة الى ستمائة فى اصـــح الروايات . فان بعضها تقول كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة ، ويبدو لنـــا أن هذه الرواية تذكر عددهم جميعا لأن القتل لم يعمهم جميعا .

كما هو ظاهر قوله تعالى : « وانزل فريقا تقتلون وتأسرون فريقا » كما الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب ان عددا قليلا منهم أسلم .

وقد وزع الرســـــول أرض بنى قريظة على المسلمين .

الجريمة والجزاء :

لم يكن بنو قريظة يتوقعون هـــذا الحكم من سعد حليفهـــم ، بل كانوا يظنون انه سيصنع معهم مثل ما صنع ابن أبى مع بنى قينقاع أو مثل الحكم على بنى النضير ، ولكن شتان بين

الرجلين وبين الموقفين ، فسعد قد ذهب الى بنى قريظة ليثنيهم عن موقفهم فى غزوة الاحزاب ــ كما سبق لنا ذلك ــ فقالوا : من الرسول ؟ امامه ، ويضاف الى ذلك أن جريمتهم تختلف عن جريمة كل من بنى قينقاع، وبنى النضير ، وان كانت كلها جرائم غدر وخيانة . غير أن جريمة بنى قريظة كانت أشد خطرا واعظم فتكا من الجريمتين السابقتين . لأن المسلمين كانوا فى كل منهما فى حالة تمكنهم من الدفاع عن انفسهم . اما موقفهم وقت جريمة بنى قريظة ، فقد كان محفوفا بالخطر من جراء الحصار المحكم الذى ضربه الاحزاب حول المدينة ، فلم يكن فى امكانهم الدفاع عن انفسهم .

ولعل سعدا ذكر وقت نطقه بالحكم . ماذا كان يحدث . لو أن الاحزاب انتصروا بخيانة بنى قريظة ؟ نقدر أنهم كانوا سيستأصلون المسلمين ويمثلون بهم فان سعدا حليفهم ويعرف طبيعتهم ، وما جبلوا عليه من غدر وخيانة وتآمر وخلق ردىء ، فيؤمن بانه لو أبقى على حياتهم لا يهدأ لهم بال حتى يؤلبوا الاحزاب من جديد ضد المسلمين ، ولو ظفروا بهم لقطعوهم اربا اربا . فالحكم الذى أصدره سعد على قسوته انما أصدره متأثرا بالدفاع عن النفس معتبرا بقاء اليهود أو زوالهم مسألة حياة أو موت بالنسبة للمسلمين فهو حكم تقره قوانين الحرب ، وقوانين السلم ولا عجب فهو حكم السماء الهمه الله لسعد .

ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا منفذا ، فأمر بقتل المقاتلة ، وسبى الذرية والنساء ، وقسم الاموال ، وأورث الله المسلمين أرضهم وديارهم فنالوا جزاءهم وشربوا الكأس المرة . كما تجرعها فى الوقت نفسه اخوانهم بالشام من يد (هرقل) بعد غلبته (كسرى) من جراء ما فعلوه بنصارى الشام حينما كان الظفر لفارس .

وأيا ما كان الامر فقد طهرت قاعدة الاسلام (المدينة) من الخطر اليهودى الذى كان مسيطرا على جزء من منطقة قلب المدينة ، وعلى نقطة حاكمة فى الجنوب الشرقى . وأراح الله المسلمين من شر مجاورة اليهود الذين تعودوا الغدر والخيانة ، ولم يبق الا بقية من كبارهم بخيبر من أهلها ، وعما قريب يشربون الكأس حتى الثمالة .

ووطد القضاء على طوائف اليهود الثلاث للمسلمين فى المدينة فقد كسرت شوكة المنافقين حلفاء اليهود وخفت حدتهم ، وقل خطرهم ، ولم يعد فى المدينة قوة غير قوة المسلمين، وذهبت العرب تتحدث بقوة المسلمين وسلطانهم وقوة محمد ورهبة جانبه، فمهد هذا لنشر الدعوة الاسلامية على أوسع نطاق ومهد للقضاء على اليهود الذين يقيمون قرب المدينة .

حتى تطهر بلاد العرب من رجسهم ، وتستقر الدولة الاسلامية ، فكان غزو خيبر ، وفدك ، وتيماء ووادى القرى ..

فالى خيبر ..



الزهـــراوان

روى ابو امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال :
اقرءوا الزهراوين البقرة وآل عمران ، فانهما يأتيان يوم القيـــامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف . اقرءوا البقـــرة فان اخذها بركة ، وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة .

رواه مسلم

عـــد الى ظـــلك

بينما عثمان بن عفان ــ رضي الله عنه ــ في ارض له ، في العالية ، في يوم صائف اذ رأى رجلا يسوق جملين ، وعلى الأرض مثل الفراش من الحر !! . فقال عثمان : ما على هذا لو اقام بالمدينـــة حتى يبرد ثم يخرج حينئذ ؟ . ثم دنا الرجل ، فقال عثمان لمولى له : انظر من هذا ؟ . فقال : أرى رجلا معمما بردائه يسوق بكرين ، ثم دنا الرجل ، فقال : انظر من هذا ؟ . فنظر . . فاذا هو عمر ابن الخطاب . . فقال : هذا امير المؤمنين ! فقام عثمان فاخرج رأسه من الباب ، فاذا لفح السموم !! . فاعاد رأسه ، حتى اذا حاذاه قال : ما اخرجك في هذه الساعة ؟ فقال : بكران من ابل الصدقة تخلفا ، وقد مضى بابل الصدقة ، فأردت ان الحقهما بالحمى ــ المرعى ــ وخشيت أن يضيعا فيسألني الله عنهما . . !! فقال عثمان : هلم الى الظل والماء ونكفيك ! . قال : عد الى ظلك قال عندنا من يكفيك ! . قال : عد الى ظلك !! . ومضى . .
فقال عثمان : (من احب ان ينظر الى القوي الأمين فلينظر الى هذا !!) .

جهـــاد العلمـــاء

استدعى المندوب السامي الفرنسي الشيخ عبد الحميد الجزائري وقال له : اما ان تقلع من تلقين تلاميذك هذه الافكار وألا ارسلت جنودا لاغلاق المسجد الذي تنفث فيه هذه السموم ضدنا واخماد اصواتكم المنكرة .
فاجاب الشيخ عبد الحميد : أيها المسيو الحاكم انك لا تستطيع ذلك . .
فاستشاط غضبا وقال : كيف لا أستطيع ؟ .
فقال له : اذا كنت في عرس علمت المحتفلين ، واذا كنت في مأتم وعظت المعزين ، وان جلست في قطار علمت المسافرين وان دخلت السجن أرشدت المسجونين ، وان قتلتموني التهبت مشاعر المواطنين ، وخير لكم أيها المسيو أن لا تتعرضوا للأمة في دينها ولغتها .



(وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصـــبر جميـــل والله المســـتعان على ما تصفون)

سورة يوسف

التسبيح او الاســتغفار

قال رجل للامام ابن الجوزي :
أســـبح او أســـتغفر ؟.
فقال : الثوب الوسخ احــوج الى الصـــابون منه الى البخـــور .

مع الامام الشـــافعي

لما قدم الشافعي مصر قال له عبد الله بن الحكم :
اذا اردت ان تسكن هذا البلد فليكن لك قوت سنة ، ومجلس من السلطان تتعـــزز به .
فقال له الشافعي :
يا ابا محمد من لم تعزه التقـــوى فلا عز له .. ولقـــد ولدت بغزة وربيت بالحجاز ، وما عندنا قوت ليلة ، وما بتنا جياعا قط .

ابو العتاهية وخادمه

عرف ابو العتاهية بالبخل والتقتير ، وتندر به الرواة :
يقول ابو الفرج عن الخريمي : (كان لابي العتاهية خادم اسود طويل كانه محراك اتون ، وكان يجرى عليه في كل يوم رغيفين ، فجاءني الخادم يوما ، فقال : والله ما اشبع ، فقلت وكيف ذاك ؟ قال : لاني لا افتر عن الكد وهو يجرى على رغيفين بغير ادام فان رأيت ان تكلمه حتى يزيدني رغيفا متوجر ، فوعدته بذلك فلما جلست معه مر الخادم بنا ، فقلت : يا ابا اسحاق ، كم تجرى على هذا الخادم في كل يوم قال : رغيفين . فقلت : لا يكفيانه . قال : من لم يكفه القليل لم يكفه الكثير ، وكل من اعطى نفسه شهواتها هلك .
ثم مات الخادم فكفنه في ثوب خلق ، فقلت : خــادم قديم الحرمة طويل الخدمة تكفنه في ازار خلق ، وانما يكفيك له كفن بدينار ، فقال : انه يصير الى البلى والحي اولى بالجديد من الميت ، فقلت له : يرحمك الله فقد عودته الاقتصاد حيا وميتا) .

المفاوضات بين العرب ابان فتوح الشام في ضوء ماورد

للأستاذ احسان صدقي العمد

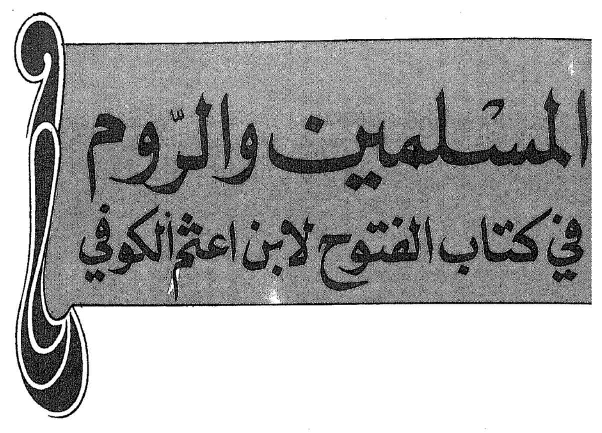
عرف العرب فى تاريخهم قبل الاسلام نماذج مختلفة من العلائق والاتصالات سواء فيما بينهم داخل الجزيرة العربية ، أو بينهم وبين الدول والشعوب المجاورة لجزيرتهم ، وكان يحكم هذه العلاقات بصفة عامة عوامل اقتصادية سياسية كما هو الحال بالنسبة لنظام الايلاف الذى وطدته قريش وامنت بموجبه الطرق التجارية داخل الجزيرة وحرية التبادل التجارى والاقتصادى مع الاقطار المجاورة ، وما كان من تحالف سياسى معروف بين مناذرة الحيرة والفرس من جهة والغساسنة والروم من جهة أخرى .

لكن جوهر تلك العلاقات وهدفها كان فى المقام الاول تحقيق المنافع المادية والمصالح المشتركة بين الاطراف المعنية دون النظر الى اى اعتبار آخر ، وهو أمر طبيعى فى غياب حمل أى من تلك الاطراف لعقيدة سامية أو مذهب صالح يسعون لنشره والانتصار له .

الاسلام والجهاد فى سبيله :

واستمر الحال على هذا المنوال حتى ظهر الاسلام فى جزيرة العرب ، وقضت حكمة الله عز وجل ان تكون الامة العربية طليعة المؤمنين بالدين الجديد والمكلفة بتبليغ رسالته الى أمم الارض وشعوبها . فكان ابناؤها خير امة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . وقد اختط الله لهذه الأمة طريق الجهاد فى سبيل الله وأمرهم بازالة الحواجز والقوى المعادية التى تقف فى وجه انتشار دعوة الاسلام ووصولها بحرية وسلام الى عقول الناس وأفئدتهم كما نص على ذلك العديد من الآيات البينات وبخاصة فى سورة التوبة .

وحياة الرسول صلى الله عليه



وسلم كلها كانت جهادا فى سبيل الله، وكان آخر عمل قام به من اجل هذه الغاية ، هو تجهيز جيش عـربى اسلامى لفتح بلاد الروم التى تم فتحها فى عهد خليفتيه أبى بكر وعمر . ذلك ان الاسلام حدد موقفه بشكل واضح وصريح من جميع اقطـار الارض وشعوبها . فهو يرى أن الارض ملك لله الذى استخلف عليها الناس ، وان احق من يمتلك هذه الارض عبـاده الصالحون . ووفقا لهذه النظريـة ينقسم العالم كله فى نظر الاسـلام الى منطقتين أو دارين كمـا يذهب الفقهاء دار اسلام ودار كفر أو دار سلام ودار حرب . لان المنطقة التى يظلها الاسلام هى دار السلام ، والتى يسيطر عليها الكفر انما هى دار حرب ينبغى على المسلمين مجاهدة أهلها حتى يدخلوا فى ظلال الاسلام . ولم يكتف الاسلام بذلك بل حدد طريقـة الجهاد ونشر الرسالة الاسلاميـة وذلك بالدعوة الى سبيل اللـه أولا بالحكمة والموعظة الحسنة وهو ما يعرف بالدعوة السلمية ، فاذا لم يستجب أهل الكفر لهذه الدعوة كان عليهم أن يختاروا بين اثنين لا ثالث لهما فأما الحرب والقتال ، واما القبول بحكم الاسلام حتى يتسنى للكافرين ان يتصلوا بالمسلمين اتصالا مباشرا فى حرية ويتعرفوا منهم علـى دينهم واخلاقهم ومعاملاتهم . فاذا تم لهم ذلك انشرح صدرهم للاسلام ودخلوا فى دين الله أفواجـا دون جبـر أو اكراه ، لان الاسلام دين الفطـرة يقبله ويقبل عليه كل صاحب عقـل منزه عن التعصب والهوى .

وعلى هذا الهدى وهذه المبادىء وليس غيرها خرجت طلائع جيوش العرب المسلمين للجهـاد والفتح . وقراءة متأنية فى المصادر والاصول

تكشف عن يقين اى امة كنا واى ايمان كان يحرك المسلمين ويجعل منهم عمالقة تتضاءل عند اقدامهم قامات الرجال .

كتاب الفتوح لابن اعثم الكوفى :

وتلك وقفة قصيرة لا بد منها لفهم المفاوضات التى جرت بين العرب المسلمين والروم ابان فتوح الشام ، كما اوردها الأخبارى المؤرخ احمد بن محمد بن على المعروف بابن اعثم الكوفى المتوفى عام ٣١٤هـ/٩١٦م ، فى كتابه المسمى كتاب الفتوح ، والذى يطلق عليه صاحب الذريعة فى تصانيف الشيعة اسم كتاب فتوح الإسلام . ويتناول الكتاب فتوح المسلمين الاولى حتى نهاية الدولة الاموية ويذيله باهم الوقائع التى حدثت فى عهود الخلفاء العباسيين الاول حتى المعتصم بالله . وبالرغم من ان الكتاب كان معروفا بين كتب التاريخ الاسلامى حتى أنه ترجم الى الفارسية أواخر القرن السادس الهجرى ، الا أنه لم يعثر الا مؤخرا على نسخ عربية مخطوطة عنه . وتقوم بنشره حاليا مشكورة دائرة المعارف الاسلامية بحيدر آباد الدكن بالهند ، وتوجد منه بجامعة الكويت نسخة مصورة عن نسخة استانبول . وقد بدأ هذا المخطوط يحظى باهتمام المشتغلين بالدراسات الاسلامية لما يتضمنه من معلومات قيمة وتفصيلات ضافية ، توضح بعض الروايات المختصرة لدى الطبرى بالاضافة الى انفراده ببعض الاخبار المتعلقة بحروب الردة وفتوح العراق والشام وخراسان وارمينيا واذربيجان والحروب بين العرب والخزر والعلاقات بين العرب والبيزنطيين .

بدء المفاوضات بين المسلمين والروم :

ويهمنا فى هذا المقال روايات انفرد صاحب الكتاب بذكرها حول مفاوضات جرت بين المسلمين والروم ابان فتوح الشام . ذلك ان ابا عبيدة عامر بن الجراح قائد جيوش المسلمين التى توجهت الى بلاد الشام ، اراد قبل أن يباشر الروم وحلفاؤهم من العرب الغساسنة القتال . ان يدعوهم الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ويقيم الحجة عليهم فأرسل اليهم بعثة سلام وهداية برئاسة هشام بن العاص شقيق عمرو ابن العاص ضمت جماعة من المسلمين من أهل الدين والحسب . ويصور لنا ابن اعثم لقاء البعثة أول الأمر بجبلة بن الايهم زعيم الغساسنة الذى كان يعسكر فى أربعين الفا من العرب المتنصرة فى غوطة دمشق ، فيقول ان افراد البعثة المسلمين « دخلوا عليه فى مجلس له مزخرف وعلى يمينه كراسى الذهب والفضة ... وعلى جبلة يومئذ ثياب سود وتاجه على رأسه فلما نظر المسلمين أومأ اليهم ان اجلسوا ، فجلس المسلمون بعيدا منه واذا رسول جبلة قد أقبل اليهم فقال لهم : يقول لكم جبلة ما حاجتكم ؟ فقال هشام للرسول : ارجع اليه فقل له : ان اردت كلامنا فانزل عن فرشك وكلمنا ، فانطلق اليه الرسول فخبره بذلك ، فنزل جبلة عن فرشه تلك المرتفعة التى كان عليها الى فرش دونها ، ثم جلس عليها واومأ الى المسلمين تقدموا ، فتقدموا وجلسوا قريبا من فرشه ، ثم كلمه هشام بن العاص ودعاه الى الاسلام ورغبه فيه وقرأ عليه كتاب الله عز وجل وخبره بأمر الجنة والنار ، فابى جبلة ذلك ونفر من الاسلام نفرا شديدا . فقال له

هشام : اذ قد ابيت ما دعوناك اليه فانى مسائلك ما هذه الثياب السود التى اراها عليك ؟ فقال جبلة : انى لبستها نذرا على ان لا انزعها حتى اخرجكم من الشام . فتبسم هشام ثم قال : يا جبلة انك والله لن تقدر ان تمنع مجلسك هذا منا والله لناخذنه ولناخذن ملك الملك الأعظم (قيصر الروم) وبذلك خبرنا نبينا الصادق عليه السلام . . . فلا تشك فى ذلك يا جبلة فأسود وجه جبلة . . . ثم قال : الى بعثتم ام الى الملك الاعظم ؟ فقال هشام بعثنا اليك واليه . قال : فسيروا اذا اليه فأن اجابكم الى ما تريدون اجبتكم ولم اتأب عليكم .

وهكذا ادت البعثة الاسلامية دورها المشرف وختمت مهمتها بتوجيه انذار شديد اللهجة الى جبلة الذى اضطر الى تعليق قبوله مطالب المسلمين على موقف قيصر الروم .

قيصر يرفض دعوة البعثة :

غادرت بعثة المسلمين برئاسة هشام بن العاص مقر جبلة فى غوطة دمشق وتوجهت الى انطاكية لتبليغ قيصر الروم رسالتها . ويحدثنا ابن أعثم كيف كبر المسلمون لدى وصولهم باب قيصر حيث منعهم من مواصلة التكبير وادخلهم قصره باعتبارهم رسلا . وكيف كان الروم يحسبون الحساب كله للتكبير الذى كان يطلقه المسلمون لدى فتحهم المدن والحصون .

غير ان هرقل قيصر الروم الذى اكرم وفادة البعثة رفض دعوة الاسلام خوفا من أن يؤدى ذلك الى انتزاع ملكه وسلطانه . وقد رفض هشام واصحابه قبول أى هدية من هرقل ، وعادوا الى ابى عبيدة بن الجراح ، فاخبروه بما كان من أمر جبلة وهرقل . فاستشهد ابو عبيدة بالآية الكريمة « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم » .

وهنا لم يبق امام المسلمين من خيار سوى قتال المشركين فاجتاح المسلمون البلقاء فى شرق الاردن ، وواصلوا تقدمهم شمالا حتى افتتحوا دمشق واوقعوا فى جموع الروم وحلفائهم فى اجنادين بفلسطين . الا أن الروم لموا شعثهم من جديد وجاءتهم أمداد كثيرة من الشمال حتى اجتمع لديهم حوالى مائة الف ، لقيهم المسلمون فى موقعة فحل شمال وادى الاردن ، وانتصروا عليهم بالرغم من أن عدد المسلمين لم يكن يزيد على عشرين الفا .

مفاوضات بين الروم والمسلمين قبيل موقعة فحل :

ويورد ابن أعثم أخبار مفاوضات طويلة جرت بين الروم والمسلمين قبيل موقعة فحل ، نوردها بشىء من التفصيل باعتبارها نموذجا ممتازا لمفاوضات العرب المسلمين مع اعدائهم فى ذلك الوقت . فقد بعثت الروم برسالة شديدة اللهجة الى ابى عبيدة جاء فيها : « ايها الشيخ أخرج انت ومن معك من أهل دينك من بلادنا هذه التى تنبت الحنطة والشعير والفواكه والاعناب والخير الكثير ، وارجعوا الى بلادكم بلاد القحط والجوع والبؤس والفقر ، والا اتيناكم فيما لا قبل لكم به من الخيل والجنود ثم لا تنصرف عنكم وفيكم عين تطرف وقد أعذر من أنذر . »

رد ابى عبيدة :

ولم يكن ابو عبيدة ولا أى فرد من المسلمين ليقبل هذه الرسالة أو الانذار

فحمل رسول الروم رسالة جوابية قال فيها : ان الله تبارك وتعالى هو الذى جاء بنا اليها — اى بلاد الشام ، ولم نكن بالذى نخرج عنها فقد ورثنا الله اياها فاخذناها باسيافنا وفتحناهـــا عنوة وغنما ونزعها الله من ايديكم وجعلها فى ايدينا ، وانما البلاد بلاد الله والعباد عباد الله ، وهو ملك الملوك يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شىء قدير .. ولما راى الله تبارك وتعالى قلة صبركم وكثرة صبرنا وقلة شكركم وكثرة شكرنا ، رآنا لهذه البلاد أهلا وابدلنا بلاد البؤس والشقاء ببـــلاد الخير الكثير والعيش الرفيع والجناب الخصيب ، وكنا احق بها واهلهـــا لايماننا بالله وكفركم به ، فلا تحسبونا تاركيها ومنصرفين عنها ولا خارجين منها الى غيرها ، فذروا عنكم تمنى الاباطيل والامانى الكاذبة . واما قولكم بأنكم تأتوننا فيما لا قبل لنا به فوالله لا تأتوننا بجند الا اتيناكم بمثلــه أو أضـــعافه ان شـــاء الله ولا قوة الا بالله ، فكونوا من ذلك على يقين .

تراجع الروم عن التهديد والوعيد :

فلما اطلع الروم على هذا الجواب الشديد داخل قلوبهم الرعب والخوف وارسلوا الى أبى عبيدة يقولـــون : « ابعث الينا رجلا من صلحاء اصحابك حتى نسأله عما تريدون وتطلبـــون وتسألون ، ونخبره بما عندنا وندعوكم الى حظكم ورشدكم . »

سفارة معاذ بن جبل :

لم يمانع ابو عبيدة فى ذلك حتـــى يقيم الحجة على الكافرين قبل قتالهم ، فأرسل اليهم معاذ بن جبل الصحابى المعروف ، فاقبل اليهم معاذ علـــى فرس له ادهم كما يصفه ابن أعثم وعلى راسه عمامة حمراء عليه درع له سابغقد ظاهره بحريرة صفراء وقد تقلد بسيف له يمـــان ، حتى اذا دنا من القوم نزل عن فرسه وأخذ بعنانه وجعل يقوده وهو يمشى اليهم . فقال بعضهم لبعض غلمانه : اذهب فامسك عليه فرسه . فقال معاذ للغـلام اليك عنى فانى أمسك فرسى ولا أحب أن يمسكه غيرى واستطاع معاذ بن جبل بنفاذ بضيرته وقوة موقفـــه وسلوكه ان يلتزع أعجاب أعدائه به من قبل أن تبدأ المفاوضات بينـــه وبينهم .

ونوجز ما فصله ابن أعثم من أمر هذه المفاوضات فى أن الروم سألوا معاذ عما يريد المسلمون وعن دعوتهم وحذروه من الاستهانة بقوة الروم . وقد أجابهم معاذ بأن الله تعالى قد أمر المسلمين بجهاد الكفار فى كل مكان حيث قال فى كتابه الكريم « يا أيها الذين آمنـــوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة » وأكد لهم أن المسلمين لا يعتمدون فى النصر على كثرة عددهم وانما يعتمدون فى ذلك على ربهم عز وجل . وقدم معاذ شرحا موجزا لرسالة الاسلام وبعض احكامه الهامة وتعاليمه ، ومن بينها رأى الاســـلام فى عيسى بن مريم عليه السلام . وأكد لهم أن دخولهم فى الدين الجديد هو الذى يضع حداً للقتال ويجعلهم اخوة فى الاســـلام للعرب المسلمين فيتحد الجانبان لقتال الأعداء . وعرض عليهم ان أبوا ذلك دفع الجزية والاقرار بالـــولاء والا فالقتال والمناجزة .

الروم يبداون فى تقديم التنازلات للمسلمين :

وهنا حاول الروم ان يزحزحـــوا معاذا عن موقفـــه بتقديم بعـض

التنازلات فقالوا له : « أنا نرى الأمر متباعدا بيننا وبينكم متفاوتا جــدا . وقــد بقيت خصلــة واحــدة نحن نعرضها عليكم ، نعطيكم أرض البلقاء وما والاها مما غلبتم عليه وتتنحون عن بقية أرضنا ومدائننا وتكتبون لنا عليكم بذلك كتابا نسمى فيه خياركم وصلحاءكم ونأخــذ فيــه عهــودكم ومواثيقكم ، انكم لا تطلبون من أرضنا شيئا الا ما صالحنــاكم عليــه ، ونعطيكم منا من الوفاء مثل ذلــك وتنصرفون عنا ، وعليكم بأرض فارس فقاتلوا أهلها ونحن نعينكم على ذلك . فأجابهم معاذ : أما ما ذكرتم أنــكم تعطونا أرض البلقاء ، فأن البلقاء وغير البلقــاء من أرضــكم بأيدينا ونحــن عازمون على ان نجليكم من جميــع أرض الشام ، وتكون بأجمعها لنا ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله » .

غضب الروم من كلام معاذ وطلبوا منه الرجوع الى المسلمين ، بعد ان توعدوه وقومه بأن يشتتوا شملهم فى الجبال لانه لم يقبل بشروطهم . فــرد عليهم معاذ : أما فى الجبال فلا يكون ذلك أبدا . ولكن والله لنقتلن عــن آخرنا أو نخرجكم منها اذلة وانتــم صاغرون . وفى ذلك دلالة وأى دلالة على مدى إصرار المسلمين على النصر أو الشهادة ورفضهم المطلق للتراجع أو الانسحاب .

الروم توفد مبعوثا آخر لابى عبيدة :

ويبدو أن الروم لم يكونوا ليتوقعوا هذا الموقف الصارم من المسلمين كما مثله معاذ ، وخشوا ان يكون معاذ قد سلك هذا الموقف من تلقاء نفسه ، دون موافقة أبى عبيدة ، فطلبوا من الاخير أن يرسل لهم رجلا آخر من المسلمين لتوضيح الامر ومواصلــة التفاوض أو يرسلوا اليه رسولا من عندهم فوافق أبو عبيدة على استقبال مبعوثهم الجديد . ويحدثنا بن اعثم عن الحيرة التى انتابت المبعــوث الرومى لما شاهده من بساطــة المسلمين وعدم استطاعته التفريق بين أميرهم وعامة جنده . وقد عــرض مبعوث الروم على أبى عبيــدة أن يأخذ كل راجل من جنــد المسلمين دينارين والفارس خمســة دنانير وثوبين ، فى حين يأخذ أبو عبيدة الف دينار ، وخالد بن الوليد خمسمائة ، ويرسلوا الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الفى دينار ، مقابل جــلاء المسلمين عن بلاد الشام واحتفاظهم ان شاءوا بأرض البلقاء وما والاها من بلاد الاردن .

فرد عليه أبو عبيدة ردا واضحــا فصلا قال فيه : انى أخبرك ما عندى يا رومى . ان الله تبارك وتعالى بعث الينا رسولا وانزل عليه كتابا جعلــه رحمة للعالمين وحجة على الكافرين ، وقد أمرنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال : اذا لقيتم الذين كفروا فادعوهم الى الايمان بالله ورسوله والإقرار بما جاء من عند الله ، فمن أجابكم منهم الى دينكم فهو أخوكم فى دينكم وشريككم فى حظكم له ما لكم وعليه ما عليكم . ومن أبى منهــم الايمان فاعرضوا عليه اذا الجزيــة حتى يؤديها عن يد وهم صاغرون فأن كرهوا ان يؤمنوا وابوا أن يــؤدوا الجزية فقاتلوهم . فأن قتيلــكم المحتسب بنفسه شهيد فى جنــات النعيم ، وقتيل عدوكم فى النــار والعذاب الاليم ، فأن صدقتم يا رومى بما سمعتم وقبلتم ما أعلمتم فحظكم أصبتم والخير أريد بكم وان كرهتم ذلك وادبرتم عنه وكذبتم ، فابرزوا الينا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين » . .

وهو ما حدث فعلا فى موقعة فحل

عام ١٣ هـ التى انتصر المسلمون فيها على جموع الروم بعد ان اقاموا عليهم الحجه ودعوهم الى دعوة الاسلام والسلام .

مفاوضات اخرى بين المسلمين والروم قبيل معركة اليرموك :

ويذكر ابن أعثم الكوفى اخبارا عن مفاوضات اخرى جرت بين المسلمين والروم قبيل معركة اليرموك فقد بعث ما هان قائد قوات الروم مبعوثا الى ابى عبيدة يطلب منه ارسال رجل من المسلمين له حب للتفاوض معه قبل الحرب . فاختار ابو عبيدة خالد بن الوليد للقيام بهذه المهمة التى رافقه فيها ميسرة بن مسروق العبسى مستشارا له .

خيمة المفاوضات :

ويصف لنا ابن اعثم الخيمة التى نصبها خالد لتكون مقرا لوفد المسلمين المفاوض بقوله « فلما اصبح ابن الوليد وعزم على المسير الى ماهان أمر بقبة حمراء فضربت له قريبا من معسكرهم ، ثم ركب خالد وركب معه ميسرة وسارا جميعا حتى نزلا على باب القبة ، ثم دخل خالد الى قبته فجلس وجلس معه ميسرة بن مسروق ووقف غلام ميسرة على باب القبة يمسك فرسيهما . » ويمضى ابن أعثم فى القول أن المفاوضات جرت فى مقر ماهان الذى اعجب بخالد ورجاحة عقله ، وبخاصة عندما أصر خالد على اصطحاب مستشاره ميسرة بن مسروق ، واكد لماهان أن فى عسكر المسلمين اكثر من الف رجل لا يستغنى عن رايه ومشورته . وهنا يقف المرء اعجابا بالعبقرية العربية فى ذلك العصر ، ويفهم السر الكامن وراء الانتصارات الباهرة والمكانة المرموقة التى احرزها العرب المسلمون خلال فتره وجيزة من الزمن .

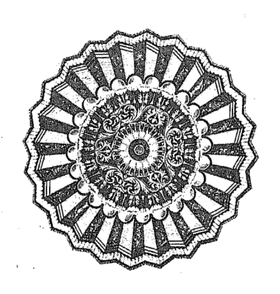
وقد حاول ماهان أن يتقرب الى خالد ويتودد له ، وابدى أعجابه بفسطاطه فوهبه خالد اياه ، ولكن ذلك لم يثن خالدا عن هدفه الاصلى وموقفه الثابت من المفاوضات وقد عرض ماهان على خالد ان يتنازل الروم للمسلمين عن جميع الاموال والاسرى الذين وقعوا فى قبضتهم خلال الحروب الاولى مع الروم ، وعرض دفع عشرة آلاف دينار لعمر ابن الخطاب وخمسة آلاف لابى عبيدة ومثلها لخالد ، ولمائة من رؤساء المسلمين لكل منهم الف دينار ولكل من راجليهم خمسون دينارا . وذلك فى مقابل انسحاب المسلمين من بلاد الشام وعدم العودة اليها .

ولم يكن من الممكن قبول هذا العرض المادى الذى يصور المسلمين وكأنهم انما خرجوا طلبا لعرض الدنيا ومنافعها المادية لا لنشر الاسلام والدعوة الى رسالته الجديدة . وكان رد خالد واضحا كل الوضوح وهو أن المسلمين عندما خرجوا لفتح بلاد الشام كانوا يعرفون قوة الروم وحلفائهم وانهم انما خرجوا يحملون الاسلام لتبليغ رسالته للمشركين ، وبسط له تعاليم الدين الجديد ومبادئه وقال له : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرنا أن نقاتل من زعم ثانى اثنين أو ثالث ثلاثة حتى يقولوا لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، فان قلتم ذلك فقد حرمت علينا دماؤكم واموالكم الا بحقها ، وانتم أخواننا فى ديننا وشركاؤنا فى حظنا ، وان أنتم ابيتم ذلك فأدوا الجزية عن يد وانتم صاغرون ، فأن ابيتم ذلك قاتلناكم على

بصيرة ويقين انه من قتل منا كان حيا عند الله شهيدا مرزوقا ، ومن قتل منكم كان كافرا وصار الى النار مخلدا فيها ابدا . فاختر الآن يا ماهان ما احببت ، واعلم انه قد جاءك قوم هم احرص على الموت منكم على الحياة ، فاخرجوا بنا على بركة الله حتى نحاكمكم إلى الله ، فأن الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » .

وصدق الله العظيم وعده وكتب النصر للمجاهدين الصابرين على الروم المشركين الذين رفضوا قبول دعوة الهدى والايمان .

ونتبين من هذه المفاوضات التى يفيض ابن أعثم الكوفي فى ذكر تفاصيلها ، أن العرب المسلمين خرجوا من جزيرتهم مجاهدين فى سبيل الله ونشر دعوته الاسلامية متمسكين بتعاليم دينهم وقدموا المهج والارواح رخيصة من أجل انتصار الاسلام . وقد حرصوا على دعوة المشركين الى اعتناق الدين الجديد قبل قتالهم ، ومن اجل ذلك أرسلوا الوفود واستقبلوا رسل الكفار واتصلوا بهم لتوضيح موقفهم وتبليغ المشركين رسالتهم الاسلامية بالطرق السلمية . الا ان أعداءهم أصروا على رفض دعوة الحق ، ولم يفطنوا الى التغيير الشامل الذى احدثه الاسلام فى نفوس العرب وجعل منهم خير أمة اخرجت للناس لهدايتهم . وظلوا يحسبون العرب المسلمين قوما خرجوا من الجزيرة من أجل الغزو والمغانم ، ولذلك كانت عروضهم خلال المفاوضات كلها تتمشى مع هذه النظرة الضيقة . وهو امر كان لا بد ان يؤدى الى فشل جميع الاتصالات التى جرت مع الروم وبخاصة أن كل فرد من المسلمين كان يؤمن بحقه ويعرف هدفه ولا يفرط قيد انملة فيه ، مما اكسب العرب المسلمين قوة على قوة ومكنهم من الانتصار على اعدائهم ونشر الاسلام فى ربوع بلاد الشام وغيرها من أقطار المعمورة التى تعرف اليوم بالعالم الاسلامى .



مع الأمين العام للمنظمة الإسلامية العالمية

المؤتمر الإسلامي

تحقيق الأستاذ عبد الحليم عويس

منظمة المؤتمر الاسلامى

أسئلة كثيرة تتدافع الى ذهنك وانت فى طريقك لمقابلة الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى الاستاذ « حسن التهامى » .

إن منظمة « المؤتمر الاسلامى » هى المنظمة الرسمية المسئولة عن المسلمين فى شتى أرجاء الأرض ، وهى الجهة المخولة من قبل الحكومات الاسلامية بالنظر فى الامور التى تتعلق بالمسلمين فى حاضرهم ومستقبلهم .

وعقب قمة الملوك والرؤساء العرب فى الرباط (١٩٦٩ م) نشأت « منظمة المؤتمر الاسلامى » كتعبير عن ملامح مرحلة جديدة فى تاريخ المسلمين المعاصر .

وقبل ظهور المنظمة كان هناك « المؤتمر الاسلامى » الذى كان مقره القاهرة ، لكنه الغي بالاتفاق بين الدول المؤسسة له . ثم حاولت « رابطة العالم الاسلامى » ، وهى منظمة شعبية تتعاون مع الدول الاسلامية ، أن تلعب دور المؤتمر الاسلامى ، وقامت بجهود طيبة ، لكن المجال كان لا يزال بحاجة الى « منظمة رسمية » لها سمات العمل الرسمى وتنظيماته وامكاناته .

ومن هذا المنطلق ، ولدت منظمة المؤتمر الاسلامى ، التى يتولى أمانتها المستشار الاستاذ « حسن التهامى » الذى أعطانا — مشكورا — ساعة من وقته ، اثناء زيارة رسمية قصيرة (ليوم واحد) قام بها لدولة الكويت .

كن مع المتفائلين :

— هل نبدأ حوارنا مع الأمين العام للمؤتمر الاسلامى من نقطة « واقع

○ "القدس" المقر الدائم لمنظمة المؤتمر الاسلامي ..
○ بليون دولار : رأس مال البنك الاسلامي ..
○ جامعتان اسلاميتان في أوغندا والنيجر ..
○ قضية مسلمي الفلبين قضية ساخنة ..
○ تقنين الشريعة الاسلامية هو البداية لوجود الدولة الاسلامية

المسلمين » أم من نقطة « مستقبلهم »؟

— لقد حدد الأمين العام مسار الحوار (ومسار الاتجاه الحديث الذى يجب أن يتسم به العمل الاسلامى) حين قال لى :

« كن مع المتفائلين » ان كل الدعوات التى غيرت وجه التاريخ قد انطلقت من نقطة « تجاوز الواقع » ودعوتنا الاسلامية الانسانية العامة على رأس هذه الدعوات . ان الواقع المزلزل لم يمنع الرسول صلى الله عليه وسلم فى « ظروف الخندق » أن يثق فى أن الله سيحقق وعده ، وأن رسالة الاسلام ستمتد من فوق أسوار « المدينة » المحاصرة ، الى آفاق الأرض كلها .. حتى يفتح الله بلاد كسرى وقيصر !!

— ومنظمة المؤتمر الاسلامى تنطلق فى « استراتيجيتها العليا » من هذه النقطة ... نقطة « استيعاب الواقع » والامساك بخيوط الأمل والنور من خلاله ، والتخطيط بالتالى للمستقبل .

● كيف .. ؟

أجاب الأمين العام :

— ان مقر الأمانة العامة للمؤتمر الاسلامى موجود فى « جدة » بصفة مؤقتة ، لكن مقره الرسمى ومركزه الاساسى الدائم فى مدينة « القدس » — كما قرر مؤتمر الرباط — ووجودنا فى « جدة » وجود مرحلى مؤقت .

ونحن — فى المنظمة — نواجه العصر ببرنامج انسانى عالمى ملائم لعالمية الدعوة الاسلامية .. اننا لا نريد أن تحد انطلاقتنا « جزئية وقتية » ولا « وجهة نظر عابرة » .. هناك — بجانب « مشروع عالمية الدعوة الاسلامية » — برنامج « النشاط العالمى للشباب المسلم » فى البلاد الاسلامية وغيرها .

وهناك برامج ثقافية وفكرية ورياضية واجتماعية ،سترصد لها أجهزة الرعاية الملائمة ، على مستوى الامكانات المادية وغيرها من العناصر اللازمة للنجاح . وهذه البرامج كلها عالمية الطابع .

● **وعن المشروعات الأخرى التي طال انتظارنا لها .. البنك الاسلامي مثلا .. ؟**

ــ اطمئنك ، واطمئن الذين طال انتظارهم مثلك ، نحــن في عصر الدراسات الأكثر عمقا واناة .. وفي ١٥ مايو الماضي ، عقد اجتماع للنظر في اتمام الدراسات اللازمة التي قام بها المختصون . وبعــرض المشروع على مؤتمر وزراء خارجية الــدول الاسلامية المنعقد بماليزيا ، يعلن قيام البنك الاسلامي ، وتتحدد فيه حصص الدول الاسلامية للمشاركة في رأس المال ، ويتم ــ بالتالي ــ تشكيــل مجالس ادارته ، ومشروعاته فــي خدمة العالم الاسلامي .

ومن المقرر أن يبدأ « البنــك الاسلامي » خطوته الأولى برأس مال قدره بليون دولار (الف مليــون دولار) .

● **ووكالة الأنباء الاسلامية ؟**

ــ لقــد دخلت ضمن مشروع « التضامن الاســلامي » ، وبازدياد تجميع رأس المال اللازم ستقوم هذا العام (١٣٩٤ هـ) ، فان مشروعهــا المدروس مشروع متكامل ، وسيتم تمويله هذا العام ان شاء الله .

● **ونمد الطرف قليلا ، لنتعرف على خطــة « المؤتمر الاســلامي » في نشر الاسلام بافريقيا .. ؟**

أجاب أمين عام المؤتمر الاسلامي :

ــ يقوم تخطيط منظمة المؤتمــر الاسلامي لنشر الاسلام في أفريقيا على ثلاث دعائم ، تمثل حصاد دراسة علمية طويلة واعية .

أولا : رعاية الشعوب الاسلاميــة والجماعات الاسلامية بافريقيا ، وذلك لتثبيت انتمائهم للأمــة الاسلامية . وأهم وسائلنا لتحقيق هــذه الغاية معاونة هذه الشعوب وتلك الجماعات على الحياة ، فقد أصاب الجفــاف والقحط كثيرا من البلاد التي يقطنها هؤلاء . وان معاونتهم في هذه الناحية ستفيدهم في التغلب عــلى هــذه المصاعب ، وتثبيت قضيه وجودهم وانتمائهم الاسلامي ، فضلا عن سد الباب امام الذين يستغلون امثال هذه الظروف لحرب الاســـلام وغرس المبادىء المستوردة .

ونحن نامل ان يتم ذلك التعاون ، بجانب اطار التعاون العربي الافريقي ودعما له .

ثانيا : تعليم الدين الاســـلامي وتحفيظ القرآن الكريم ، وذلك عــن طريق مد هذه الدول بالمــدرسين والمبعوثين المسلمين . وهذا يتم ثنائيا بين الدول الأعضاء في منظمــة المؤتمر الاسلامي وافريقية .

والمنظمة بصدد دعم وتوسيع رقعة التعاون في هذا المجال وتمويله .

ثالثا : تدعيم المراكز الاسلامية في هذه البلاد ــ برسالتها المعروفة ــ وانشاء عدد من الجامعات الاسلامية بها . وهي آخر ما تقرر في مؤتمــر لاهور ، لكي تتخرج من هذه الجامعات اجيال من المثقفين ، يشاركون فــي اقامة نظام الدولة الاســلامية ، واطارات الحكومة الاسلامية الطابع، بمــا في ذلــك تأسيس كليات « للتكنولوجيا » والطب وغيرهما .

ونحن نرى أن الدول الافريقيــة تحتاج وتهتم فعلا بهذا المستوى الرفيع من الثقافة الاسلاميــة ، وتتمنى أن تحل محل الثقافات الأخرى الدخيلة عليها .

ــ والمؤتمر الاسلامي ، بصــدد تنفيذ قرار « مؤتمر لاهور » الخاص بدراسة امكانية اقامــة كليــات الجامعات الاسلامية على أحــدث النظم وأكثرها أصالة ، وضرورة دعم الفكر والعلوم والثقافة الاسلامية في شتى ميادين الحياة الاسلاميــة .

ومعروف أن مؤتمر لاهور قد قــرر ــ كبداية ــ بناء جامعتين : احداهما

فى أوغندا والأخرى فى النيجر .

وليس ثمة مانع من زيادة عـدد الجامعات فى البلاد الافريقية ـ بعد ذلك ـ فالاستعداد والقبول متوفران لدى كل دول المنظمة .

● **الأقليات الاسلامية ـ كما تعلم سيادتكم ـ تؤرق الضمير الاسلامى . ولكى أكون « عمليا » أركز ـ فى سؤالى حول قضية الأقليات ـ على قضيتين ، يتميزان بمستويين مختلفين: الفلبين وتايلاند .. ؟**

ـ أبدأ بالفلبين ..

المؤتمر مهتم بالفلبين ، لأنها قضية « ساخنة » كما يقولون . وقد نجحت المنظمة فى أن تصـل مـع الرئيس الفلبينى « ماركوس » الى نتيجـة ايجابية .. فقد وافق ماركـوس « كتابيا » لدول المؤتمر الاسـلامى على اقامة وكالة اغاثة للمسلمين فى الفلبين . ويتركز البحث الآن فـى وسيلة اقامتها وأسلوب عملها ورأس المال اللازم لها .

ـ أما قضية « تايلاند » فليست « ساخنة » على مستوى الفلبين . ومسلمو تايلاند يلقـون رعايـة واستعدادا طيبا للتفاهم من حكومتهم ولا تشابه بين مشكلتهم ومشكلـة الفلبين .

والذى نسعى اليه الآن هو تثبيت دعائم المسلمين فى جنوب تايـلاند ومشاركتهم فى الحكم .

وقد لقيت شخصيا من المسئولين الكبار فى حكومة تايلاند الاستعـداد الطيب لهذا التعاون ، وسأقوم بجولة لاحقة لإتمام ذلك ان شاء الله .

● **والتبشير ، بوسائله المعروفة ، أيضـا ، من مؤرقات الضـمير الاسـلامى . كيف يخـطط المؤتمـر الاسلامى لمواجهته ؟**

ـ نحن ـ فى المؤتمر الاسلامى ـ نواجه التبشير ببرنامج ايجابى محدد، انه برنامج « احياء الدعوة الاسلامية » على مستوى عالمى ، وفق تنظيم عالمى وتمويل اسلامى عالمى . وذلك هـو الطريق الوحيد القادر ـ بعون الله ـ على وقف التيار الزاحف عـلى أطراف الأمة الاسلامية ، ومواجهته ، وتثبيت عقائد الأمة الاسلامية ، بل وتنميتها .

ومن الواجب علينا الا ننزعج كثيرا مما حدث فى العامين الأخيرين من منجزات تبشيرية ، لأن الـدين الاسلامى قوى متين ، سوف لا يلبث أن يعيد الأمور الى نصابها ، بمجرد أن يبدأ هذا البرنامج . ومن واجبنا كذلك أن نخاطب وجدان المسلمين فى المناطق النائية التى تتعرض للزحف التبشيرى ، ونرعى مصالحهـم ، ونحميهم من ذلك الزحف الطـارئ المؤقت الانتهازى الطابع .

● **ومسلمو أوربا ـ سيادة الأمين العام ـ هل يلقون رعاية ثقافية من المنظمة .. ؟**

ـ هناك مشروع قائم بذاته خاص بأوربا ، يهدف الى رعايـة المراكـز الثقافية الاسلامية بها .

وقد تشكلت ـ فعلا ـ لجنـة دائمة لمتابعـة تحقيق هـذا الهدف . وسـوف يتبعهـا عمل مماثل فـى الأمريكتين هذا العام (١٣٩٤ هـ) . وكلمـا توفر المـال اللازم لهـذه النشاطات ، كلما زادت خطى السعى فى هذا الشأن .

ولست أخفى أن المؤتمر الاسلامى يرحب بمعاونة الدول الاسلامية فى دعم المنظمة العالمية بالمال والجهد . ونعتبر ذلك ركنا أساسيا من أركان الجهاد فى سبيل الله ، فى عصرنا الحالى .. عصر العلم والحضـارة والاقتصاد والفـكر والحـرب والسلام .

● **هـل تتكرمـون بتحديد موقف المنظمة من قضية « تغريب » المرأة المسلمة .. ؟**

ـ للمرأة فى الاسلام دورهـا وكرامتها وشرفها وأصالتها واحترامها، سواء كانت ربة بيت أو عـاملة فى

المجتمع . لكن الاسلام عندما يقيم دعائم المجتمع المتين ، يصر على احترام وضع المراة المسلمة ، فى الدرس والبيت والمجتمع .

ويفكر المسئولون فى المؤتمر الاسلامى ، كجزء من برامج النشاط الاسلامى — فى افريقيا مثلا — فى احياء المجتمع الاسلامى ، حتى يتحقق المستوى الرفيع لكيان هذا المجتمع بشتى أفراده وطبقاته .

وفى رأيى .. أنه مهما تحدثنا عن دور المرأة فى بناء المجتمع الاسلامى ، فانه يبقى علينا أن نقرر فى كل تشريعاتنا تنظيم مشاركة المراة فى العمل الايجابى ، بحيث تتحقق لها كرامتها الآدمية ، ويتحقق لها احترامها كامرأة ، وأيضا .. نحافظ على شعور المجتمع الاسلامى .

فاذا شاركت المرأة فى عمل رسمى فلا بد أن ترعى هى — أولا — شروط الشريعة الاسلامية فى معاملاتها وآدابها .. ويبقى على المشرع — بعد ذلك — أن ينظم تعاملها مع المجتمع ، وينسق ذلك فى اطار حياة الأمة الاسلامية .

وعلينا جميعا شبابا وشيوخا — كمسلمين — أن نقف حراسا على المرأة ، حتى تنسجم مع المجتمع الاسلامى ، وحتى نحافظ على كرامتها وشرفها وسترها ، مهما تشعبت بنا السبل فى عملية تخويلها ممارسة أعمال ما فى الدولة الاسلامية .

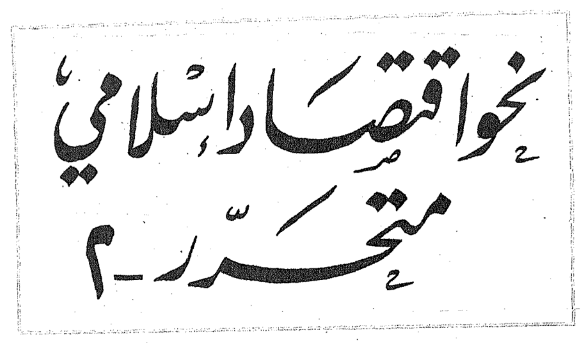
● وسؤالنا الأخير — مع الشكر — يتعلق بموقف المنظمة الاسلامية العالمية من « القوانين الوضعية » فى العالم الاسلامى .. ؟

— ثمة محاولة فى « المؤتمر الاسلامى » لتقنين الشريعة الاسلامية فى شتى المجالات ، بل حتى فى الاقتصاد والقانون والتعليم ، بل وفى نظم الحرب وآدابها .

وغنى عن القول : ان هذه الأمة الاسلامية ، والانسانية بعامة ، لن تجد خيرا من الشريعة الاسلامية أساسا رئيسيا لكل قوانينها . والمهم الآن : تقنينها ، بالشكل الذى يغنى الأمة الاسلامية — تلقائيا — عن الرجوع الى دساتير وقوانين أجنبية .

وانى لآمل من الله سبحانه وتعالى أن يمكن منظمة العالم الاسلامى من ايجاد هذه الموسوعة القانونية الشرعية فى مدى عام ، لتكون مرجعا لكل الدول الاسلامية فى التشريع . واحمد الله ، فان لدى العالم الاسلامى من المفكرين والباحثين ما يكفى لانجاز هذا العمل العظيم . ولا ينقصنا الا جمعهم على مستوى عالمى ، بعد توفير الامكانات اللازمة ، وبذل الجهد — بعد ذلك — لاخراج هذه الموسوعة ، وتعميمها بالطرق الممكنة .

وهذا العمل — من وجهة نظرى — هو بداية وجود الدولة الاسلامية الكبرى ، حيث تعم الشريعة والقانون والدستور الاسلامى كل هذه الرقعة العريضة من الارض التى تعيش عليها الأمة الاسلامية ، وحيث يتمكن قادتنا وزعماؤنا الذين تضمهم منظمة « المؤتمر الاسلامى » العالمية — من الاستناد الى ذلك التشريع ، لتطوير النظم التقليدية الوضعية الاجنبية ، على الأسس الاسلامية ، بالتدريج ، عاما بعد عام . فيحققون — بذلك — الوجود الحضارى الأمثل للأمة الاسلامية .



للدكتور : ابراهيم فؤاد احمد على

تعرضت فى المقال السابق الذى تفضلت المجلة بنشره فى عددها الممتاز رقم ١٠٩ الصادر فى غرة المحرم ١٣٩٤ هـ ـ يناير ١٩٧٤ م ، الى الدعوة الى الاخذ بالنظم الاقتصادية الاسلامية ، واشرت الى بعض المفاهيم الاسلامية التى تعتبر أساسا للمذهب الاسلامى والتى يدور فى اطارها النظم الاسلامية المختلفة بحسب الظروف الاقتصادية والاجتماعية لكل دولة اسلامية ، كما أوردت فى ختام ذلك المقال بيانا بموارد بيت المال الاسلامى .

وفى هذا العدد أتعرض لمورد (الزكاة) وهو من الموارد الرئيسية الشرعية لأية وزارة للخزانة أو المالية فى كل بلد اسلامى .

اولا ـ تعريف الزكاة

الزكاة فى اللغة هى الطهارة والنماء « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » والصدقة زكاة والزكاة صدقة ، يفترق الاسم ويتفق المسمى ، سميت بذلك لأنها تطهر المال وتنميه . يقال زكا الزرع اذا كثر ريعه ، وزكت النفقة اذا بورك فيها . والزكاة فى الشريعة هى « حق واجب فى مال خاص لطائفة مخصوصة فى وقت مخصوص » فهى عبادة من ناحية ، وواجب اجتماعى من ناحية اخرى ، وهى طهارة للضمير والذمة بأداء الحق المفروض ، وطهارة للنفس من فطرة الشح وغريزة حب الذات ، فالمال غال وحين تجود به النفس للآخرين انما تطهر وتسمو وتشرق ، وهى طهارة للمال بأداء حقه وصيرورته بعد ذلك حلالا خالصا لصاحبه .

ولأن فى الزكاة معنى العبادة لطلبها من المسلمين ، بلغ من لطف الاسلام الا يطلب من أهل الذمة من أهل الكتاب (النصارى واليهود مثلا) اداؤها واستبدل بها الجزية ليشتركوا فى النفقات العامة للدولة دون أن تفرض عليهم عبادة خاصة من عبادات الاسلام .

والزكاة ركن من أركان الاسلام الخمسة ، وفرض عين على كل من توافرت فيه شروطها . وقد فرضت فى السنة الثانية من الهجرة ، ودليل فرضيتها الكتاب والسنة والاجماع ، قال تعالى « واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » ، وقال الرسول عليه الصلاة والسلام : « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله واقام الصلاة وايتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان » وحين بعث الرسول معاذ بن جبل الى اليمن قال له « ادعهم الى شهادة ان لا اله الا الله وانى رسول الله ، فان هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، فان هم اطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة فى أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم » وهذا الحديث يشير اشارة صريحة الى أن الزكاة من الموارد المالية الرئيسية للهيئات المحلية ، اذ أن الرسول أمر بجبايتها من اغنياء اليمن وانفاقها على فقرائهم .

وقد تشدد الاسلام فى ضرورة اداء الزكاة حتى أن الامر بأدائها ورد مقرونا بالصلاة فى اثنين وثمانين موضعا فى القرآن الكريم وتوعد مانعها بالعقاب الشديد ، قال تعالى « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » سورة التوبة ٣٥ ، ٣٦ . وعن النبى انه قال « ان الله فرض على اغنياء المسلمين فى اموالهم بقدر الذى يسع فقراءهم ، ولن يجهد الفقراء اذا جاعوا وعروا الا بما يصنع اغنياؤهم ، الا وان الله يحاسبهم حسابا شديدا ويعذبهم عذابا اليما » .

وقد قرر الفقهاء أن من منع الزكاة معتقدا وجوبها اخذت منه قهرا ، أما من انكر وجوبها وكان ناشئا ببلاد الاسلام بين أهل العلم فهو مرتد تجرى عليه أحكام المرتدين ويستتاب ثلاثا فان تاب والا قتل . وما حروب الردة التى قام بها الخليفة الاول ابو بكر الصديق حين منعت بعض قبائل العرب أداء الزكاة الا تطبيق عملى لبيان اهمية استيفاء الزكاة بمعرفة الدولة ، ولبيان عقوبة من يمتنع عن ادائها أو ينكر فرضيتها .

ثانيا ــ خصائص الزكاة

للزكاة خصائص متعددة لا يتسع هذا المقال القصير لتناولها ، ولكنى ساقتصر على ابراز اهم خصائصها باختصار . ومن خصائص الزكاة ما يأتى :

اولا ــ الزكاة ضريبة للدولة حق جبايتها وانفاقها :

يعتقد الكثيرون أن الزكاة احسان فردى متروك للفرد الحرية فى منحه او منعه ولكن المدقق فيها يجد أنها ضريبة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان ، وأنها من أهم الموارد الرئيسية للتكافل الاجتماعى فى المجتمع الاسلامى ، كما أن الحاكم مأمور بجبايتها وانفاق حصيلتها فى الأوجه التى حددها القرآن الكريم ، قال تعالى آمرا الرسول بجبايتها « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » وقال تعالى مبينا أوجه انفاقها « انما الصدقات للفقراء والمساكين » الآية . ويتبين أن مصارفها كما توجه لنواحى التكافل الاجتماعى فى معظمها ، فانها توجه كذلك لقضاء المصالح العامة فى الدولة . وقد قام الرسول بجبايتها وانفاقها ، كما ارسل عماله لجبايتها من القبائل ، وبين لهم وعاءها وكيفية انفاقها . وقام بذلك الخلفاء الراشدون من بعده . وأبادر الى بيان أن الامر بأخذ الصدقة فى الآية

الشريفة المقصود به صدقة الفريضة وهى الزكاة ، وهى بخلاف صدقة التطوع المتروك أمر منحها أو منعها للفرد ، فان اداها استحق المثوبة وان منعهـــا فلا تثريب عليه .

ونحاول الآن اثبات أن الزكاة ضريبة . فالضريبة تعرف بأنها فريضة من المال تستاديها الدولة أو السلطات المحلية من رعيتها والقاطنين بها على قدر يسار كل مكلف لتمكينها من اداء المرافق العامة التى تضطلع بها . ولنبحث الآن أركان الضريبة لنرى مدى انطباقها على الزكاة :

١ — الضريبة فريضة ، أى ان اداءها واجب على المكلف فهو ليس حرا فى ادائها ولا فى اختيار مقدار ما يدفع منها ، ولا فى كيفية الدفع وموعده ، بل يحدد المشرع ذلك كله ويلزم الكافة باحترام هذا التحديد حتى ولو كان منهم من يعارضها . والزكاة أيضا فريضة فأداؤها واجب على كل من عنده النصاب حتى أن اليتيم يكلف وليه بأدائهـــا ، وحدد الشرع كيفية ادائها وموعده ، فمثلا زكاة الزروع تستحق عند نضج المحصول « وآتوا حقه يوم حصاده » .

٢ — لا تفرض الضريبة الا على الاشخاص لأن الضريبة تكليف أو واجب وليس غير الشخص من يؤدى هذا الواجب فاذا فرضت ضريبة على المبانى مثلا فان الذى يكلف بدفعها هو صاحب المبانى وكذلك الزكاة فان محل التكليف فيها الاشخاص مع انها مفروضة فى أموال مختلفة .

٣ — أن الضريبة لا تكون ضريبة الا اذا فرضتها سلطات عامة كالدولة بالنسبة للضرائب المركزية والسلطة المحلية بالنسبة للضرائب المحلية . وكذلك الزكاة فلم يتركها الله سبحانه وتعالى للحكام يفرضونها حسب اهوائهم ، بل فرضها الله وجعل ولاية جبايتها وانفاقها للسلطات العامة بشروط معينة ، وقد أوجب كثير من الفقهاء دفعها الى الامام حتى ولو كان جائرا .

٤ — تجبى الضريبة لاداء المرافق العامة التى تضطلع بها الســـلطات العامة ، فلا يدخل فى حسبان مقدار ما يفرض منها على المكلف مقدار النفع الذى سيؤول اليه بالذات من اداء هذه المرافق بل يوزن هذا التكليف بمقدار اليسار قل نفع المكلف أو كثر أو انعدم . وكذلك الزكاة فانها تجبى وينفق جزء منهـــا لأداء المرافق العامة فى الدولة بصرف النظر عما يعود على دافعها من منافع مادية وبقدر يسار كل مكلف تفرض الزكاة الواجبة فى أمواله .

ويتبين من هذا مدى توافر أركان الضريبة فى الزكاة والتى تجعلنا نحكم عليها بأنها فريضة تقوم الدولة بجبايتها وانفاقها ، وليست كما قد يظن البعض فى عداد الصدقات الفردية والتى يترك أمرها للافراد انفسهم يخرجونها ان شاءوا أو يمنعونها .

ثانيا — الزكاة من الضرائب المحلية :

من المعروف فى المالية الحديثة أن هناك ضرائب تفرضها الحكومة المركزية تتسم بالطابع الشخصى كضرائب الدخل وأخرى تفرضها الحـــكومات المحلية تحصلها وتنفقها فى نطاقها المحلى وان لم تف الضرائب المحلية بنفقات الهيئات المحلية ، فعلى الحكومة المركزية أن تمدها باعانات مالية . والمعروف كذلك أن الاساس فى مالية الدولة الاسلامية أنها قائمة على أساس اللامركزية أو على نظام مالية الهيئات المحلية فى العصر الحديث ، فكل اقليم له موارده المـــالية الخاصة به ينفق منها ما يحتاج اليه من نفقات فى المرافق والمصالح المختلفة فان

بقي فضل من موارده أرسل الي بيت المال المركزي وان لم يبــق شيء من تلك الموارد واحتاج الاقليم الي معونة بيت المال الرئيسي كان عليه اعانته .

والزكاة من الضرائب المحلية التي تؤخذ من المكلفين في مكان وتنفق على المستحقين من أهل ذلك المكان وما بقيبعد ذلك يرسل الى بيت المال الرئيسي لينفق على القرى القريبة من ذلك المكان والتي تحتاج الى الاعانة ، وقد اهتدت كثير من الدول حديثا مثل انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة الامريكية وغيرها من الدول الى قواعد مالية الهيئات المحلية التي عرفها الاسلام منذ حوالي أربعـــة عشر قرنا وجعلت للضرائب المحلية أهمية كبيرة من ناحية تحصيلها وانفاقها في مكانها .

وهناك الكثير من الأدلة التي تثبت أن ضرائب الزكاة بأنواعها المختلفة من الموارد المحلية ، أولها الحديث الشريف الذي أوردناه عندما أرسل النبي معاذا الى اليمن وأمره بأن يأخذ الزكاة من أغنيائهم وينفقها على فقرائهم ، وكذلك فان معاذا مكث باليمن أيام الرسول وأيام خلافة الصديق أبي بكر وأيام خلافة عمر بن الخطاب وحدث أن بعث معاذ الى عمربن الخطاب بثلث صدقة الناس فأنكر عليه عمر ذلك وقال له : لم أبعثك جابيا ولا آخذ جزية ولكن بعثتك لتأخذ من أغنيـــاء الناس فتردها على فقرائهم . فرد عليه معاذ بقوله : « ما بعثت اليك بشيء وانا اجد احدا يأخذه مني » فلما كان العام الثاني بعث اليه بشطر (بنصف) الصدقة فتراجعا بمثل ذلك فلما كان العام الثالث بعث اليه بها كلهـــا (أي بعث اليه بالصدقة كلها) فراجعه عمر بمثل ما راجعه قبل ذلك فقال معاذ « ما وجدت أحدا يأخذ مني شيئا » ويتبين مما حدث بين معاذ وعمر بن الخطاب أن الوالي على اليمن وهو معاذ لم يرسل الى بيت المال المركزي الا الفائض من موارد بيت المال الفرعي باليمن وأن مفهوم مالية الهيئات المحلية كان متأصلا في فهمه وثابتا لديه بدليل أنه كان يرد على عمر بقوله : إنه انما بعث اليه الفائض وأنه لم يجد أحدا يستحق شيئا من أهل اليمن .

وهناك دليل آخر على أن موارد بيت المال الفرعي ـــ ومنها الزكاة ـــ تنفق حيث تجبى وهذا الدليل يبين من أنه روى أن زيادا أو أحد الأمراء بعث عمران على الصدقة فلما رجع عمران للأمير قال له الامير : أين المال ؟ فقال له عمران « أللمال بعثتني » ؟ « أخذناها من حيث كنا نأخذها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعناها حيث كنا نضعها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم » وهذه الواقعة تبين أن الامير سأل عن المال اعتقادا منه أن عمران كســـائر العمال الذين يجمعون الاموال ويحملونها الى الامراء ليصرفوها في مصارفهم الخاصة فأنكر عليه عمران ذلك وأوضح له أن المتبع في عهد النبي هو صرف الزكاة لمستحقيها في المكان الذي جبيت منه . الا اذا فاض منها شيء فانه ينقل الى مكان آخر عن طريق بيت المال الرئيسي .

وحديث آخر عن الامام أحمد بن حنبل أنه قال : « لا نخرج صــدقة قوم من بلد الى بلد الا أن يكـــون فيها فضـــل عنهـــم لأن الـــذي كان يجيء النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر من الصدقة انما كان فضل عنهم يعطون ما يكفيهم ويخرج الفضل عنهم » ومن هذا يتضح أن نظام جباية الزكاة وانفاقها يتفق مع أحدث النظم المالية للهيئات المحلية .

ثالثا ـــ الزكاة ضريبة على رأس المال والدخل :

من القواعد الاساسية في النظم المالية أن الضرائب لا تقع الا على الدخل

لانها تتجدد سنويا فيجب أن يكون وعاؤها مماثلا لها فى التجدد والتكرار والوعاء الذى تنطبق عليه تلك الشروط هو الدخل حيث انه مال دورى يؤول للفرد . أما اذا تجاوزت الضرائب دخول الافراد وامتدت الى رؤوس أموالهم المنتجة لهذا الدخل وأخذت جانبا منها فانها تلتهم الثروة القومية تدريجيا وتمحق شيئا فشيئا راس المال القومى ولو أنه قد تحصل بعض الاستثناءات لهذه القاعدة وتفرض الضريبة على راس المال بنسبة كبيرة بقصد الاستيلاء على جانب منه يفوق الدخل الذى يدره .

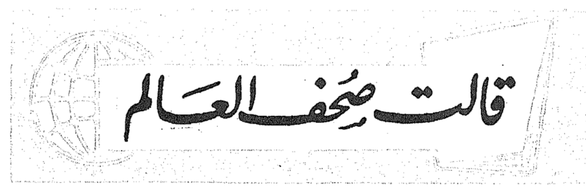
وهناك أسلوبان لربط الضرائب المباشرة على الدخل احدهما ربطها على اساس راس المال المنتج لهذا الدخل بحيث لا تقع الضريبة الا على الدخل المنتظر نتاجه من هذا المال ، والاسلوب الثانى ربطها على الدخل مباشرة بعد أن يقاس هذا الدخل باحدى طرق القياس المعروفة لدى السلطات المالية ، وللدولة الخيار فى اصابة دخل الفرد بطريق الضرائب المباشرة بين ربطها على الدخل ذاته أو ربطها على راس المال لاصابة الدخل المنتظر أو الجائز نتاجه منه .

وقد روعى فى فرض الزكاة أنه لا بد من توافر النصاب المحدد لها والذى يختلف بحسب نوع المال المفروضة فيه كما أنها لا تجب الا فى مال نام فعلا أو تقديرا حال عليه الحول (أى مضى عليه سنة) الذى هو مظنة انتاجه وأثماره ومظنة لأن يكون أداء الزكاة من ثمرته لا من أصله وقد أوصى الرسول باستثمار الاموال لتعطى عائدا تؤدى منه الزكاة فتحافظ بذلك على رؤوس الاموال وتكون متداولة غير عاطلة . ويؤيد ذلك الحديث الشريف « الا من ولى يتيما له مال فليتجر له فيه ولا يتركه فتأكله الصدقة » وفى هذا الحديث اشارة واضحة الى استثمار الاموال بمعرفة ولى اليتيم فما بالنا بأموالنا نحن .. ؟ من البديهى أنها اولى بالاستثمار ليمكن أداء الزكاة من عائدها .

وعلى ذلك فهل الزكاة ضريبة على راس المال أم على الدخل .. ؟ الواقع ان للزكاة وضعا فريدا بين الضرائب فهى تجب فى راس المال المتداول كالنقود وعروض التجارة (السلع المعدة للاتجار) ولا تجب فى راس المال الثابت كالمبانى والارض وأدوات الحرفة التى يستعملها الصناع والحرفيون .. الخ . والزكاة بالنسبة للنقود وعروض التجارة تعتبر ضريبة على راس المال المتداول والدخل معا حيث أنها تفرض فى نهاية العام على هذه الاموال بالنسبة لأصلها والدخول التى تولدت عنها ، أما بالنسبة لرأس المال الثابت فانها لا تجب فيه انما تجب على الدخل الناشىء عنه فقط ، فمثلا فى زكاة عروض التجارة فانها تجب على راس المال المتداول وصافى الربح معا حسب نتيجة الجرد والحسابات الختامية فى نهاية العام اذ على التاجر أن يجرد ما عنده من سلع ويقومها ويضيف الى قيمتها ما عنده من أموال وديون قوية له فى ذمة الغير ويخصم من ذلك الديون التى عليه للغير (المطلوبات) والناتج هو وعاء ضريبة الزكاة . أما فى حالة المحاصيل الزراعية فان الزكاة لا تجب على الارض الزراعية وهى أصل ثابت بل تجب على المحصول الناتج منها بنسب خاصة فهى ضريبة على الدخل فى حالة راس المال الثابت .

ونخلص من ذلك الى أن ضريبة الزكاة تجب على راس المال المتداول أو العامل والايراد معا ، لا الايراد وحده كما هو الحال فى الضرائب الحديثة .

وسيكون موضوع المقال التالى باذن الله أنواع الاموال التى تجب فيها الزكاة .



وليس هو إلا الدين

لم يتعرض الدين أى دين كان ، والدين الحق بالخصوص ، فى جميع العصور الماضية ، لمثل ما يتعرض له فى العصر الحاضر من انكار وتشنيع ، فمن وصفه بأنه خرافة ، وانه أفيون الشعوب ، وانه ضد العلم وضد الحضارة .. الى الازراء على أهله ورميهم بأقبح التهم كالتعصب والنفاق والتخلف والرجعية ، وما الى ذلك ، هذا على حين أن الأكثرية من الأمم والشعوب ما تزال متمسكة بعقيدتها الدينية ، ومتشبثة بشعائرها من عادات وعبادات ، سواء كانت من اتباع الأديان السماوية أو من منتحلى الأديان الأخرى حتى الوثنية منها ، وذلك لأن حاجة البشر الى الدين كحاجتهم الى الطعام والشراب ، فإذا كان الجسم لا بد له من غذاء لاستكمال نموه والمحافظة على سلامته واستوائه ، فان الروح التى بها يمد الانسان إنسانا ، أولى بما يقيم أودها ويذكى شعلتها ، وليس هو إلا الدين .

وإنك لترى كثيرا من المسرفين على أنفسهم فى ساعات الحسرة والضيق والاضطرار ، فتلاحظ من تعلقهم بالله والتضرع اليه ورجاء رحمته ما تقضى منه العجب ، بل انى لا أشك فى أن أكبر الملحدين حين تنزل به النازلة لا يقوى لها على دفع ، من خطر عظيم يتعرض له ، أو داء عضال يصيبه ، بله حادث الموت إذ يستيقنه ، لن يتردد فى التطلع الى السماء والرجوع عن غلوائه ، مما يدل على ان التدين غريزة طبيعية فى الانسان لا يمكنه ان يتخلص منها ولا أن يتخلى عنها وأن انكرها أحيانا وتوهم أنه يستطيع أن يعيش بدونها ، ولنقرأ على سبيل المثال قوله تعالى فى شأن فرعون : **(فلما ادركه الغرق قال آمنت)** ، والأمثلة على ذلك من غير القرآن فى الواقع المحسوس ، والتاريخ المتداول ، والنصوص الأدبية ، شعرية ونثرية ، وصفية وذاتية ، كثيرة لا نستطيع أن نلم بها هنا .

إنما المشكل الذى تحار فيه الأذهان ، هو أن يكون هذا مقام الدين فى النفوس وعلى الصعيد العملى ، فى الوقت الذى تشن عليه الحرب التى لا هوادة فيها ، ويقاوم بكل الوسائل ، سواء فى البلاد التى أعلنت لا دينيتها بصراحة ، أو التى ما تزال تدعى بأنها متدينة رسميا .

والحقيقة ان المعركة ضد الدين ، ليست معركة الأمم والشعوب ، وإنما هى معركة طائفة من الناس استولوا على مقدرات بلادهم واخذوا زمام السلطة فيها اما باستعمال القوة والعنف أو بطريق المكر والخداع ، فاستطاعوا أن ينفذوا مخططاتهم فى السياسة والاقتصاد ، وأن ينشروا أفكارهم التى تهدم دعائم المجتمع المتدين ، لأنه لا يتلاقى ومخططاتهم المبنية على فلسفة مادية إلحادية .

عن مجلة (الرائد) الهندية



اذان الفجر

السؤال :

يطالب بعض الناس بمنع اذان الفجر من مكبرات الصوت بدعوى انه يزعج الاطفال ويؤذى المرضى ، فما راى الاسلام فى هذه الدعوى .. ؟

الاجابة :

الأذان شرع لاعلام اهل المدينة او القرية او الحى بدخول وقت الصلاة للتوافد على المسجد لأداء الفريضة ، ونظرا لاتساع المدن والقرى والأحياء وما تحدثه المواصلات والمصانع وازدحام الناس من جلبة وضوضاء فان الحاجة ماسة الى استعمال مكبرات الصوت للاعلام بدخول وقت الفريضة ، وصلاة الفجر تحين والناس نيام ، فهم فى أمس الحاجة الى صوت يسمعهم ، ونظرا لما يطرأ على المسلمين فى هذه الفترة من كسل وتراخ واستسلام للنوم الذى يحرمهم من ثواب حضور هذه الصلاة المشهودة كانت الحاجة اشد الى من يهزهم للمبادرة لادراك فضل الله الذى يفيضه على من يشهد هذه الصلاة .

ولصلاة الفجر اهمية خاصة فقد قال الله تعالى : « وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا » وقال صلى الله عليه وسلم « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها » والتبكير فى اليقظة من النوم من امارات النشاط والصحة والتأخر فى النوم من علامات الخمول والضعف ، ونحن فى عصر ننادى فيه بمضاعفة الانتاج ، واليقظة مبكرا خير عون على النشاط والعمل ، والاعتراض على اذان الفجر فى مكبر الصوت نتيجة لعدم تذوق حلاوة وثمرة اليقظة المبكرة ، ونتيجة لعدم تذوق حلاوة الطاعة والوقوف بين يدى الله سبحانه فى هذه الفترة من اليوم ، ونتيجة للسهر المضنى فيما لا ينفع ولا يفيد ، ولماذا لا نعود أطفالنا منذ نعومة أظفارهم هذه العادة الاسلامية الكريمة ، واى شىء يقوى نفسية المريض اكثر من ذكر الله والالتجاء اليه سبحانه وطلب الشفاء من عنده ؟.

على اصحاب هذه الدعوة أن يتقوا الله ويجربوا بانفسهم حلاوة الطاعة والعبادة والامتثال لأمر الله .

اجرة المواصلات

السؤال :

ركبت سيارة عامة ، واعطانى راكب (تذكرته) قبل ان ينزل فامسكتها بيدى ، ولما رآها المحصل لم يطالبنى بثمن تذكرة ، فهل هذا حرام أم حلال .. وما الحل اذا كان حراما .. ؟

الاجابة :

هذا تهرب واحتيال على دفع ثمن أجرة الركوب ، والراكب الذى أعطاك تذكرته شريك لك فى الاثم ، ويجب عليك أن ترده (للهيئة التى تملك السيارة) وذلك بأن تشترى تذكرة ولا تركب بها ، أو تشترى تذكرتين واحدة لسداد الدين الذى عليك ، والاخرى ثمنا لركوبك مرة ثانية ، ولا داعى لاعلام المحصل بالقصة والله ستار كريم .

تصفيف الرجال
شعر النساء

السؤال :

هل هناك مانع شرعا يمنع الرجال من تصفيف وقص شعر النساء .. ؟

الاجابة :

قيام الرجل بتصفيف ، أو قص شعر المرأة الاجنبية عنه حرام شرعا ، اذ يحرم على الاجنبى لمس جسم المرأة او شعرها الا عند الضرورة ، كأن يكون طبيبا لتشخيص المرض والعلاج ، وتصفيف الشعر او قصه ليس من الضرورات التى تبيح ذلك .

ويجوز للمرأة أن تقوم بهذا العمل .

فى الميراث

السؤال :

توفيت زوجة عن زوج وبنتين واب وام ، ولم تترك الا اثاث منزلهــــا ، وقدرت قيمته بالف دينار ، وتركت مؤخر صداقها وقدره ثلاثمائة دينار ، فهل يضم مؤخر الصداق الى التركة .. ؟ وهل يرث الزوج فيه .. ؟ وما نصيب كل وارث .. ؟

الاجابة :

مؤخرا الصداق يعتبر شرعا دينا للزوجة على الزوج ، يحل سداده أما بالطلاق أو بالوفاة ، وبناء على هذا اذا توفيت الزوجة كان مؤخر الصداق تركة لها ويورث عنها ، فيضم الى جميع تركتها ويأخذ كل وارث نصيبه الشرعى فيها بما فى ذلك مؤخر الصداق ، وتوزع التركة على النحو التالى :

ـــ للزوج الربع . وللبنتين الثلثان . وللأب السدس وللأم السدس .

نتجمع التركة وتقسم على ١٥ مضروبة فى سهم كل وارث ليخرج نصيبه من التركة .



تفسير آيـة

أرسل القارىء السيد **وليد ابراهيم سعيد** يستفسر عن معنى قوله تعالى : **(وان منكم ألا واردها كان على ربك حتما مقضيا . ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا)** .

. . . . .

ونقول للقارىء الكريم جاءت هذه الآية الكريمة فـي معرض الحديث عـن البعث والمنكرين له :

(ويقول الانسان ائذا ما مت لسوف اخرج حيا) ؟ .. ويقرر القرآن الكريم ان البعث اقرب الى التصور من النشأة الاولى (اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يكن شيئا) ؟ ثم يقسم الله سبحانه انهم سيحشرون بعد البعث لا محالة **(فوربك لنحشرنهم)** ولن يكونوا وحدهم بل (والشياطين) جاثين على ركبهم فى ذلة وفزع حول جهنم .. ثم ينزع منهم من كانوا اشد عتوا وتجبرا ويلقون فى النار .. وان الله ليعلم من هم أولى بأن يصلوها .. وان المؤمنين ليشهدون هذا العرض الرهيب .. فهم يردون فيدنون منها وهى تتميز وتتلمظ ويرون الطغاة العتاة يتقذفون فيها .. **(وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا)** .. ثم يزحزح المؤمنون عنها وينجون بأعمالهم **(ثم ننجي الذين اتقوا)** ويبقى فى العذاب أولئك الطغاة **(ونذر الظالمين فيها جثيا)** .

ومن هنا نرى أن ورود الجحيم المقصود فى الآية الكريمة بالنسبة للكفـار دخول فيها .. وبالنسبة للمؤمنين مرور بها ومشاهدتها عن قرب ..

وقيل : جميع الخلق يدخلونها فتكون بردا وسلاما على المؤمنين .. ووبالا ونكالا على الكافرين .

وقيل : ان الورود ممر عليها .. قال ابن مسعود : يرد الناس النار ، ثـم يصدرون عنها بأعمالهم ، فأولهم كلمح البرق ، ثم كالريح ، ثم كحضر الفرس (اى : كعدو الفرس) ، ثم كالراكب فى رحله ، ثم كشد الرحل ، ثم كمشيه .

وقيل : ورودها : حضورها .

وقيل أيضا : ورود المسلمين مرور على الجسر ، وورود المشركين دخولها .

نظرية دروين

كلما قرأت عن نظرية دروين أجد شكا فى صدرى وحيرة وقلقا .. فبعضهم يقول : نظرية دروين تتعارض مع الدين .. وبعضهـم الآخـر يقول : بل هـي لا تتعارض مع الدين ...

ارجو إجابتي عن الآتي :

١ ــ هل اصل الانسان قرد او اصله أنسان . وما راى العلماء ؟

٢ ــ هل ما ورد في تفاصيل نظريه النشوء والارتقاء حقائق علميه يستطيع صاحبها ان يجزم بصحتها أم انها مجرد احتمالات ؟

٣ ــ هل تتعارض فكره التطور مع الدين أم لا ؟

ارجو التكرم باجابتي مع الشكر .

علي دهب عبد الجابر
كلية الاقتصاد ــ جامعة الخرطوم

ونقول للقارىء الكريم :

اولا : ان اصعب مسالة من مسائل علم الحياة استبهمت على علماء الطبيعة هي : ما هو مبدأ الحياة ؟

ودينا يجيب على هذه القضية في يسر وسهولة .. بما يتفق مع العقل الواعي والفطره السليمة .. فهناك قوة عليا هي التى أوجدت الحياة والاحياء .. وجعلت بين المخلوقات تنوعا وتفاضلا يدل على الخالق الحكيم .. الله سبحانه وتعالى (**انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون**) . وكل الآثار الموجودة في الكون والمشاهدات والقوانين الطبيعية المحسوسة تدل عليه سبحانه وتعالى بما لا يدع مجالا للشك او الجدل ..

أما بعض علماء الغرب : فلسبب او لآخر لم يشاءوا ان يؤمنوا بما هو فوق الطبيعة فراحوا يبحثون عن علة هذه الحياة .. وكيفية نشوئهاوتطورها ضاربين هنا وهناك محاولين التملص من الاقرار بوجود قوة عليا .. قادرة .. خالقة .. فلجاؤا في تسفير ظواهر الحياة الى القياس والخرص والرجم بالغيب . وقد قال الله : (**ما اشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم**) .

لذا فالقول الحق هو قول القرآن الكريم (**لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم**) .. فقد خلق الانسان انسانا منذ اللحظة الأولى .. ولم يكن شيئا آخر غير كونه أنسانا ..

ثانيا : ما قال دروين انه قد ادرك الحقيقة .. والقائلون بنظريته لا يعتبرون قياسهم حقيقة وفكرتهم واقعا .. بل قال دروين وقالوا : (نظن كذا) .. و (لعل كذا) .. ولكن اناسا ادعوا العلم تلقفوا النظرية ولقنوها لتلاميذهم على أنها حقيقة واقعة بعد أن حذفوا (نظن) و (لعل) . فما تزال نظرية النشوء والارتقاء حتى اليوم مجرد نظرية خيالية لا أساس لها في الواقع .. والأمر الجدير بالاعتبار هو اليقين والواقع لا التخمين والرجم بالغيب .

ثالثا : ان الله سبحانه وتعالى خلق جميع الخلائق على ما هي عليها .. وأبقي منها على قيد الحياة ما تدعو اليه حاجة الانسان .. وهلك ما لم تعد هناك حاجة له (الله خالق كل شيء) .. وقال تعالى (**يايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له أن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب**) .

فليس هناك دليل واحد على تطور هذا من ذاك .. ولو انطلق دروين في بحثه من حقيقة وجود الخالق لعلم ان التنوع والتفاضل من الخلية الواحدة الى الانسان الكامل جاء نتيجة لتخطيط حكيم مدبر .. وان الحكيم المدبر ما زال يخرج كل الانواع الى حيز الوجود بمزاياها المخصوصة المتنوعة بالتدريج .. تعالى الله وجلت قدرته .



للاستاذ : ق • ق

ان المبادىء البشرية مهما تعددت أسماؤها ، وتغيرت الوانها تجمعها سمة واحدة وميزة بارزة ، وهذه الميزة البارزة هى انها لا تعترف بتوحيد الله ، وهذه المبادىء البشرية تسلك احد سبيلين لا ثالث لهما فى انكار وحدانية الله .

السبيل الأول هو أن تغالط ، وتكذب ، فتنكر وجود الله متخذة من هـذا الانكار تبريرا لتصرفها فى وضع هذه المبادىء البشرية المعتمدة على الالحاد وانكار وجود خالق السموات والارض .

والسبيل الثانى ان تشرك بالله آلهة اخرى ، وتحدد واجبات كل اله .

وهذا النهج الذى نهجته المبادىء البشرية التى تدعى انها لا تنكر وجـود الله ، أو لا تمنع عبادته وتقصد بالعبادة المفهوم الضيق الذى تحدده هى ، أو انها لا تمنع الناس من دخول المساجد أو وجود بعض المساجد التى لم تستطع هدمها حتى الآن والتى يؤمها بعض العجزة فى الوقت الذى لا يكون للشريعة أو المسجد اى توجيه فى الحياة العامة ، انه مسلك تعدد الالهة الذى انتشر فى بلاد اليونان فى عصرهم الذى يسمى بالعصر الذهبى فقد تعددت الالهة عندهم ، وحددوا واجبات كل اله ، فبعد أن صنعوا آلهة من حجر قالوا : هذا هو اله الجمال ، وهذا هو إله الحب ، وهذا هو إله الرياضة ، وهذا اله الحرب ، وهذا اله الزرع .

والمنطق الصحيح يقضى أحد أمرين ، اما أن تكون هذه آلهة حقا ، واما الا تكون كذلك ، فان كانت آلهة حقا فلا يستطيع أحد من البشر أن يحدد واجباتها . فيقول لها أنت الهة للجمال فقط ، أو غيره . واياك اياك أن تتدخلى فـى أمـور اخرى . يا لها من آلهة عاجزة زائفة يحدد واجباتها المخلوق .

ولقد تكررت المهزلة فى القرن العشرين وظن مخترعو المبادىء البشرية ان خالق السموات والارض شأنه شان الآلهة الزائفة ، التى اخترعها اليونان ، فقالوا انه داخل المسجد فاعبدوه داخله ، واياكم اياكم أن تعبدوه خارجه . وهذا يقال دائما على السنة انصار المبادىء البشرية بلسان الحال ان لم يكن بلسان المقال ، بل انهم يقولونه بلسان المقال وان اختلفت الاساليب والمعنى واحد ، فيقولون اتبعوا الاسلام داخل المسجد وادوا الصلاة لا نمنعكم منها ، ولكن إذا خرجتم من المسجد فاتبعوا سبيلا غيره اتبعوا للاقتصاد سبيل الاقتصاد الجماعى فانه لا

يتعارض مع الاسلام واتبعوا سبيل الديمقراطية للسياسة فان الاسلام ديمقراطي واتبعوا سبيل الوجودية للتفكير فان بعض فلاسفة الوجودية مؤمنون ، فلا ضير عليكم اذا اتبعتم سبيلها ، وعليكم باتباع فلسفة البراجماتزم النفعية للاخلاق او فلسفة فرويد سواء بسواء ، اما قواعد علم الاجتماع فعليكم باقتباسها من الغرب فان الاسلام يؤيد الحضارة الغربية بقضها وقضيضها وبشرها وخيرها (ان كان فيها خير) هذه الاقوال التي يرددها الكثيرون ، ويرددها البعض بجدية تامة لا اثر فيها للهنه ، ولا أدرى من يخادع هؤلاء ، الا يعلم هؤلاء انهم اذا استطاعوا خداع بعض السذج والبسطاء فانهم لا يستطيعون مخادعة رب السماء وهم يتجراون على مبارزته ومسخ شرعه .

ان مثل هذه الحكايات التي تصدر من هؤلاء الذين يريدون تطبيق شرائعهم بدلا من شرع الله بدعوى انهم مسلمون وانهم مؤمنون وانهم يحبون الاسلام ويريدون الخير له وهم يتصدرون لتصحيحه في نظرهم او بالاحرى لتحريفه ان هذه الحكايات لا تروج الا على الجهلة فكيف على رب العالمين ؟ ان هؤلاء فيما اعتقد لم يبلغ بهم الغباء الى هذه الدرجة ، ولكنهم يريدون شق الطريق لدعواتهم الباطلة وأوهامهم الزائفة بالخداع والغش .

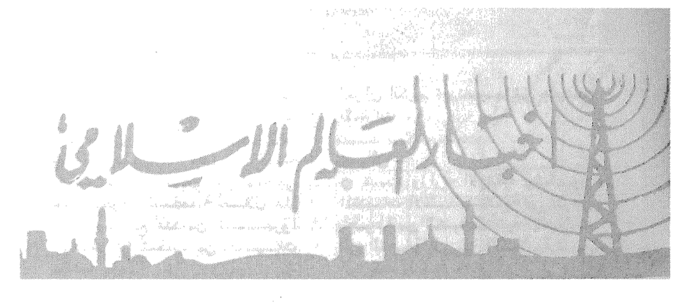
والخلاصة هناك ثلاثة طرق فحدد ايها المسلم موقفك منها :

١ ــ طريق الاخلاص والوضوح والاستقامة وذلك بتوحيد الله واتباع نظامه الذى انزله من السماء وقام رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بتبليغه الى الناس على صورته النهائية سالما من التحريف والتغيير ، ومن مستلزمات اتباع هذا الطريق أن يكفر الانسان بما عداه لانه النظام الحق ، وما عداه باطل ، وهذا هو سبيل الاسلام ، وهذا هو المبدأ الذى مبناه على شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، ولا يبنى مبدأ سواه على هذا الاساس .

٢ ــ طريق التلون والخداع وانصاف الحلول والتسليم الجزئى ايثارا للسلامة ومعرفة الضعف الكامن فى السبيل الذى يتبعونه وهو سبيل الاشراك بالله آلهة أخرى ، وهو الجانب النظرى فى هذا الطريق ، وأما الجانب العملى فهو الاشراك مع نظام الاسلام أنظمة أخرى ، وهو فى الحقيقة عقد الهدنة بين الكفر والايمان وهى محاولة باطلة ، فهؤلاء يقومون بتشريع ما يشاؤون ، ثم يقولون ان هذه الامور خارج نطاق صلاحية الخالق ، ويشمل هذا الطريق جميع الانظمة التى اخترعها البشر خارج حدود الخلافة التى منحها الله للبشر للتصرف فى هذه الارض بمقتضى حدود الله وتشريعه واوامره ونواهيه ، وهذه هى الانظمة التى تزعم انها لا تحارب الدين أو لا تتعارض معه أو تؤيده مثل الديمقراطية والراسمالية والاقطاعية والفوضوية والوجودية والجاهلية العربية التى تزعمها أبو جهل وابو لهب والتى حاربها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم رضخت لله فى كل شأن من شؤون حياتها وكل مبدأ يدعى انه لا ينكر الله صراحة أو جهرة وهذه المبادىء تقول ان هناك آلهة أخرى سوى الله بلسان الحال ان لم تقلها بلسان المقال .

٣ ــ طريق المكابرة والمغالطة وتزوير الحقائق وهو طريق انكار الله ، وهذه الفكرة ترتكز عليها كافة المبادىء الالحادية التى تنكر الله جهرة وعلى هذا الاساس وهو انكار الله سولت لنفسها أن تضع تشريعا بدلا من تشريع الله ، وقد تكون منطقته أكثر من الثانية لولا أن اثبات ما استندت عليه ضرب من المحال .

والله سبحانه وتعالى لن يقبل من البشرية الا أن تتبع الطريق الاول « ان الدين عند الله الاسلام » « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه » .



اعداد الاستاذ فهمى الامام

الـــكويت :

● احتفل بتخريج الدفعة الرابعة من الطلبة الضباط فى كلية الشرطة برعاية سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء ، وتتألف الدفعة من خمسين ضابطا كويتيا وضابطين من دولة الامارات العربية ودولة البحرين .

● أعلن الشيخ صباح الاحمد وزير الخارجية والاعلام بالوكالة أن دعم الكويت لنضال الدول العربية يتم بدون أية مطالبة بثمن لهذا الدعم ، وأوضح أن تأييد الكويت المطلق لدول المواجهة لا صلة له بأى اعتبار آخر غير التضامن الحقيقى والطبيعى بين الدول العربية .

● شاركت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية فى الاحتفال بيوم البيئة العالمى ، وذلك عن طريق الوعظ والخطب لزيادة توعية المواطنين للمحافظة على نظافة بيئتهم .

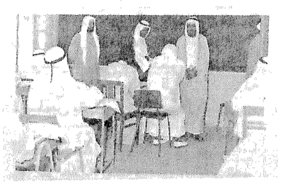
● انتهت لجنة التقويم الاسلامى المنبثقة عن مؤتمر وزراء الأوقاف والشئون الدينية والاسلامية العرب من وضع مشروع التقويم وفقا للأسس المتفق عليها ، والتى تجمع بين الحكم الشرعى والحساب الفلكى .

● أعلنت نتيجة امتحان الدور الأول فى دار القرآن الكريم ، وكانت نسبة النجاح كالآتى :

السنة الأولى : فترة صباحية ٦٢٪ فترة مسائية ٨٠٪ .

السنة الثانية : فترة صباحية ٧١٪ فترة مسائية ٦٧٪ .

السنة الثالثة : فترة صباحية ٨٢٫٥٪ فترة مسائية ٩٠٪ .



● يبدو فى الصورة سيادة الوكيل الاستاذ عبد الرحمن المجحم وسيادة الوكيل المساعد الاستاذ عبد الرحمن الفارس وهما فى زيارة لدار القرآن الكريم اثناء الامتحان .

● بدأت الدراسة الصيفية فى مراكز جمعية الاصلاح الاجتماعى لتحفيظ القرآن الكريم ، وعددها ١٧ مركزاً للبنين و ٣ مراكز للبنات ومما يذكر انه مع تحفيظ القرآن الكريم تلقى دروس فى التفسير والحديث والسيرة والفقه .

● وافق مجلس الوزراء على

المساهمة بمبلغ ٣٦ الف دينار . في دعم المختبرات والمعامل العلميه لجامعة الازهر .

● اصدرت وزارة العدل احصائية بحالات اشهار الاسلام التي تمت في قسم الاحوال الشخصية خلال عام ٧٣ . وقد بلغ عدد من اشهروا اسلامهم ٤٥ شخصا من جنسيات مختلفة .

مصر :

● صرح الأمين العام للجامعة العربية بأن مؤتمر القمة العربي سيعقد في الأسبوع الأول من شهر سبتمبر المقبل بالرباط .

● استنكر مجمع البحوث الاسلامية في اجتماع عقده برئاسة الامام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر مشروع تيسير اللغة العربية وذلك بالتخلي عن القواعد الاساسية للغة واحلال العامية مكان الفصحى .

وحذر المجمع من خطورة هذا المشروع الذي يهدف الى قطع صلة المسلمين بقرآنهم وتراثهم الاسلامي .

السعودية :

● امر جلالة الملك فيصل بتسليم قصر النيابة بجدة ليكون مقرا مؤقتا للبنك الاسلامي .

● بلغ عدد المسلمين في الدنمرك ١٥ الف مسلم ، وقد تبرع جلالة الملك بمبلغ ١٠٠ الف جنيه استرليني لمشروع بناء مركز اسلامي هناك .

● تلقى الأمين العام لرابطة العالم الاسلامي قائمة تتضمن أسماء ثلاثين ضابطا في حكومة الغابون قد اعلنوا اسلامهم .

ابو ظبي :

● بدأت وزارة الشئون الاسلامية الحديثة عملها بفتح مدارس لتحفيظ القرآن الكريم ، وتعميمها في جميع الامارات .

عمان :

● تقدمت وزارة الاوقاف وشئون المقدسات الاسلامية في الاردن مجموعة من الكتب الثقافية الاسلامية الى الجامعة العربية الاسلامية في الولايات المتحدة .

ليبيا :

● وافقت الحكومة الايطالية على انشاء مركز ومسجد ومكتبة اسلامية بروما وستتولى ليبيا الاشراف على هذا المشروع الاسلامي .

لبنان :

● افتتح في بيروت المؤتمر الاسلامي العام . اشتركت فيه مختلف الهيئات الاسلامية في لبنان . . وذلك للتنسيق بينها وتوحيد جهودها في محيط الدعوة الى الله والعمل المثمر .

اخبار متفرقة

روما :

● وافق المجلس البلدي لمدينة روما على منح قطعة أرض مساحتها ٣٠ الف متر مربع في شمال المدينة لمشروع بناء مسجد وقاعة محاضرات ومركز اسلامي .

اكرا :

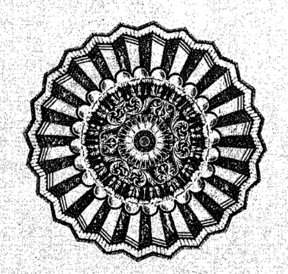
● تدرس منظمة الاغاثة الدولية الخاصة بالمسلمين انشاء جامعة اسلامية في مالي تكون مهمتها الاشراف على كافة الدورات الاسلامية التي تعقد في جامعات غرب أفريقيا .

جاكرتا :

● أصدر وزير الداخلية قرارا باغلاق دور الفسق في جاكرتا الشمالية .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	جمادى الآخرة	يونيو	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي: فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي: فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الجمعة	١	٢١	٣ ٢	٤٤٨	١١٤٨	٣٢٣	٦٥٠	٨٢٣	٨١٢	٩٥٨	٤٥٩	٨٣٣	١٣٣
السبت	٢	٢٢	٢	٤٨	٤٨	٢٣	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الاحد	٣	٢٣	٢	٤٨	٤٨	٢٣	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الاثنين	٤	٢٤	٢	٤٩	٤٨	٢٣	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الثلاثاء	٥	٢٥	٣	٤٩	٤٩	٢٤	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الاربعاء	٦	٢٦	٣	٤٩	٤٩	٢٤	٥١	٢٤	١٢	٥٨	٥٩	٣٤	٣٣
الخميس	٧	٢٧	٣	٤٩	٤٩	٢٤	٥١	٢٤	١٢	٥٨	٥٩	٣٤	٣٣
الجمعة	٨	٢٨	٤	٥٠	٥٠	٢٥	٥١	٢٤	١٣	٥٩	٥٠٠	٣٤	٣٣
السبت	٩	٢٩	٤	٥٠	٥٠	٢٥	٥١	٢٤	١٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣
الاحد	١٠	٣٠	٤	٥٠	٥٠	٢٥	٥١	٢٤	١٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣
الاثنين	١١	يوليو	٥	٥١	٥١	٢٥	٥١	٢٤	١٤	٠٠٠	٠٠١	٣٤	٣٣
الثلاثاء	١٢	٢	٥	٥١	٥١	٢٦	٥١	٢٤	١٤	٠٠	٠٠	٣٥	٣٣
الاربعاء	١٣	٣	٥	٥١	٥١	٢٦	٥١	٢٤	١٤	٠٠	٠٠	٣٥	٣٣
الخميس	١٤	٤	٦	٥٢	٥٢	٢٦	٥١	٢٤	١٥	١	١	٣٥	٣٣
الجمعة	١٥	٥	٦	٥٢	٥٢	٢٦	٥١	٢٤	١٥	١	٢	٣٥	٣٣
السبت	١٦	٦	٧	٥٣	٥٢	٢٧	٥١	٢٣	١٦	٢	١	٣٦	٣٣
الاحد	١٧	٧	٨	٥٣	٥٢	٢٧	٥١	٢٣	١٧	٢	١	٣٦	٣٣
الاثنين	١٨	٨	٨	٥٤	٥٢	٢٧	٥٠	٢٣	١٨	٣	٢	٣٧	٣٢
الثلاثاء	١٩	٩	٩	٥٤	٥٢	٢٧	٥٠	٢٢	١٩	٤	٢	٣٧	٣٢
الاربعاء	٢٠	١٠	١٠	٥٥	٥٣	٢٧	٥٠	٢٢	٢٠	٥	٣	٣٧	٣٢
الخميس	٢١	١١	١١	٥٥	٥٣	٢٨	٥٠	٢٢	٢١	٥	٣	٣٨	٣٢
الجمعة	٢٢	١٢	١١	٥٦	٥٣	٢٨	٥٠	٢١	٢٢	٦	٣	٣٨	٣١
السبت	٢٣	١٣	١٢	٥٦	٥٣	٢٨	٤٩	٢١	٢٣	٧	٤	٣٩	٣١
الاحد	٢٤	١٤	١٣	٥٧	٥٣	٢٨	٤٩	٢٠	٢٤	٨	٤	٣٩	٣١
الاثنين	٢٥	١٥	١٤	٥٧	٥٣	٢٨	٤٩	٢٠	٢٥	٩	٥	٤٠	٣١
الثلاثاء	٢٦	١٦	١٤	٥٨	٥٣	٢٨	٤٨	١٩	٢٦	١٠	٥	٤٠	٣١
الاربعاء	٢٧	١٧	١٥	٥٨	٥٣	٢٩	٤٨	١٩	٢٧	١٠	٥	٤١	٣١
الخميس	٢٨	١٨	١٦	٥٩	٥٣	٢٩	٤٨	١٨	٢٨	١١	٦	٤١	٣١
الجمعة	٢٩	١٩	١٦	٥٩	٥٣	٢٩	٤٧	١٧	٢٩	١٢	٦	٤٢	٣٠



ام المؤمنين ..
السيدة زينب بنت جحش (رضى الله عنها)

اسمها : زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن اسد بن خزيمة .

امها : اميمة بنت عبد المطلب بن هاشم . عمة الرسول صلى الله عليه وسلم .

زواجها : تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد تطليقها من مولاه ومتبناه زيد بن حارثة .. لتشريع ابطال عادة التنبى التى كانت معروفة عند العرب ، وقد ذكر الله قصتها فى القرآن « فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا » .

روايتها للحديث : روت عن النبى صلى الله عليه وسلم احاديث .. وروى عنها عدد من الصحابة .

فضلها : قال الرسول صلى الله عليه وسلم عنها : « ان زينب بنت جحش اواهة » فقال رجل يا رسول الله : ما الأواه ؟ قال : « الخاشع المتضرع وان ابراهيم لحليم أواه منيب » .
وقالت عنها ام سلمة : « كانت صالحة صوامة قوامة » .
وقالت عنها عائشة حين ماتت : لقد ذهبت حميدة متعبدة مفزع اليتامى والأرامل . وكانت رضى الله عنها تصنع بيديها اشياء وتتصدق بها فى سبيل الله .

وفاتها : قالت حين حضرتها الوفاة : انى قد اعددت كفنى وان عمر سيبعث الى بكفن فتصدقوا باحدهما وان استطعتم أن تتصدقوا بحقوى فافعلوا . وكانت اول من ماتت بعد النبى صلى الله عليه وسلم من أزواجه .
رحلت الى جوار ربها سنة عشرين ، وقد صلى عليها عمر بن الخطاب .
رضى الله عنها وارضاها .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع ـــ ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيـــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى ـــ ص.ب : (١٣٢) .
بنغـــازى : مكتبة الخـــراز ـــ ص.ب : (٢٨٠) .

المغـــرب : الدار البيضاء ـــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

تونـــس : مؤسسات ع بن عبد العزيز ـــ ١٧ شـــارع فرنســـا .

لبنـــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عـــدن : مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧) .

الأردن : عمـــان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جـــدة : مكتبة مكـــة ـــ ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكـــة ـــ ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـــ ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة ـــ ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العـــراق : بغداد : وزارة الأعلام ـــ مكتب التوزيع والنشر .

البحـــرين : المكتبة الوطنية : شـــارع بـــاب البحرين .

قطـــر : الدوحـــة : مؤسسة العروبة ـــ ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبـــى : مطبعة دبى .

الكـــويت : مكتبة الكـــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية – الكويت